مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

سلسلة الدراسات القرآنية

9

مناهج التفسير واتجاهاته

دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم

د. محمّد علي الرضائي الأصفهاني

تعريب: قاسم البيضائي

مناهج التفسير واتجاهاته

دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن

محمد علي الرضائي الأصفهاني

مناهج التفسير واتجاهاته

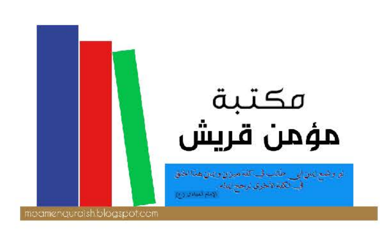
دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن

تعريب: قاسم البيضائي



المؤلف: محمد علي الرضائي الأصفهاني
تعريب: قاسم البيضائي
الكتاب: مناهج التفسير واتجاهاته: دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن
المراجعة والتقويم: فريق المراجعة في المركز
الإخراج: محمد حمدان
تصميم الغلاف: حسين موسى

الطبعة الأولى: بيروت، 2008



The Explanation Methods
And
Approaches: A Comparing Study on Quran Explanation

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن قناعات واتجاهات مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي»



مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

Center of civilization
for the development of islamic thought

بناية الصبّاح - شارع السفارات - بئر حسن - بيروت
هاتف: 826233 (9611) - فاكس: 820387 (9611)
Info @ hadaraweb.com
www.hadaraweb.com

الفهرس

الملحقات

المدخل

طرق تدريس الكتاب

الحمدُ لله كثيراً على ما أولانا من التوفيق للمسير في رحاب القرآن وأهل البيت (ع). القرآن الكريم كتاب لهُ عدة وجوه ومعانٍ وبطون، يستطيع كل شخص أن يتزود منه بمقدار طاقته، وبما يملك من العلم والمصادر؛ ومن هُنا اظهرت للمفسرين ـ بعد التأمل والتفكير في القرآن خلال ألف وأربعمائة سنة ـ تفاسير وبحوث متعددة، تناولته من مختلف الجوانب، مستخدمة أساليب ومناهج متنوعة، وقد نُشرت نتائج البحوث حول القرآن في كتب التفسير؛ ولا شك في أنَّ فهم هذهِ التفاسير والاستفادة منها، مرهون بمعرفة مناهج التفسير، وكذلك، فإن إيجاد تفاسير منهجيَّة مُفيدة وكاملة، لا يكون مُيَسَّراً إلا في ظل معرفة هذهِ المناهج.

طريقة هذا الكتاب

ويعتمد منهج هذا الكتاب على تصنيف وتحليل المناهج العمليّة في تفسير القرآن، واتجاهات المفسرين، وذلك لكي يتّضّح منطق

التفسير؛ وقد دُوِّن بطريقة مُناسبة للتدريس، تحمل الطلاب على استخدام الطريقة المنهجيّة وتحثهم على التأمل والتفكير.

أهداف هذا الكتاب

1 ـ تبيين منطق تفسير القرآن، عن طريق تحليل المناهج والاتجاهات التفسيريَّة المستخدمة حتى الآن في مجال التفسير.

ملاحظة: منطق التفسير عبارة عن المناهج والمعايير المستخدمة في التفسير، والّتي تمنع بمراعاتها أخطاء المفسرين.

2 ـ مُناقشة صحة وفائدة هذهِ المناهج والاتجاهات، بشكل قوالب دراسيَّة تعليميَّة.

3 ـ ترتيب هذهِ المناهج والاتجاهات، على شكل قوالب دراسية وتعليمية.

خصائص الكتاب

1 ـ تعريف الاصطلاحات المذكورة في كل درس، مثل: المناهج، الاتجاهات، المدارس، المذاهب و... التفسيرية، في درس مستقل، بحيث يطّلع القارىء على آراء مختلفة في هذا المجال، وبعد ذلك، قمنا بتعريف هذه الاصطلاحات تعريفاً دقيقاً ومن ثم تعيين حدودها. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه المباحث، هي مباحث جديدة في القرآن والتفسير؛ ولهذا فإن تعريف هذه الاصطلاحات لا يزال غامضاً، وزواياه غير منقّحة. وقد سعينا في الدرس الأوّل إلى ترتيب هذه الاصطلاحات، ومنع الخلط في ما بينها.

2 ـ فصل المناهج التفسيرية الّتي تقوم على أساس المصادر

والمنابع المستخدمة عن الاتجاهات، وألوان التفسير الّتي تعتمد على تخصص وذوق وعقائد المفسِّرين.

3 ـ عرض المسائل على شكل دروس تعليمية منظَّمة مفهومه، تُعين الأستاذ على التدريس والاختبار، وتساعد الطالب على الفهم والاستفادة.

4 ـ يشتمل كل درس عادةً على اثني عشر عنواناً هي:

الأهداف التعليمية، العناوين الثانوية للدرس، المقدّمة، الاصطلاحات، لمحة تاريخيَّة، الآراء، الأدلة، نماذج عمليّة، خلاصة الدرس، الأسئلة، البحوث الجديدة، مصادر للمزيد من المعلومات.

وهذا الأسلوب في تدوين الكتب الدراسية، جاء على أَساس آخر ما وصل إليه علم النفس التربوي، وتقنيات التعليم، وهو من الأساليب النادرة، طبقاً لرأي بعض الأساتذة الأكفّاء.

5 ـ أُخضعَ هذا الكتاب للتجربة عدة مرات، ودُرِّس في عدة دورات في قسم التفسير في الحوزة العلمية بقم، وفي المركز العالمي للعلوم الإسلاميّة، وبعض مراكز الجامعات، وقد نُقِّح خلال هذه الفترة؛ فهو إِذن نص تعليمي مجرَّب.

6 ـ نُظِّم هذا الكتاب على شكل وحدتين دراسيتين في الأسبوع، وعلى الطالب اجتياز درس «المباني والقواعد التفسيريَّة»، كمقدّمة للدخول فيه.

بعض النقاط المفيدة في التدريس

1 ـ على ضوء الأَهداف التعليمية الّتي جاءت في الدرس الأوّل، فإن المطالب الرئيسة تقع على عاتق الأستاذ، أمّا الجزئيات فيتكفل بها الطالب.

2 ـ طُرحت تحقيقات وبحوث جديدة في كل درس، يتولىٰ بحثها الطلاب. وفي الدرس الثاني تُلقىٰ هذهِ البحوث في الصف من قِبَلِهم، بحيث تأخذ ثلث زمن الدرس.

3 ـ وردت أمثلة كثيرة ضمن كل درس، يمكن أَن تكون أَساساً للتمرين في كل منهج من مناهج التفسير.

4 ـ يقوم الأستاذ في كل جلسة بإحضار الكتب التفسيرية المتعلقة بتلك المناهج والاتجاهات؛ ليتعرف عليها الطلاب (خاصة في مجال اتجاهات التفسير) وبالاستفادة من المصادر المذكورة في آخر كل درس، يمكن الاطلاع على مصادر إضافية.

5 ـ بما أن الاتجاهات التفسيرية قابلة للاتساع بمرور الزمن، فعلى الأستاذ أن يُبين للطلاب اتجاهات أُخرىٰ (خصوصاً تحت مجموعة الاتجاهات الكلامية)، وبالاستفادة من الدرس الأوَّل، أو أن يقوم بتكليف الطلاب بدراستها، وطرحها في الدرس.

6 ـ لا يعتبر منهج التفسير بالرأي منهجاً صحيحاً ومعتبراً، وسوف نتناوله في آخر المناهج التفسيرية ـ كما هو الحال في الكتب الأُخرى، وإن كان من الأَفضل أَن يقوم الأستاذ بطرح هذا المنهج بعد الفصل التمهيدي، وقبل بحث المناهج الأُخرى؛ لأَنَّ هذا الاصطلاح (التفسير بالرأي) ومصاديقه سوف يتكرّران كثيراً خلال بحث المناهج الأُخرىٰ، ولذلك فلا بُدّ من معرفته والاطلاع عليه.

7 ـ ملحقات هذا الكتاب للمطالعة فقط، وإذا سمح الوقت، وكان هناك استعداد عند المُتلقِّين، يمكن أن يطرح حينئذ في الدرس.

8 ـ الأفضل تقسيم درجة هذا الدرس إلى ثلاثة أقسام: ربع الدرجة لإلقاء البحث في الصف، والربع الآخر للتحقيق، والباقي للامتحان التحريري.

9 ـ الامتحان في هذا الدرس يمكن أن يكون على صورتين:

أ ـ انتخاب أحد الأسئلة المطروحة في آخر كل درس.

ب ـ اختيار إحدى السور القرآنية الصغيرة من أحد التفاسير، مثل التفسير (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) للشيخ مكارم الشيرازي، واستنساخها في الورقة الامتحانية؛ ليقوم الطالب بتعيين المناهج والاتجاهات التفسيرية المستخدمة.

10 ـ عند قيام الأستاذ بتوضيح المطالب الأساسية، وعرض الآراء المختلفة، يحث الطالب على التفكير والتأمل ونقد هذه الآراء، ثم يخرج بنتيجة، بعد إضافة بعض المطالب.

وبعبارة أُخرى: إنّ هذا الكتاب ليس لزيادة محفوظات الطالب فقط، بل يعلمه طريقة التفكير النقدي، ويعطيه القدرة على تشخيص المناهج الصحيحة من الخاطئة، ويعلمه الطريقة المنهجّية في التفسير.

شُكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل الأساتذة الّذين أعانونا على إنجاز هذا الأثر القرآني، وأَخصُّ منهم آية الله الشيخ محمد هادي معرفة «رحمه الله»، وحجة الإسلام والمسلمين عز الدِّين رضا نجاد مدير قسم التخطيط وتدوين المناهج الدراسية في المركز العالمي للدراسات الإسلامية.

ونسأل الله العليّ القدير، أن يكون هذا الأثر مورداً لقبوله

تعالى، وقبول النبي الأكرم (ص) والأئِمة (ع)، وخطوة على طريق تقدّم التفسير المنهجي في العصر الحاضر.

كما لا يفوتني تقديم الشكر إلى الأساتذة والمحققين في العلوم القرآنية لما قدموه من العون في سبيل إتمام هذا الأثر القرآني بانتقاداتهم البنّاءة.

الحمد لله رب العالمين
قم المقدسة
محمد علي الرضائي الأصفهاني

1

مناهج واتجاهات تفسير القرآن

الأهداف التعليميَّة

1 ـ معرفة الاصطلاحات الأساسية في بحث الاتجاهات التفسيرية ومدىٰ الاختلاف في ما بينها.

2 ـ الاطلاع على أَهمية بحث المناهج والاتجاهات التفسيرية، وتأثيرها في التفسير.

3 ـ الاطلاع على تاريخ المناهج والاتجاهات التفسيرية.

4 ـ الاطلاع على عوامل نشأة المناهج والاتجاهات التفسيرية.

المقدمة

يشتمل علم التفسير ـ الذي يُعدّ من أهم العلوم الإسلاميّة ـ على ثلاثة أشياء، شأنه في ذلك شأن العلوم الأُخرى، وهي:

أ ـ موضوع علم التفسير، وهو القرآن الكريم نفسه.

ب ـ هدف علم التفسير، وهو فهم وتوضيح مفاهيم ومقاصد القرآن.

ج ـ منهج التفسير، وهو كيفيّة كشف معاني ومقاصد آيات القرآن.

ويحظىٰ استخدام المنهج في كل علم بأهمية خاصة؛ لأن تعلُّم المنهج الصحيح والاستفادة منه يوصل الإنسان إلى هدف العلم. في حين يُفضي عدم الاستفادة من المنهج الصحيح، أو الخطأ فيه إلى الابتعاد عن هذا الهدف.

إنّ استخدام «منهج التفسير» بالنسبة إلى القرآن بلغ من الأهمية حدّاً، بحيث عُدَّ استخدام بعض المناهج ممنوعاً وحراماً شرعاً، وقد أكدّت الأحاديث على أهمية هذا الأمر؛ بحيث إنه إذا قام شخص بتفسير القرآن بطريقة خاطئة، «كالتفسير بالرأي»، فإنّه يعتبر مخطئاً، وإن حصل على نتائج صحيحة[1].

وبعبارة أُخرىٰ: إنّ تعيين المنهج التفسيري الصحيح، لهُ موضوعية[2] في هذه المسألة، وإنّ معرفة المناهج والاتجاهات التفسيرية يُعتبر لازماً لكل مُفسِّر.

وإن إلقاء نظرة على تاريخ التفسير والمفسرين يكشف عن أن، المفسرين الذين يمتلكون منهجاً خاصاً في التفسير، كانوا أكثر نجاحاً من الآخرين، وتركوا آثاراً قيِّمة مثل التبيان، مجمع البيان، الميزان و... وقد أخذ هذا الكتاب علىٰ عاتقه هذه المسألة المهمة، وهي التعريف بمناهج التفسير واتجاهاته ومناقشتها.

---

(1) عن النبي (ص): «من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ». سنن الترمذي، ج4، كتاب تفسير القرآن، ح2961؛ الميزان، ج3، ص75.

(2) انظر: مبحث منهج التفسير بالرأي في هذا الكتاب.

نرجو من الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحظىٰ بعناية مفسري القرآن العظام، أعني النبي (ص) وأهل البيت (ع)، ويصبح مقدّمة نافعة في التفسير.

الاصطلاحات

المصطلحات الأساسية في باب (مناهج واتجاهات تفسير القرآن) عبارة عن:

أ ـ **المنهج**: وهو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن، والّتي يمكن من خلالها تبيين معنى ومقصود الآية والحصول على نتائج مشخَّصة وبعبارة أُخرى: إن كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن الكريم، هو ما يطلق عليه «منهج التفسير».

ب ـ **التفسير**: هو الكشف عن الإبهام في الجُمل والكلمات القرآنية، وتوضيح مقاصدها وأهدافها.

وبعبارة أُخرى: إن المقصود من التفسير، هو تبيين المُراد الاستعمالي لآيات القرآن، وتوضيح المُراد الجدّي، على أساس قواعد اللغة العربية، والأُصول العرفية للمحاورة[1].

ج ـ **الاتجاه**: المقصود من «الاتجاه» هنا، هو تأثير الاعتقادات

(1) عادةً ما يأتي تعريف التفسير في مباني المناهج التفسيرية. وقد جاء هنا خلاصة كلام: الراغب الأصفهاني صاحب المفردات؛ تاج العروس؛ قاموس القرآن؛ العلاّمة الطباطبائي، الميزان، ج1، ص4؛ السيوطي، الإتقان، ج2، ص192؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج1، ص13، وقد ذُكرت آراؤهم في كتاب: «در آمدى بر تفسير علمي قرآن» (مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن)، ص35 ـ 39.

الدينية، الكلامية، الاتجاهات العصرية، وأساليب كتابة التفسير، والّتي تتكوَّن على أَساس عقائد واحتياجات وذوق وتخصص المفسِّر.

ومن أَهم الاختلافات بين المنهج والاتجاه هي:

1 ـ يعتمد بحث المناهج على أَساس كيفية كشف المعنى ومقصود الآية.

2 ـ يتشكَّل بحث المناهج على أساس المصادر والأدوات التفسيرية، (مثل استخدام العقل والروايات).

3 ـ أكثر ما يطرح في بحث «الاتجاهات»، هو شخص المُفسِّر؛ أَي اعتقادات وأذواق واتجاهات شخص المُفسِّر، والّتي تعطي التفسير وجهة محدَّدة، وتطبعهُ بطابع خاص.

4 ـ تُطرح في بحث «الاتجاهات» مسألة نص التفسير، بأي أسلوب كُتب؟ وما هي أكثر المطالب الّتي يتضمَّنها من مسائل كلاميّة، أو أدبية، أو غيرها؟

ملاحظة

استُخدمت تعابير كثيرة في مسألة المناهج والاتجاهات مثل: المناهج، المذاهب، المدارس، الاتجاهات، الألوان، الأساليب. وسوف نقوم بتعريف هذه الاصطلاحات، ونبين الفروق بينها والآراء حولها، في بحث تقسيمات المناهج والاتجاهات.

نبذة تاريخية عن مناهج التفسير واتجاهاته

أ ـ النشأة والتطور

بدأ علم التفسير منذ صدر الإسلام، وكان مصدره الوحي

الإلهي الذي عرَّف الرسول (ص) كمفسِّرٍ للقرآن[1]. وكان الرسول (ص) يعتمد على القرآن نفسه في التفسير، ومن هنا نشأت طريقة تفسير القرآن بالقرآن[2]. وقد تصدىٰ أهل البيت (ع) والصحابة لتفسير القرآن على ضوء المنهج السابق، مع الاستفادة من المنهج الأثري؛ أي الاستناد إلى الروايات الصادرة عن الرسول (ص) في تفسير آيات القرآن[3].

وهناك مجموعة من المفسرين، تورطت بتفسير وتأويل القرآن طبقاً لميولها، ومن دون رعاية الضوابط والقرائن، ومن هنا نشأ التفسير بالرأي. وقد تصدّت الأحاديث الصادرة عن الرسول (ص) وأهل البيت (ع) لهذا النوع من التفسير ومنعتهُ بشدة[4]. ثم ظهرت مناهج وأساليب أُخرىٰ بين المسلمين ـ بشكل تدريجي ـ في القرن الثاني الهجري، فما بعده، نتيجة ترجمة آثار وكتب اليونان وإيران، ونفوذ أفكارهم وعلومهم.

وقد تكوَّنت الاتجاهات التفسيريِّة الكلامية بسبب ظهور المباحث الكلامية والفلسفية[5]، فكانت كل فرقة من فرق المسلمين كالأشاعرة والمعتزلة و... تفسِّر القرآن طبقاً لآرائها وعقائدها. التي كانت بدأت تأخذ منحى الاختلاف منذ القرن الأوّل الهجري مصحوبة بالاختلافات الفقهية، ما ترك تأثيراً واضحاً على تفسير الآيات الفقهية في القرآن.

وفي القرن الثالث فما بعده، بدأت تظهر أساليب جديدة في

---

(1) ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44].

(2) راجع: بحث منهج تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

(3) راجع: بحث منهج التفسير الأثري في هذا الكتاب.

(4) إنظر: بحث منهج التفسير الأثري في هذا الكتاب.

(5) انظر: **الميزان**، ج1، ص5.

التفسير، على يد العرفاء والمتصوفة، ما أدىٰ إلى تطوّر المنهج الإشاري في التفسير. أما محدّثو السنة والشيعة، فقد اكتفوا بنقل الروايات مُحدثين بذلك المنهج والاتجاه الأثري في التفسير، والذي ظهرَ في المرحلة الأُولىٰ ـ في القرنين الثالث والرابع الهجريين ـ على شكل تفاسير مثل: تفسير العياشيّ، والقميّ، والطبرسي. وفي المرحلة الثانية ـ من القرن العاشر حتى القرن الحادي عشر مثل **الدر المنثور، والبرهان، ونور الثقلين**. وخلال هذهِ الفترة؛ أي بعد المرحلة الأُولىٰ من ظهور التفاسير الروائية، بدأت تظهر التفاسير الفقهية بأسلوب موضوعي، وعلى شكل آيات الأحكام. وبعد أَن أخذت بعض التفاسير شكلها الطبيعي، مثل ***أحكام القرآن*** للجصَّاص الحنفي (المتوفّى سنة 370هـ)، ***وأحكام القرآن*** المنسوب إلى الشافعي (المتوفّى سنة 204هـ)، استمرت كتابة هذا النوع من التفاسير في ما بعد مثل: ***أحكام القرآن*** للراوندي (المتوفّى سنة 573هـ). ثم ظهرت في القرنين الخامس والسادس الهجريين التفاسير الجامعة الاجتهادية مثل: ***التبيان، ومجمع البيان***؛ وذلك بالاستفادة من العقل والاجتهاد، ومراعاة جميع الجوانب في التفسير، ولا تزال هذه الطريقة متداولة حتى الآن. وقد بادر بعض الفلاسفة إلى كتابة التفسير أيضاً. كما ظهرت وتطورت في القرن الأخير أساليب ومناهج جديدة في التفسير مثل: طريقة التفسير العلمي والاتجاه الاجتماعي[1].

ب ـ الكتابة في مجال المناهج والاتجاهات

يعتبر كتاب ***طبقات المفسرين*** من أقدم الكتب في هذا المجال، حيث تَناول فيه المؤلف ترجمة حياة المفسرين وآثارهم. ورغم أنه لم يتطرق إلى بحث المناهج والاتجاهات التفسيرية، لكنّه مفيد، باعتباره

---

(1) لقد ذكرنا بعض المصادر الّتي تتعلق بكل منهج تفسيري في آخر كل درس.

أقدم مصدر في هذا المجال. ثم يأتي بعد ذلك كتاب ***مذاهب التفسير الإسلامي*** للمستشرق المشهور «جولد زيهر»، وقد ترجمه إلى اللغة العربية «عبد الحليم النجّار»، ويعتبر كتاب ***التفسير والمفسرون*** للدكتور محمد حسين الذهبي من أهمّ مصادر هذا البحث، رغم أنه تناول بحث الاتجاهات أكثر من تناوله مناهج التفسير.

ومن الكتب الأُخرى المدَّونة في هذا المجال الكتاب القيِّم: ***التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*** لآية الله معرفة، حيث أورد فيه مطالب متنوعة في مجال الاتجاهات الأدبية، والاجتماعية، والعلمية و. . . وذلك تحت عنوان «الألوان» التفسيريَّة.

وأخيراً كتاب ***مباني وروشهاي تفسير قرآن*** (مبادئ ومناهج التفسير) للأستاذ عميد الزنجاني، والذي اشتمل على مسائل في موضوع المناهج التفسيريَّة، وإن لم يتناول بحث الاتجاهات، بما فيه الكفاية.

وهناك بعض الكتب الّتي تناولت هذا الموضوع من زاوية خاصة، مثل: ***اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث*** الدكتورة عفت محمد الشرقاوي، و***الطبرسي ومجمع البيان*** للدكتور حسن كريميان، و***روشهاي علاّمة طباطبائي (قده) در الميزان*** ـ بالفارسية ـ للأستاذ علي الأوسي، و***التفسير العلمي للقرآن في الميزان*** للدكتور أحمد عمر أبو حجر، **ودرآمدى بر تفسير علمى قرآن** ـ بالفارسية ـ لكاتب السطور، حيث تناولنا فيه بعض المباحث التي تتعلق بمنهج التفسير العلمي والمعايير المستخدمة فيه، وهناك كتب أُخرى في المناهج التفسيريَّة لكلٍّ من الشيخ محمد عَبدَه، ورشيد رضا، والفخر الرازي، والزمخشري[1].

(1) لقد ذكرنا بعض المصادر الّتي تتعلق بكل منهج تفسيري في آخر كل درس.

أسباب نشوء الاتجاهات والمناهج التفسيرية

من خلال هذه المقدمة التاريخيّة، واستقراء تاريخ التفاسير والمفسرين، يمكن اعتبار العوامل الآتية مؤثرة في نشوء وتطور بعض هذه المناهج والاتجاهات:

أ ـ طبيعة القرآن

نزل القرآن الكريم بمسائل متنوعة خلال ثلاث وعشرين سنة، مشتملاً على مجموعة من الآيات، يرتبط بعضها ببعضها الآخر؛ أي أن بعض الآيات، يفسّر ويوضّح الآيات الأُخرىٰ، فلا يكون التفسير كاملاً، وصحيحاً ما لم تؤخذ بنظر الاعتبار الآيات والقرائن الأُخرىٰ: «الناسخ، الخاص، المقيّد»[1]. ومن ثمَّ فإن فهم وتفسير الآيات والكلمات القرآنية، يقتضي مراجعة الآيات الأُخرىٰ ـ شأن أي كتاب آخر يُراد فهمه ـ ومن هنا ظهر هذا المنهج في التفسير: (تفسير القرآن بالقرآن)، وقد استخدم الرسول (ص) وأهل البيت (ع) هذه الطريقة في التفسير، وأرشدونا إلى استخدامها.

ب ـ الأمر القرآني

لقد جاء في الذكر الحكيم، أنّ النبي الأكرم (ص)، هو المبيِّن والمفسِّر للقرآن[2]؛ أي أن كلام، وأعمال النبي (ص) في، ما يتعلق بالآيات، يعتبر تفسيراً للقرآن وحجة على الناس، ويمكن أن يكون أساس فهم الآيات والعمل بها. إنّ هذا الأمر القرآني، هو السبب في نشوء المنهج والطريقة الروائية في التفسير؛ أي إنّ المسلمين أخذوا يعتنون كثيراً بالروايات الصادرة عن الرسول (ص)، وأهل

---

(1) إنظر: بحث منهج تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

(2) ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل: الآية 44].

البيت (ع) من بعده، وجمعوها في كتب الروايات التفسيرية، واستخدموها في فهم وتفسير القرآن.

ج ـ اعتقادات وآراء المفسرين (نشوء المذاهب والمدارس)

ظهرت بعد وفاة النبي (ص) الفرق والمذاهب المختلفة كالشيعة والسنة، ومن بين أهل السنة ظهرت المذاهب الفقهية، (الحنفية، الحنبلية، المالكية والشافعية) ونشأت المدارس الكلاميَّة المشهورة كالمعتزلة والأشعريّة، إضافة إلى ظهور فرق أُخرى كالمتصوفة مثلاً، وقد امتد الاختلاف إلى ساحة القرآن وتفسيره، فسعت كل فرقة ومذهب إلى تفسير آيات القرآن، بما يُثبت عقائدها وآراءها، وقامت بتأويل الآيات المخالفة بنفس هذه الطريقة[1]. نرى ذلك في تفسير الآيات المرتبطة ببحث الجبر والتفويض في مذهب الأشاعرة والمعتزلة، (مثال ذلك: التفسير الكلامي في التفسير الكبير للفخر الرازي، وتفسير ابن كثير، وتفسير البيضاوي).

د ـ الاعتماد على الرأي والعقائد الشخصيَّة

اتجه بعض الأَفراد إلى تفسير القرآن طبقاً لآرائهم الشخصيَّة وأهوائهم النفسيَّة، أو من أَجل الدفاع عن مذهب معين، دون الأخذ بنظر الاعتبار القرائن النقلِّية والعقلِّية. وقد سُمّي هذا النوع من التفسير بـ «التفسير بالرأي»، حيث اتّخذ طابعاً منهجياً بصورة تدريجيَّة، وقد شدّدت الروايات على ذمّه، والنهي عن الخوض فيه[2].

---

(1) نبّه العلاّمة الطباطبائي إلى هذا العامل في تفسيره: الميزان، ج1، ص5، 6، وأطلق على هذه الطريقة «التطبيق».

(2) انظر: بحث «منهج التفسير بالرأي» في هذا الكتاب.

هـ ـ نفوذ أفكار وعلوم غير المسلمين إلى الساحة الإسلامية

بدأت حركة ترجمة كتب اليونان وإيران في القرن الثاني الهجري، وذلك في مجال العلوم العقليّة والتجريبيّة؛ ما سبب نمو العلوم الطبيعية، ونشوء الفلسفة بين المسلمين[1]. وقد امتدَّت جذور الاتجاه الفلسفي إلى تفسير آيات القرآن. ويمكن أن نجد نماذج من تأثير العلوم التجريبيَّة في كتب ابن سينا. ثم تبدّل هذا الأسلوب إلى حركة قويَّة[2] فظهرت تفاسير جديدة اعتماداً على ذلك، مثل: ***الجواهر في تفسير القرآن الكريم*** للطنطاوي.

و ـ اختلاف المصادر وأدوات التفسير

أحد العوامل المؤثرة في نشوء وتطور طرق التفسير، هو استفادة المفسرين من مصادر وأدوات مختلفة في تفسير القرآن. فبعض المفسرين، استفاد من العقل أكثر من غيره، واتجه إلى المنهج العقلي والاجتهادي في تفسير القرآن، في حين أكثر بعضهم من الروايات في التفسير، واتجه إلى المنهج والطريقة الروائية، مثل تفسير: ***نور الثقلين، والدر المنثور***، بينما نجد هناك من استخدم العلوم التجريبيّة في تفسير القرآن، واتجه إلى طريقة ومنهج التفسير العلمي، مثل: ***الجواهر*** للطنطاوي كما سبق وذكرنا، وهناك من اختار المنهج الإشاري، والاتجاه العرفاني والصوفي في التفسير؛ لأنهم استفادوا من المكاشفات العرفانيّة في التفسير، مثل تفسير ***كشف الأسرار للميبدي***.

---

(1) أشار العلاّمة الطباطبائي إلى هذه المسألة في تفسير الميزان، ج1، ص5، 6، وأطلق عليها (التطبيق)، وكذلك الأستاذ عميد الزنجاني الذي ذكر هذه المسألة في (مباني وروشهاي تفسير قرآن)، ص175.

(2) انظر: بحث منهج التفسير العلمي والاتجاه الفلسفي في هذا الكتاب.

وإن الاستفادة من هذه المصادر والأدوات تعطي نتائج خاصة في التفسير، وقد أدّت إلى ظهور وتطور المناهج والاتجاهات التفسيريَّة.

ز ـ الاتجاهات العصرية للمفسرين

أحد العوامل المؤثرة في نشوء الاتجاهات التفسيريّة، هو الرغبة والحاجة والضرورة الزمانية للمفسر. فمثلاً: قد يعيش أَحد المفسرين في بلد تخيّم عليه أجواء الحرب مع إسرائيل، فيتخذ تفسيره طابعاً حماسياً وجهادياً، أو قد يعيش في بلد تكون الحاجة فيه ضرورية إلى المسائل المعنوية والأَخلاقيَّة والتربويَّة؛ وحينئذٍ تصبغ هذه المسائل تفسيره بلونٍ خاص. وقد يتجه المفسِّر إلى الاتجاه الاجتماعي من أجل حل المشكلات الاجتماعيَّة والتربويَّة، (مثل تفسير: ***في ظلال القرآن*** لسيد قطب، وتفسير **نمونه *(الأمثل)*** لآية الله مكارم الشيرازي).

ـ تخصُّص المفسِّر ورغبتهُ في علم من العلوم

أحد العوامل المؤثرة في ميل المفسر إلى أسلوب من أساليب التفسير، هو تخصُّص المفسر، ورغبتهُ في علم من العلوم، فقد يكتب أحد المفسّرين تفسيراً أدبيَّاً بسبب تخصصه في العلوم الأَدبيَّة، مثل: ***الكشّاف للزمخشري***. وربّما يكون تخصصهُ في الكلام، فيترك تفسيراً كلامياً، مثل: ***التفسير الكبير*** للفخر الرازي وقد يكون المفسّر مولعاً بالعلوم التجريبيّة فيكون تفسيرهُ ذا طابع تجريبي، مثل: ***الجواهر للطنطاوي***.

ط ـ أسلوب الكتابة

وقد يرغب بعض المفسرين باختيار أسلوب خاص في كتابة تفسيره، فتتعدد التفاسير تبعاً لذلك، فهناك التفسير الترتيبي،

والموضوعي، والمزجي، والمختصر، والمفصّل، والجامع، وغير الجامع. وجميع هذه الطرق تتعلق بأسلوب الكتابة، وطبيعة ذوق المفسِّر.

مُلاحظة

هذه أهم العوامل المؤثرة في نشوء المناهج والاتجاهات التفسيرية. وربّما يمكن دمج بعضها ببعضها الآخر، أو قد توجد عوامل وأسباب أُخرىٰ. فما ذكرناه، هو خلاصة هذه المباحث، ويقع التفصيل علىٰ عاتق المحققين.

تقسيم المناهج والاتجاهات التفسيرية

لقد قُسِّمت المناهج والاتجاهات التفسيرية تقسيمات متعددة من جهات مختلفة، وسوف نقوم باختيار التقسيم المناسب، ثم نشير إلى الآراء الأُخرى في هذا المجال.

1 - تقسيم المناهج

يمكن تقسيم مناهج تفسير القرآن إلى قسمين رئيسين وأقسام فرعية أُخرىٰ، على أَساس كيفيّة استخراج معاني القرآن ومقاصده، وكذلك المصدر المستخدم في التفسير.

أ - المناهج التفسيريّة الناقصة

1 - منهج تفسير القرآن بالقرآن.

2 - منهج التفسير الأثري (التفسير على أساس السنّة).

3 - منهج التفسير العلمي (باستخدام العلوم التجريبيّة في فهم القرآن).

4 ـ منهج التفسير الإشاري (العرفاني، الصوفي، الباطني، الرمزي، الشهودي).

5 ـ منهج التفسير العقلي والاجتهادي.

6 ـ منهج التفسير بالرأي (المنهج الممنوع في تفسير القرآن).

ب ـ المنهج الكامل في التفسير

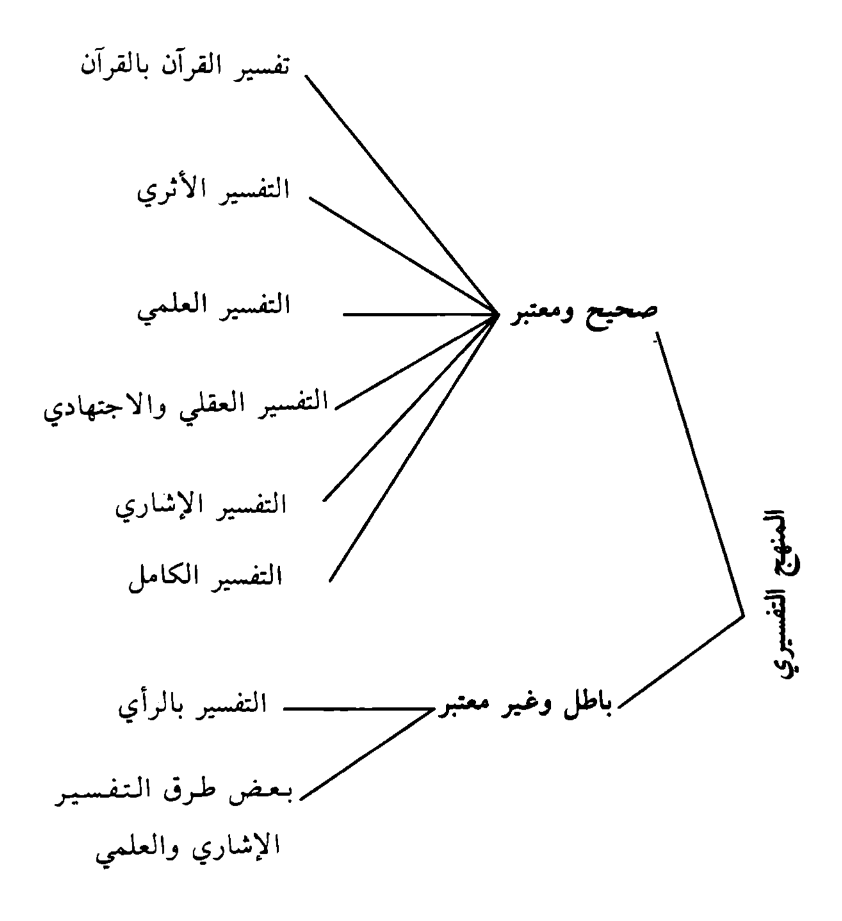
المقصود بذلك، هو المنهج الذي يستفيد من جميع هذهِ الطرق (المناهج المذكورة سابقاً)، لكي يتبيَّن مقصود الآيات بصورة كاملة من جميع الجوانب.

إن التفسير الصحيح والمعتبر، هو الذي يستفيد من جميع هذه المناهج (الخمسة) في مكانها المناسب. وقد لا يكون هناك استخدام لبعض المناهج في بعض الآيات ،فمثلاً: قد لا توجد رواية في تفسير بعض الآيات، أو لا توجد إشارة علميَّة (العلوم التجريبية) في بعض الآيات. فإذن المنهج الكامل المستخدم في مورد تلك المجموعة من الآيات، هو الذي يمكن أن يستفيد ـ قدر الإمكان ـ من المناهج المناسبة والمتعددة، ومن الطبيعي أن عدد المناهج المستخدمة يرتبط بالآية، وإمكانية الاستفادة من المناهج الصحيحة في هذا المجال.

ملاحظة

إنّ التفسير بالرأي لا يعتبر تفسيراً صحيحاً ومعتبراً؛ وفي الحقيقة لا يعتبر تفسيراً للقرآن (سيأتي بيانه في بحث التفسير بالرأي). وذكره بين أنواع المناهج التفسيرية، هو من أجل رَدِّهِ والتنبيه على خطره؛ أي أننا إذا تعرّضنا للمناهج التفسيرية، بصورة عامّة (أعم من كونها صحيحة أو خاطئة)، فحينئذ سيدخل التفسير

بالرأي في نطاقها؛ وهناك تقسيم آخر على أساس اعتبار وعدم اعتبار هذهِ المناهج، وهو عبارة عن:



وسوف نقوم بدراسة وبحث كل من هذه المناهج، وأقسامها الفرعية، وكيفية اعتبارها في ما بعد.

2 ـ تقسيم الاتجاهات التفسيرية

يمكن تقسيم الاتجاهات التفسيرية إلى أقسام فرعية على أساس: الاعتقادات، الأفكار، الاتجاهات العصريّة، طريقة الترتيب، الذوق، والتخصص العلمي للمفسرين، وإليك البيان:

أ ـ المذاهب التفسيرية

فسَّرَ أصحاب المذاهب الإسلامية آيات القرآن على أساس العقائد الّتي يؤمنون بها، فربما يختار المفسِّر في تفسيره أحد المذاهب، أو يتخذ طريقة خاصة. فمثلاً: اعتنى مفسرو الشيعة ـ طبقاً لإرشادات أئمتهم ـ بظاهر وباطن القرآن وبالآيات المتعلقة بأهل البيت، فراعوا عصمة الأنبياء في تفسيرهم لآيات القرآن و...

ومن هنا، نشأ أسلوب خاص في التفسير. كما لجأت الفرقة الإسماعيلية إلى التفسير الباطني والرمزي، أما الخوارج، فلهم أسلوبهم الخاص في التفسير. وعلى هذا، فقد اتخذ كل منهما مذهباً خاصاً في التفسير، ويمكن أن نلحق تفاسير الصوفية بالمذاهب التفسيرية كذلك.

ب ـ المدارس التفسيرية (الاتجاهات الكلامية)

أقدمَ بعض أصحاب المدارس الكلامية كالمعتزلة، والأشاعرة، ومتكلمي الشيعة، على تفسير القرآن على أساس ميولهم الفكرية، فمثلاً: كتب الزمخشري تفسيره ***الكشّاف*** بأسلوب كلامي.

ج ـ الألوان التفسيرية

ذهب المفسرون الذين لهم تخصص، أو اهتمام بعلم من العلوم، إلى كتابة تفاسيرهم على أساس ذلك التخصّص، أو الاهتمام؛ فأكثروا من طرح المباحث الّتي تخصصوا فيها. ومن هنا،

ظهرت اتجاهات وألوان تفسيرية متعددة منها: اللون الأدبي، الفقهي، الاجتماعي، العرفاني، الأخلاقي، التاريخي و...

د ـ الاتجاهات العصرية في التفسير

قد يذهب بعض المفسرين إلى أحد الاتجاهات في التفسير، نتيجة للظروف المحيطة به، ونتيجة لعامل الاحتياج والضرورة؛ إذ ربما تكون المسائل المعنوية والتربوية والأخلاقية من أهم المسائل في عصر المفسِّر؛ فيتوجه إلى الآيات الأخلاقية والمعنوية في تفسيره، بصورة أكثر من غيرها، كما هو الحال في تفسير ***في ظلال القرآن*** و....

وربما تكون عناية المفسر بالأُمور الجهادية والسياسيِّة ومناهضة الاستبداد، فتحدو به هذه العناية إلى التركيز على الآيات المتعلقة بهذا الموضوع أكثر من غيرها، مثل: ***تفسير المبين*** لمحمد جواد مغنية.

وقد يكون هَمّ المفسِّر، هو الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، فيأخذ تفسيره مثل هذا الطابع وهكذا.

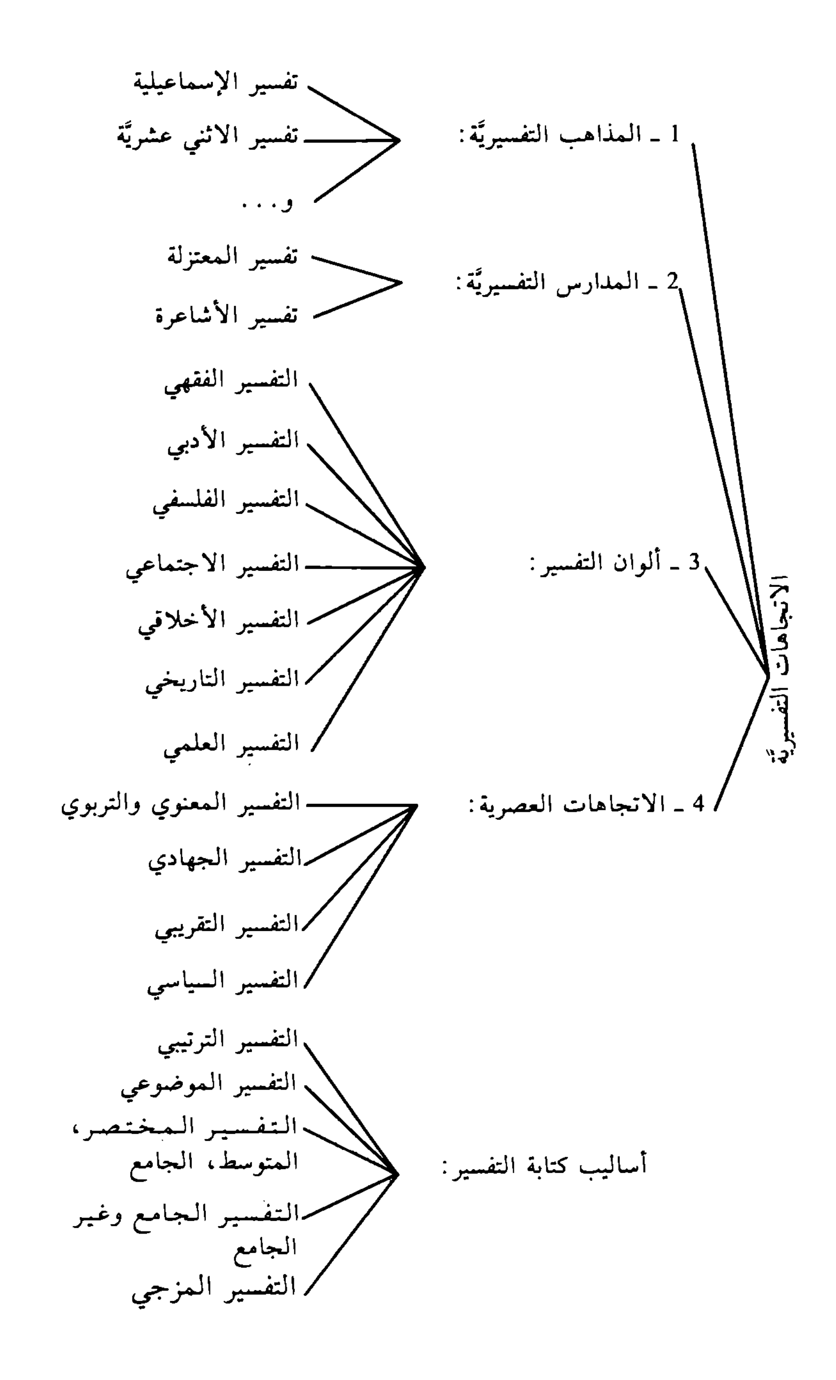
ملاحظة حول طرق كتابة التفسير

تختلف أساليب الكتابة عند المفسرين؛ وتتفاوت على أساس الذوق ومراعاة حال المخاطب.

فقد يكون التفسير ترتيبيّاً؛ أي تفسير القرآن آية آية، ومن أوّله إلىٰ آخره، كما هو الحال في أكثر التفاسير. أو قد يكون موضوعيّاً، فيختار المفسِّر أحد المواضيع، ويجمع كل ما يتعلق به في جميع الآيات والسور، ثم يخرج بنتيجة معيّنة كما في تفسير ***پيام قرآن***، لآية الله مكارم الشيرازي؛ ***ومنشور جاويد*** لآية الله السبحاني و....

وربّما يُكتَب التفسير بصورة مختصرة، أو متوسطة، أو مفصلة؛ أي من حيث الحجم والكميَّة، كما هو الحال في التفاسير: ***الأصفىٰ***، ***والمصفّى***، ***والصافي*** للمرحوم الفيض الكاشاني، وكذلك التفاسير: ***الوجيز***، ***والجوهر الثمين***، ***وصفوة التفاسير*** للمرحوم عبد الله شبّر، وأيضاً التفاسير الثلاثة للمرحوم الطبرسي وهي: ***جوامع الجامع***، ***ومجمع البيان***، ***والكافي الشافي***، فالأول مختصر، والثاني متوسط، والثالث مفصّل. وربما يأتي التفسير على شكل متن وشرح، فتكون الآية متناً، والتفسير شرحاً للآية، وقد يختلط التفسير بالآيات، بصورة مزجيَّة، مثل: تفسير شُبَّر، ***ونفحات الرحمن*** للنهاوندي.

وفي بعض الأحيان يكون التفسير شاملاً لجميع آيات القرآن، مثل، ***مجمع البيان***، وأُخرىٰ ناقصاً ومُشتملاً علىٰ سورة واحدة أو عدد من السور، أو حتى مجموعة من السور، مثل: تفسير ***أحكام القرآن*** للراوندي الذي يشتمل على الآيات الفقهية فقط، وتفسير ***آلاء الرحمن*** للبلاغي، وهو تفسير ناقصٌ لم يكتمل. ثم إنّهُ قد يكون التفسير جامعاً لـ(علوم القرآن، اللغة، والأدب، والأقوال والروايات)، وقد يكون مختصاً بفن من الفنون، مثل، (التفاسير الروائية أو الأدبيَّة).


الاتجاهات التفسيريّة
1 ـ المذاهب التفسيريّة:
تفسير الإسماعيلية
تفسير الاثني عشريَّة
و. . .
2 ـ المدارس التفسيريّة:
تفسير المعتزلة
تفسير الأشاعرة
3 ـ ألوان التفسير:
التفسير الفقهي
التفسير الأدبي
التفسير الفلسفي
التفسير الاجتماعي
التفسير الأخلاقي
التفسير التاريخي
التفسير العلمي
4 ـ الاتجاهات العصرية:
التفسير المعنوي والتربوي
التفسير الجهادي
التفسير التقريبي
التفسير السياسي
أساليب كتابة التفسير:
التفسير الترتيبي
التفسير الموضوعي
التفسير المختصر، المتوسط، الجامع
التفسير الجامع وغير الجامع
التفسير المزجي

الملاحظة (1): قد توجد تقسيمات أُخرى أيضاً، وربّما تتداخل هذه المصطلحات، بعضها مع البعض الآخر، أو قد يكون هُناك خلط بين المناهج والاتجاهات، ولكننا نرىٰ أن ما ذكرناهُ هو الأصح. وسوف نستمر في بيان الآراء الأُخرىٰ في هذا المجال، ثم نقوم بمناقشتها بعد ذلك.

الملاحظة (2): قد تعتبر بعض طرق التفسير جزءاً من مناهج التفسير من جانب، ومن الاتجاهات من جانب آخر. فالتفسير العلمي مثلاً: قد يكون من المناهج فيما إذا استخدمت العلوم في فهم القرآن، وأعطت نتائج مشخَّصة وجديدة، وأُخذت كمصدر في التفسير. أما إذا اقتُصِر على مجرد نقل مسائل العلوم التجريبية في التفسير (*كالجواهر* للطنطاوي)، فهنا يلحق هذا النوع من التفسير بالاتجاهات، وليس بالمناهج. وهذه المسألة تصدق على التفسير الإشاري (العرفاني والباطني) أيضاً، كما سيأتي في البحوث الآتية بصورة واضحة.

الملاحظة (3): إن هذه المناهج والاتجاهات، يكمِّل بعضها بعضاً، فلا يعني القبول بأحدها نفي الآخر. نعم؛ هناك منع من بعض المناهج، كالتفسير بالرأي، وبعض الطرق الفرعية للمنهج الإشاري والعلمي، كما سيأتي في ما بعد.

3 ـ آراء المتخصصين في تقسيم المناهج والاتجاهات

تعتبر هذه المباحث من الموضوعات الجديدة في مجال تفسير القرآن، وهي في حالة نمو وتطور، وفي كل سنة تُحرّر مقالات وتُدوَّن كتب عِدَّة في هذا المجال، وتطرح آراء جديدة. فلا مانع من وجود بعض النواقص في تقسيم المتخصصين، باعتبارهم أصحاب الخطوة الأولى في هذا المجال، ونحن نشير هنا إلى أهم وأشهر هذه التقسيمات:

أ - تقسيم جولدزيهر[1]

تناول هذا المستشرق التفسير بالمأثور أوّلاً، ثم التفسير بالرأي. وذكر الروايات الواردة في مقدمته. وبعد ذلك قسّمَ التفسير على ضوء العقائد؛ فذكر طريقة المعتزلة في التفسير، ونماذج من كلامهم، وفي فصل آخر، تناول طريقة الصوفية في التفسير والمنهج الإشاري، وتأثرهم بـ (فيلون)، ثم ذكر تفسير إخوان الصفا والإسماعيلية الباطنية. وفي فصل آخر، قسَّم التفسير على ضوء الفرق الدينية. فذكر تفسير الشيعة، الخوارج، الغُلاة و. . . وأخيراً ذكر التفاسير الجديدة في العالَم الإسلامي: منهج أمير علي في الهند بعنوان المعتزلة الجُدد، ومنهج جمال الدين الأفغاني، والحركة الجديدة في مصر ومنهج محمد عبده ورشيد رضا صاحب *المنار*[2].

المناقشة

المستشرق المذكور هو أحد مبدعي هذا البحث، وهو أول من خطا الخطوات الأولى فيه ومع هذا، فإنّ كتابه لا يخلو من إشكال؛ فليس هناك نظام منطقي حاكم على هذه المباحث، ولم يتناول بحث المناهج مثل: (منهج التفسير بالمأثور)، والاتجاهات بصورة كاملة، بالإضافة إلى أنّه لم يتعرض إلى بعض المناهج.

ب - تقسيم الدكتور الذهبي

بعد أن تناول التطور التأريخي للتفسير من عصر النبي (ص) فما

---

(1) Ignaz Goldziher (١٨٥٠ ـ ١٩٢١م) مستشرق يهودي مَجريّ، دَرسَ في بودابست، وبرلين، والأزهر في مصر. (أُنظر: عبد الرحمن بدوي، فرهنگ كامل خاورشناسان، ص٣٣٦، ترجمة: شكر الله خاكرند).

(2) إيغناس جولدزيهر، **مذاهب التفسير الإسلامي**، ترجمة: الدكتور عبد الحليم النجّار.

بعده، قام الذهبي بتقسيم التفسير إلى فرعين رئيسين، هما:

1 - التفسير بالمأثور (الأثري).

2 - التفسير بالرأي.

ثم قسّم التفسير بالرأي إلى فرعين أيضاً: ممدوح (التفسير العقلي) ومذموم[1]. ثم اعتبر التفسير بالرأي المذموم، هو تفسير الفرق والمذاهب وهي:

1 - تفسير المعتزلة.

2 - تفسير الشيعة (الاثني عشرية).

3 - تفسير الشيعة (الإسماعيلية).

4 - تفسير الشيعة (الزيدية).

5 - تفسير البابيَّة والبهائية.

6 - تفسير الخوارج.

7 - تفسير الصوفية (التفسير الإشاري).

8 - تفسير الفلاسفة.

9 - تفسير الفقهاء.

10- التفسير العلمي (العلوم والفلسفة).

11- الأساليب التفسيرية في العصر الجديد مثل: (التفسير العلمي، التفسير المذهبي، التفسير الإلحادي، التفسير الاجتماعي و...)[2].

---

(1) **التفسير والمفسرون**، ج1، ص255 - 284.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص2، 3.

المناقشة

يبدو أن تقسيم الدكتور الذهبي لا يتمتع بنظام منطقي؛ لأنّه يستخدم مصطلح التفسير الأثري، في مقابل التفسير العقلي والاجتهادي، بالإضافة إلى أن تقسيم التفسير بالرأي إلى ممدوح ومذموم غير صحيح، وسيأتي بيان ذلك في بحث منهج التفسير بالرأي، والمنهج العقلي في التفسير، كما أنّه خلط في تقسيمه المذكور بين المذاهب التفسيرية والمدارس؛ لأن فرق الشيعة تقع في قبال فرق أهل السنة، وليس في مقابل الفرق الكلامية مثل: (المعتزلة)، إلا إذا كان المقصود بالشيعة، هم متكلمو الشيعة.

ج - تقسيم آية الله معرفة

قَسّم الشيخ معرفة التفسير إلى فرعين:

أ - التفسير بالمأثور ويشمل:

1 - تفسير القرآن بالقرآن.

2 - تفسير القرآن بالسنّة.

3 - تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

4 - تفسير القرآن بأقوال التابعين.

- **التفسير الاجتهادي** (أي على أساس النظر والاستدلال العقلي):

ثم ذكر أن هذه الطريقة التفسيرية (الاجتهادي) تقسّم على أساس القدرة العلميّة، وأنواع العلوم الّتي يمتلكها المفسرون إلى ألوان مختلفة:

1 ـ اللون المذهبي.

2 ـ اللون الكلامي.

3 ـ اللون الصوفي العرفاني (الباطني)[1].

4 ـ اللون الفلسفي.

5 ـ اللون اللغوي والأدبي.

6 ـ التفسير الفقهي (آيات الأحكام).

7 ـ التفاسير الجامعة[2].

8 ـ التفسير العلمي.

9 ـ التفسير الاجتماعي.

المناقشة

يعتبر هذا التقسيم أفضل من تقسيم الدكتور الذهبي بكثير، ولكنه اعتبر طُرق التفسير العلمي والعرفاني (الإشاري) من الألوان التفسيرية، في حين يمكن عدُّها من المناهج، ومن الألوان، أيضاً كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وسوف يأتي بحثها بصورة مفصّلة، كما أنّه وضع التفسير المذهبي ضمن الألوان التفسيرية[3]، وفي مكانٍ آخر اعتبره جزءاً من الألوان الكلامية[4].

---

(1) **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص18 ـ 27.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص394 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ص18.

(4) المصدر نفسه، ص353.

د ـ تقسيم الأستاذ عميد الزنجاني

قام الأستاذ الزنجاني بتقسيم المناهج إلى عدة أقسام:

1 ـ المنهج النقلي في التفسير أو التفسير بالمأثور.

2 ـ منهج التفسير بالرأي.

3 ـ منهج التفسير الاجتهادي أو العقلي.

4 ـ منهج التفسير الإشاري.

5 ـ منهج التفسير الرمزي (والشهودي).

6 ـ منهج تفسير القرآن بالقرآن.

7 ـ منهج التفسير الجامع (على أساس الكتاب والسنة، والإجماع والعقل).

8 ـ منهج التفسير الهرمنيوطيقي.

المناقشة

ويعتبر الأستاذ الزنجاني من المتقدمين في طرح هذهِ المباحث (المناهج التفسيرية)، وقد أضيف أخيراً بحث منهج تفسير الهرمنيوطيقا إلى الكتاب في طبعته الجديدة، وهو ما يستحق التقدير، ولكن هناك عدة نقاط في هذا التفسير تدعو للتأمل في هذا التقسيم:

1 ـ اعتبر مناهج التفسير: الإشاري، والرمزي، والشهودي؛ ثلاثة مناهج مستقلة[1] بعضها عن البعض الآخر، بينما هي أنواع

---

(1) ذكر المنهج الإشاري والرمزي في الفهرس، وأضاف إليهما المنهج الشهودي في متن الكتاب.

لمنهج واحد، كما سيأتي بيانه في بحث منهج التفسير الإشاري.

2 ـ يعتبر «التفسير الأثري» أعم من التفسير الروائي، وتفسير القرآن بالقرآن، في حين نجده استخدم هذا الاصطلاح في معنى خاص؛ أي التفسير بالرواية.

3 ـ لم يتناول بحث الاتجاهات التفسيريَّة، إلا بصورة مقتضبة خلال البحث.

4 ـ لم يتناول «منهج التفسير العلمي» بصورة مستقلة ومناسبة، إلا بصورة هامشية وناقصة، بالإضافة إلى اعتباره هذا المنهج جزءاً من التفسير بالرأي.

هـ ـ تقسيم محمد علي الصغير

قسَّم الصغير مناهج تفسير القرآن إلى ما يلي:

أوّلاً: النوع الشائع الذي يكون مورد قبول المحققين، والذي عادةً ما يتضمّن: المنهج الأَثري اللغوي، المعجمي، والأَدبي.

ثانياً: القسم الحادث، مما لا منع منه، والذي يشمل: الاحتجاجي، الكلامي، الفلسفي، العرفاني، والعلمي.

ثالثاً: التفسير المنهي عنه، كالتفسير الرمزي، للصوفية والباطنيَّة، والتفسير بالرأي[1].

و ـ تقسيم خالد بن عثمان السبت:

قسَّم السبت مناهج التفسير بهذه الطريقة:

---

(1) محمد حسين علي الصغير، **المبادىء العامة لتفسير القرآن الكريم**، ص77.

1 - تفسير القرآن بالقرآن.

2 - تفسير القرآن بالسنّة.

3 - تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

4 - تفسير القرآن بأقوال التابعين.

5 - تفسير القرآن باللغة.

6 - تفسير القرآن بالرأي[1].

المناقشة

لم يذكر بعض المناهج التفسيرية، إضافةً إلى وجود خلط بين المناهج والاتجاهات.

ز - تقسيم الشيخ خالد عبد الرحمن العك

بعد أن ذكر أنَّ أفضل مناهج التفسير، هو تفسير القرآن بالقرآن، قام بتقسيم مناهج التفسير على النحو التالي:

1 - التفسير النقلي (التفسير بالمأثور):

1 - تفسير القرآن بالقرآن.

2 - تفسير القرآن بروايات النبي (ص).

3 - تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

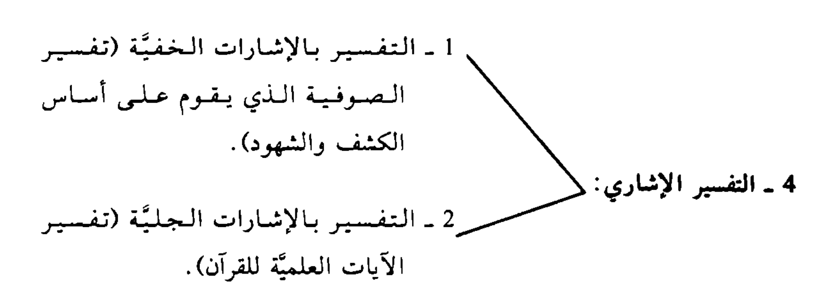
4 - تفسير القرآن بأقوال التابعين.

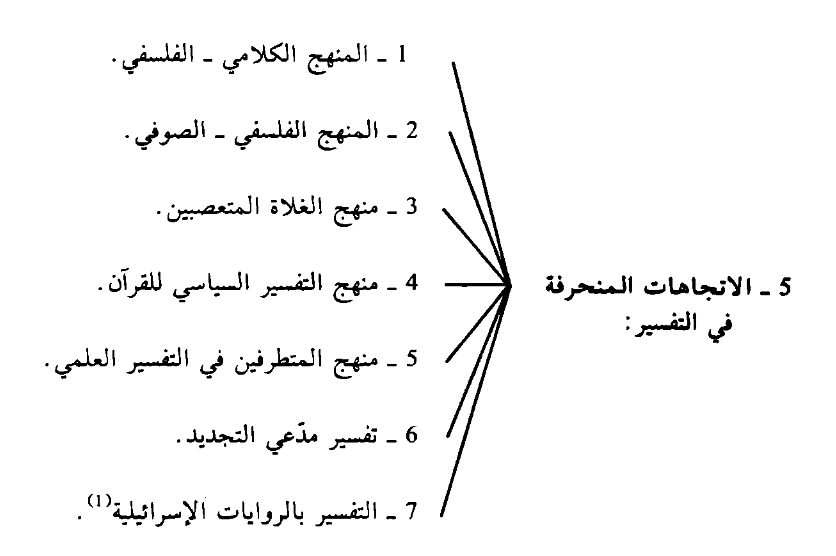
2 - التفسير اللغوي.

3 - التفسير العقلي والاجتهادي

---

(1) خالد بن عثمان السبت، **قواعد التفسير**، ج2، ص104 وما بعدها.





المناقشة

خلط بين الاتجاهات والمناهج، ووضع التفسير اللغوي إلى جانب التفسير العقلي، واعتبر التفسير العلمي جزءاً من التفسير الإشاري (إلى جانب التفسير الصوفي والعرفاني) وأورد بعض الألوان التفسيرية بعنوان: الاتجاهات العصريَّة.

---

(1) خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، ص77 ـ 261.

الخلاصة

يمكن الخروج من هذا الدرس بالنتائج التالية:

1 ـ يحظىٰ منهج تفسير القرآن بأهميَّة خاصّة؛ فالإحاطة بهذا البحث يطور عُدَّة المفسِّر في التفسير، وإن كان هذا العِلم ما زال في طور النمو والتحول.

2 ـ يدل مصطلح مناهج التفسير على المصادر والأدوات، ويعالج كيفية استخراج معاني الآيات ومقاصدها، أما الاتجاهات التفسيرية، فتتعلق بذوق، وعقائد، وعلوم المفسر، وأسلوب الكتابة.

3 ـ بدأت بعض المناهج بالظهور في عهد الرسول (ص)، وقد ظهرت وتطورت أساليب ومناهج جديدة في القرن الثاني الهجري نتيجة لعوامل مختلفة.

4 ـ العوامل المؤثرة في نشوء وتنوع المناهج والاتجاهات التفسيرية عبارة عن: طبيعة القرآن، الأمر القرآني باتباع النبي (ص) باعتباره مفسِّراً للقرآن، اعتقاد المفسرين، الآراء الشخصيَّة، نفوذ أفكار غير المسلمين في الأوساط الإسلامية، اختلاف المصادر والوسائل، الاتجاهات العصرية، تخصص المفسِّر في علوم خاصة، أسلوب الكتابة عند المفسرين.

5 ـ تقسَّم المناهج التفسيرية إلىٰ: ناقصة وكاملة؛ والمناهج الناقصة ستة أقسام: القرآن بالقرآن، الروائي، العلمي، الإشاري، العقلي، الاجتهادي، والتفسير بالرأي. وعلىٰ رأي آخر تقسّم إلىٰ: معتبرة وغير معتبرة.

6 ـ قُسِّمت الاتجاهات التفسيرية على النحو التالي:

ـ المذاهب التفسيرية الّتي تتكوَّن على أساس اعتقادات المفسّر المذهبيّة.

ـ المدارس التفسيرية الّتي تتكوَّن على أساس آراء المفسر الكلامية.

ـ الأساليب التفسيريَّة الّتي تقوم على أساس تخصص المفسر في علم من العلوم، الاتجاهات العصرية.

7 ـ أساليب كتابة التفسير متنوعة (ترتيبي، موضوعي، و...).

8 ـ لقد قمنا ببيان ونقد آراء المتخصصين في هذا المجال، حول تقسيم المناهج، ومن جملتهم: جولد زيهر، الدكتور الذهبي، آية الله معرفة، الأستاذ عميد الزنجاني.

الأسئلة

1 ـ بيِّن أهمية مناهج تفسير القرآن.

2 ـ عرف كلاً من المنهج والاتجاه والاختلاف بينهما.

3 ـ متى بدأت المناهج والاتجاهات بالظهور؛ بيِّن ذلك؟

4 ـ ما دور اعتقادات المفسرين في ظهور الاتجاهات التفسيرية؟

5 ـ اذكر خمسة عوامل مؤثرة في ظهور الاتجاهات والمناهج، مع ذكر مثال لكل عامل من العوامل.

6 ـ عدّد المناهج التفسيرية الكاملة والناقصة، وميِّز بين المعتبر وغير المعتبر.

7 ـ عدّد أنواع الاتجاهات، مع ذكر مثال لكل منها.

8 ـ ما الفرق بين المذاهب والمدارس التفسيريَّة؟

9 ـ ما الفرق بين الأساليب التفسيريَّة، والاتجاهات العصرية للمفسرين؟ وضح ذلك مع ذكر مثال

10 ـ ما أساليب كتابة التفسير؟ اذكر ذلك مع الأمثلة

11 ـ هل القبول بأحد المناهج، أو الاتجاهات، يمنع من الأخذ بمناهج أُخرى؟ لماذا؟

12 ـ اذكر التقسيم الذي ذكره الذهبي مع النقد.

13 ـ اذكر التقسيم الذي ذكره عميد زنجاني مع النقد.

بحوث جديدة

يمكن للمحققين اختيار الموضوعات التالية، بعنوان موضوع تحقيقي، وكتابة مقالة في هذا الشأن:

1 ـ بيان التعريفات المختلفة من قبل المتخصصين في شأن المنهج، والاتجاه، مع النقد.

2 ـ تأثير علوم اليونان وإيران في نشوء المناهج والاتجاهات، مع ذكر نماذج تأريخية ملموسة ومناقشتها.

3 ـ بحث دور: الفلاسفة، المعتزلة، الأشاعرة، والمتصوفة، في نشوء الاتجاهات التفسيرية. واثبت ذلك مع ذكر نماذج تأريخية.

4 ـ مناقشة ونقد آراء الأستاذ عميد زنجاني في أسباب نشوء مناهج التفسير في كتابه مباني وروشهاي تفسير قرآن.

5 ـ دراسة في طرق كتابة التفاسير وتقلباتها على مدى التأريخ، مع بيان أقسام أُخرى لم تُذكر في الكتاب.

6 ـ القيام بتحقيق ميدانيّ حول عدد تفاسير الشيعة، بمختلف المناهج والاتجاهات، (على أساس كتاب طبقات المفسرين للدكتور عقيقي بخشايشي) وارسم ذلك بمخطط بياني.

7 ـ القيام بتحقيق حول المذاهب والمدارس التفسيرية.

8 ـ استعراض التقسيمات حول المناهج واتجاهات التفسير، في الكتب الأُخرىٰ مع النقد.

للمزيد من المطالعة تراجع المصادر التالية

ذكرنا في آخر الكتاب قائمة ودليلاً بالكتب الّتي تتعلق بالمناهج وألوان التفسير. أمّا المصادر التالية فهي متيسرة ومفيدة في هذا المجال:

1 ـ ***طبقات المفسرين***، جلال الدين السيوطي (م911هـ).

2 ـ ***مذاهب التفسير الإسلامي***، جولدزيهر وترجمة عبد الحليم النجّار.

3 ـ ***التفسير والمفسرون***، الدكتور الذهبي في ثلاثة مجلدات.

4 ـ ***التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب***، آية الله معرفة، وهو في مجلدين.

5 ـ ***مباني وروشهاي تفسير قرآن***، الأستاذ عميد الزنجاني.

6 ـ ***در آمدي بر تفسير علمي قرآن***، الدكتور محمد علي رضائي الأصفهاني.

7 ـ ***أصول التفسير وقواعده***، الشيخ خالد عبد الرحمن العك.

8 ـ ***مناهج التفسير***، الدكتور مصطفى الصاوي الجويني المصري.

9 ـ ***اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث***، الدكتور عفت محمّد الشرقاوي.

10 ـ ***قواعد التفسير***، خالد بن عثمان السبت، في مجلدين.

11 ـ ***روشهاي تفسير قرآني***، الدكتور سيد رضا مؤدب.

12 ـ ***روشها وگرايشهاي تفسيري***، حسين علوي مهر.

2

منهج تفسير القرآن بالقرآن (1)

الأهداف التعليميَّة

الأهداف الأساسيَّة:

1) الاطلاع على طريقة تفسير القرآن بالقرآن، وجذورها التأريخية؛

2) الاطلاع على الأقسام الفرعية لتفسير القرآن بالقرآن واستعمالها.

الأهداف الثانوية:

1) الاطلاع على آراء وأدلة الموافقين والمخالفين لهذهِ الطريقة ونقدها؛

2) الاطلاع على المنهج التفسيري للعلاّمة الطباطبائي في الميزان.

المقدمة

تعتبر طريقة تفسير القرآن بالقرآن من أقدم الطرق في تفسير القرآن، وهي أحد أقسام المنهج النقلي؛ لأن الأخير ينقسم إلى قسمين: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالرواية.

وقد استحسن جميع المفسرين والمتخصصين ـ إلا القليل منهم ـ هذه الطريقة في التفسير، واستفادوا منها في الكثير من الموارد، بل إن بعضهم عدَّها أفضل مناهج التفسير. وتظهر أهمية هذا المنهج إذا علمنا أن التفسير الموضوعي غير ممكن، من دون الاستفادة من تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك لا يمكن الاستغناء عنه في التفسير الترتيبي؛ لأن هذا يعني صرف النظر عن القرائن النقلية، والوقوع في التفسير بالرأي[1].

ومن هنا، فلا بدّ لمن يريد التفسير أن يتعرف على هذا المنهج بصورة جيدة، وأن يتمرَّن عليه ويمارسه، حتى يُصبح مفسِّراً جيداً. وسوف نتناول بالبحث والتحليل هذا المنهج، في هذا الدرس، مع ذكر بعض الأمثلة.

الاصطلاحات

أ ـ التفسير.

ب ـ المنهج.

ملاحظة: وضّحنا هذين الاصطلاحين سابقاً.

ج ـ القرآن بالقرآن الباء في «تفسير القرآن بالقرآن» إمّا باء

(1) سوف يأتي بيان هذه المسألة بصورة كاملة في بحث التفسير بالرأي.

الاستعانة أو السببية[1]؛ أي توضيح آيات القرآن بواسطة آيات أُخرى وبيان مقصودها. وبعبارة أُخرى: تكون آيات القرآن بمثابة المصدر لتفسير آيات أُخرى. وقد عرّف بعض المتخصصين في هذا المجال تفسير القرآن بالقرآن بأنّه: «مقابلة الآية بالآية، وجعلها شاهداً لبعضها على الآخر، ليستدل على هذه بهذه، لمعرفة مراد الله تعالى من القرآن الكريم»[2].

أمّا حقيقة هذا المنهج وأقسامه وأنواعه، فسوف نبحثها ضمن عرض آراء بعض العلماء، وبيان التعريف النهائي لهذا المنهج.

نبذة تأريخية عن تفسير القرآن بالقرآن

يعتبر تفسير القرآن بالقرآن من أقدم طرق التفسير، ويرجع استخدامه إلى زمن الرسول (ص) وقد استخدمه الأئمة وبعض الصحابة والتابعين.

وفي ما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

1 - سُئل الرسول (ص) عن معنى «الظلم» في الآية الكريمة ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[3]، فأجاب (ص) وبالاستناد إلى الآية ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[4] أنّ المقصود بالظلم في الآية الأولى، هو الشرك المذكور في الآية الثانية[5].

---

(1) طبقاً لرأي الأستاذ عميد الزنجاني؛ فإن الباء هي باء الاستعانة. انظر: مباني وروشهاي تفسير قرآن، ص288. ولكن يظهر أنّ معنىٰ السببيَّة صحيح أيضاً، وإن كان لا يوجد فرق كبير بين الرأيين هنا.

(2) هدى أبو طبرة، **المنهج الأثري**، ص65.

(3) سورة الأنعام: الآية 82.

(4) سورة لقمان: الآية 13.

(5) **صحيح البخاري**؛ كتاب تفسير القرآن؛ **تفسير ابن كثير**، ج4، ص444؛ محمد ابن الحسن الصفار، **بصائر الدرجات**، ص195.

يتبيَّن من خلال هذا الحديث، والأحاديث المشابهة، أن الرسول (ص) استخدم هذا المنهج في التفسير، وأنّه قام بتعليم أتباعه عملياً على استخدامه.

2 ـ استنتج الإمام علي (ع) من خلال الآيتين ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[1] و﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[2] بأن أقل مدة الحمل هي ستة أشهر[3]. فإذا كانت مدّة الرضاع سنتين، ومدّة الحمل والرضاع معاً ثلاثين شهراً، ووضعنا الآيتين جنباً إلى جنب، تكون النتيجة واضحة، وهي أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وهذا نوع من تفسير القرآن بالقرآن.

3 ـ بيَّنَ الإمام الباقر (ع) المقصود من الآية ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[4] في مسألة القصر لصلاة المسافر، وذلك استناداً إلى الآية ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[5] وأثبت وجوب القصر عن هذا الطريق[6].

4 ـ ذكر الدكتور الذهبي، أنّ الصحابة كانوا يستخدمون هذه الطريقة في التفسير، وذكر مثالاً في هذا المورد عن ابن عباس[7].

5 ـ ذكر المرحوم الطبرسي نماذج من تفسير القرآن بالقرآن عند

---

(1) سورة لقمان: الآية 14.

(2) سورة الأحقاف: الآية 15.

(3) الفيض الكاشاني **تفسير الصافي**، ج5، ص14، (سورة الأحقاف: الآيتان 15 ـ 16)؛ ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، ج2، ص445، نقلاً عن الصحابة.

(4) سورة النساء: الآية 101.

(5) سورة البقرة: الآية 158.

(6) **وسائل الشيعة**، ج5، ص538، (الباب 22 من أبواب صلاة المسافر، ج2).

(7) **التفسير والمفسرون**، ج1، ص41.

التابعين، في تفسير مجمع البيان[1].

وقد استخدم مفسّرو الإمامية هذا المنهج بعد ذلك، مع ظهور تفاسير مثل: **التبيان، ومجمع البيان**، وكذلك مفسرو أهل السنة، بحيث إن بعضهم كتب: «فإن قال قائل: فما أحسنُ طرق التفسير؟ فالجواب: إنّ أحسن طرق التفسير في ذلك، أن يُفسّر القرآن بالقرآن، فما أُجمِلَ في مكان، فإنّهُ قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصِر في مكان، فقد بُسِط في موضع آخر»[2].

وقد ذكر العلاّمة المجلسي جميع الآيات الّتي تتعلق بموضوع معيّن بدايةَ كل فصل، وهذا يعني أنّه استفاد من الطريقة الموضوعية في تفسير القرآن بالقرآن. وقد حظي هذا المنهج باهتمام واسع، خاصةً عند المفسرين في القرن الأخير، بحيث اتخذه بعض المفسرين منهجاً رئيسياً،كما يتضح ذلك في **تفسير الميزان** للعلاّمة الطباطبائي، **وتفسير الفرقان** للدكتور محمد الصادقي الطهراني، **والتفسير القرآني للقرآن** لعبد الكريم الخطيب، **وآلاء الرحمن** للبلاغي.

ويعتقد العلاّمة الطباطبائي، أن القرآن بيان لكل شيء، فمن غير الممكن أن لا يكون مبيِّناً لنفسه، فلا بُدّ إذن من الرجوع إلى آيات القرآن نفسها، وتدبرها، وتشخيص مصاديقها، وتفسير القرآن بالقرآن.

ويعتقد أيضاً أن هذا المنهج، هو الذي اتخذهُ النبي (ص) وأهل البيت (ع) في تفسير القرآن، وقاموا بتعليمه، ووصلنا عن طريق رواياتهم[3].

---

(1) إنظر: **مجمع البيان**، ج1، ص478، سورة الغاشية: الآية 1.

(2) ابن تيميَّة، **مقدمة في أصول التفسير**، ص93.

(3) انظر: **تفسير الميزان**، ج1، ص14، 15، (نقل بالمضمون من مقدمة تفسير الميزان وسوف نذكر كلامه مفصلاً في بحث الآراء حول تفسير القرآن بالقرآن).

وقد استخدم بعض الذين تناولوا طرق التفسير، هذا المنهج، وبيّنوه، وأوصوا به، ومنهم آية الله معرفة، والأستاذ عميد الزنجاني، والدكتور عبد الرحمن العك[1].

الأدلة

أدلة الموافقين على تفسير القرآن بالقرآن

يمكن الاستدلال على جواز ولزوم هذا التفسير، بالقرآن، والسنة، والسيرة، وسوف نذكر هنا أهم هذه الأدلة:

أ - آيات القرآن

1 - قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2]. استدل العلاّمة الطباطبائي بهذه الآية على تفسير القرآن بالقرآن فقال: وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه[3].

2 - قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[4]. كتب العلاّمة الطباطبائي عند استدلاله بهذهِ الآية قائلاً: كيف يكون القرآن هدى، وبينة، وفرقاناً، ونوراً مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون إليه ولا يكفيهم في احتياجهم إليه، وهو أشدُّ الاحتياج[5].

---

(1) **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، ج2؛ **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص278؛ **أصول التفسير وقواعده**، ص79.

(2) سورة النحل: الآية 89.

(3) **الميزان**، ج1، ص14.

(4) سورة النساء: الآية 174.

(5) **الميزان**، ج1، ص14.

3 ـ قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1].

بيّن العلاّمة الطباطبائي بعض المطالب عند تفسير هذهِ الآية، يمكن تلخيصها بما يلي:

أوّلاً: إنَّ القرآن يمكن فهمه من قبل الأفراد العاديين.

ثانياً: إنّ القرآن يفسِّر بعضه بعضاً[2]؛ لأنّ الله (سبحانه وتعالى) دعا الناس إلى التدبر في آيات القرآن، لكي يتضح عدم وجود الاختلاف فيه، بضمّ الآيات بعضها إلى بعضها الآخر.

4 ـ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[3]. فقد قَسَّمَت هذهِ الآية، آيات القرآن إلى مجموعتين: محكمات ومتشابهات، وأصل كلمة «المحكم» من (الإحكام) بمعنى «المنع»، ولهذا يقال للأمور الثابتة القوية محكمة؛ لأنها تمنع عن نفسها عوامل الزوال. كما أن كل قول واضح وصريح لا يعتريه أي خلاف يقال له: «قولٌ مُحكَم»[4]، وعليه، فإنَّ الآيات المحكمة، هي الآيات ذات المفاهيم الواضحة، والّتي لا مجال للخلاف والجدل حولها. أمّا الآيات المتشابهة، فهي الآيات ذات المعنى المعقّد، أوْ ذات المعاني المتعددة، والتي لا يتضح معناها المقصود إلا في ضوء الآيات المحكمة. وقد أطلق على الآيات المحكمة «أُمّ»؛ أي: هي الأصل والمرجع

---

(1) سورة النساء: الآية 82.

(2) **الميزان**، ج5، ص20.

(3) سورة آل عمران: الآية 7.

(4) **تفسير نمونه** (الأمثل)، ج2، ص320 ـ 329.

للآيات الأُخرى. وبعبارة أُخرى: لا بُدّ من إرجاع الآيات المتشابهة إلى المحكمات لكي يتضح معناها[1]. وهذهِ الطريقة، هي أحد أنواع تفسير القرآن بالقرآن، وهي مورد تأييد القرآن نفسه[2].

5 ـ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[3]. إن بيان القرآن، قد يكون بواسطة نفس الآيات، أو عن طريق النبي (ص) وهنا ورد البيان بصورة مطلقة؛ أي نحن نتكفل ببيان وتوضيح القرآن.

6 ـ إن تكرار الآيات يستلزم هذهِ الطريقة في التفسير؛ لأنّه، لكي نفهم بعض الآيات لا بد من مراجعة الآيات المشابهة، فقد جاء ذكر قصة موسى (ع) وفرعون في سورة الأعراف: 105 ـ 136، طه: 9 ـ 98، الشعراء: 10 ـ 67 وسورة النمل، ولا يمكن تفسير هذهِ الآيات ورفع غموضها عنها ما لم تتم مراجعة جميع هذهِ الآيات في نفس الوقت، وإلا، فإنّه قد يؤدي إلى وقوع المفسِّر في أخطاء.

المناقشة

تدل هذه الآيات على جواز ومطلوبية تفسير القرآن بالقرآن في الجملة، ولا بُدّ من الإشارة هنا إلى نقطتين:

أوّلاً: إن كون القرآن مبيِّناً لكل شيء، يرتبط بهداية البشر، ومنها آياته أيضاً.

---

(1) المصدر نفسه.

(2) سوف يتم بحث أنواع تفسير القرآن بالقرآن، ومنها إرجاع المتشابه إلى المحكم في البحوث الآتية.

(3) سورة القيامة: الآيتان 18 ـ 19.

ونلاحظ أنّ بيان القرآن في بعض الأحيان لا يتجاوز الكليات، كما هو الحال في عدد ركعات الصلاة؛ فلم يأتِ توضيح ذلك في ظاهر القرآن، وفي هذهِ الموارد لا بد من مراجعة بيان النبي (ص) وأهل البيت (ع).

ثانياً: إنّ كون القرآن نوراً، يعني أنّه في حد ذاته واضح وموضِّح. ولكن المخاطبين يختلفون في قدراتهم العلميِّة؛ فهناك العربي وغير العربي، ولكي نفهم القرآن نحتاج إلى اللغة، والأحاديث و... وهذا لا يعني احتياج القرآن إلى الغير، بل احتياج المفسّر، والمخاطب إلى تفسير القرآن.

ب - السُنة

يمكن الاستدلال بالسنّة على مطلوبيَّة تفسير القرآن بالقرآن من جهتين:

أوّلاً: السنّة العملية لرسول (ص) وأهل بيته، حيث استخدموا هذهِ الطريقة عملياً[1].

ثانياً: الأحاديث الخاصة الّتي أشارت إلى هذا الأمر، ومن أهمها:

1 - قال أمير المؤمنين (ع): «كتاب الله... ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض»[2].

فقوله (ع) إن بعض آيات القرآن ينطق بعضها ببعض، يمكن أن يُشير إلى هذا المنهج في التفسير؛ حيث يقوم المفسِّر باستنطاق بعض

---

(1) سوف نذكر بعض الأمثلة في الفقرة الثالثة من هذا الفصل، وسوف يأتي بيانه في المباحث الآتية أيضاً.

(2) **نهج البلاغة**، الخطبة 133.

الآيات بواسطة آيات أُخرى، وروي عن الإمام علي (ع) حديث آخر قال فيه: «ذلك القرآن فاستنطقوه»[1].

2 ـ وقال (ع): «إن كتاب الله ليُصدِّق بعضه بعضاً، ولا يكذّب بعضه بعضاً»[2]. تصديق القرآن بعضه بعضاً، يعني عدم وجود الاختلاف فيه، وأن معاني آيات القرآن يؤيد بعضها بعضاً. وهذا الحديث يشير إلى نوع من أنواع التفسير الموضوعي للقرآن.

3 ـ «القرآن يفسِّر بعضه بعضاً» هذه الجملة تشير بصراحة إلى تفسير القرآن بالقرآن، وإن كان الحديث من حيث السند غير واضح؛ لأن هناك من رواه عن ابن عباس تلميذ الإمام علي (ع)[3]، وهناك من نقله بصورة حديث مضمر[4].

4 ـ وفي حديث آخر عن الإمام علي (ع) قال: «لا تنثره نثر الرمل»[5]؛ هذهِ الرواية تشير إلى أن القرآن وحدة متصلة كاملة، ولا يجب أن يؤخذ بصورة أجزاء متفرقة، وبعبارة أُخرى: لا يمكن افتراض آية في القرآن مفصولة عن سائر الآيات، ومن ثم تفسيرها على هذا الأساس.

---

(1) نهج البلاغة، الخطبة 18.

(2) **بحار الأنوار**، ج9، ص127؛ وهناك حديث مشابه لهُ «إن الكتاب يصدق بعضه بعضاً» **نهج البلاغة**، الخطبة 158.

(3) السيوطي، **الدر المنثور**، ج2، ص6؛ الفيض الكاشاني، مقدمة التفسير؛ الدكتور بي آزار الشيرازي، **(القرآن الناطق)**، ج2، ص266.

(4) الحديث المضمر هو الحديث الذي يُروىٰ عن المعصوم من دون ذكر اسمه.

(5) **مجمع البيان**، ج6، ص94، تفسير الآية ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾.

المناقشة

بعض الأحاديث تدل بصراحة على تفسير القرآن بالقرآن، وإن كانت تعاني من مشكلة في السند. والبعض الآخر يُشير إلى تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الموضوعي، ويمكن اعتباره مؤيداً لهذهِ الطريقة في التفسير.

ج - بناء العقلاء

من أجل فهم أي كتاب، لا بد من مراعاة القرائن الموجودة فيه، فإذا جاء ذكر أحد المطالب بصورة مطلقة وعامة، وفي مكان آخر بصورة مقيَّدة وخاصة، فلا بد من النظر إلى الكلام بصورة كلِّية باعتباره مجموعة كاملة، وهذهِ هي طريقة العقلاء في فهم أي كتاب.

والقرآن الكريم غير مستثنىً من هذهِ القاعدة، وهذا هو الشيء نفسه الذي يعرف باسم تفسير القرآن بالقرآن، أي الاستفادة من بعض الآيات، كقرائن لفهم وتفسير آيات أُخرى، والشارع المقدس لم يمنع من هذه الطريقة العقلائية، بل أيَّدها طبقاً للأحاديث السابقة.

وعندما نراجع طريقة الصحابة والتابعين ومفسري القرآن عبر التاريخ، نرى أنهم استخدموا هذهِ الطريقة، أي الاستفادة من بعض الآيات في فهم آيات أُخرى، ومن خلال استمرار طريقتهم هذهِ، نستدل على جواز هذا المنهج، وعدم وجود منع من الشارع[1].

أدلة المخالفين لتفسير القرآن بالقرآن

رغم أنّه لم تأت مخالفة صريحة لهذا المنهج، لكن هناك بعض

---

(1) يُذكَر هذا الموضوع تحت عنوان «سيرة المُتشرِّعة».

الأحاديث الّتي قد توهم وجود مثل هذهِ المخالفة، وسوف نقوم هنا ببحث ونقد مثل هذه الأحاديث.

أ ـ أحاديث ضرب القرآن

1 ـ عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النضر بن سويد عن القاسم بن سليمان، عن أبي عبد الله (ع) قال: قال أبي: «ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر»[1].

2 ـ روىٰ السيوطي ـ من مفسري أهل السُنة ـ فقال:

«إن رسول الله (ص) خرج على قوم يتراجعون في القرآن، وهو مغضب فقال: بهذا ضلّت الأمم قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضرب الكتاب بعضه ببعض. قال: وإنّ القرآن لم ينزل ليكذّب بعضه بعضاً، ولكن نزل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا، وما تشابه عليكم فآمنوا به»[2].

المناقشة

يمكن المناقشة في هذا الحديث من حيث السند والدلالة:

أ ـ **من حيث السند**: الرواية الأُولى مخدوشة سنداً، فرغم أن جميع رجال السند ثقات ولكن القاسم بن سليمان لم يرد فيه مدح ولا ذم فالرواية إذن غير معتبرة.

ب ـ **من حيث الدلالة**: إنَّ هذهِ الروايات لا تدل صراحةً على منع تفسير القرآن بالقرآن، وهناك احتمالات متعددة في معنى هذهِ الروايات منها:

---

(1) **الكافي**، ج2، ص632؛ **بحار الأنوار**، ج89، ص39؛ وقد جاء شبيه هذا الحديث في الشيخ الصدوق، **معاني الأخبار**، ص190.

(2) **الميزان**، ج3، ص90؛ **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص373، 374.

1 ـ يعتقد العلاّمة الطباطبائي (قده): «أنّ الروايات كما ترى تعد ضرب القرآن بعضه ببعض مقابلاً لتصديق بعض القرآن بعضاً، وهو الخلط بين الآيات من حيث مقامات معانيها والإخلال بترتيب مقاصدها، كأخذ المحكم متشابهاً، والمتشابه محكماً، ونحو ذلك»[1].

2 ـ يعتقد الفيض الكاشاني أنّ المقصود من روايات «ضرب القرآن» قد يكون تأويل المتشابهات على بعض المعاني (على أساس هوى النفس وأمثال ذلك)[2].

3 ـ يقول الصدوق: سألت أستاذي ابن الوليد عن معنى هذا الحديث «ضرب القرآن» فقال: هو أن تجيب الرجل في تفسير آية بتفسير آية أُخرى[3].

4 ـ كتب الأستاذ عميد الزنجاني حول هذهِ الروايات فقال: «يمكن توجيه هذهِ الروايات بأن المراد «من ضرب القرآن بعضه ببعض» هو مقارنة الآيات وإرجاع آية بآيات أخرىٰ، بقصد إبراز الاختلاف والتضاد بين الآيات، وإيجاد الفتنة في دين الله»[4].

واعتبر الجملة «لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً» مؤيدةً للمعنى الذي ذهب إليه. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الرواية اعتبرت هؤلاء كفاراً، ومن الواضح أنه ليس المقصود بذلك الخطأ في التفسير؛

---

(1) **الميزان**، ج3، ص85.

(2) **الوافي**، ج5، ص274.

(3) **بحار الأنوار**، ج89، ص39.

(4) **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص376.

لأن الخطأ في التفسير لا يسبِّب كفر أحد، بل المقصود به عمل يستلزم إنكار آيات القرآن وتكذيبها[1].

5 ـ احتمل العلاّمة المجلسي أن يكون المراد من هذهِ الروايات «ضرب القرآن». هو: المعنىٰ الظاهر بتقدير الاستخفاف وارتكاب التجوّز في الكفر[2].

ملاحظة

بالرغم من أنّ المعنى الرابع يتفق مع ظاهر الحديث أكثر من غيره، ولكن لا يمكن نفي الاحتمال الأوّل والثاني.

فحتى لو قبلنا أحد هذهِ الاحتمالات، فإنه بمنأى عن مسألة تفسير القرآن بالقرآن، وإذا ترددنا في معنى الحديث، فستظل هذهِ الأحاديث مبهمة وغير قابلة للاستدلال.

ب ـ عدم حجيَّة ظواهر القرآن عند الإخباريين

يتوقف تفسير القرآن على بعض المسلَّمات، ومنها حجيّة ظواهر القرآن، حيث يمكن للمفسِّر أن يستدل بظواهره. وقد أنكر بعض الأخباريين[3] هذهِ الحجيَّة. ورغم أن هذهِ المسألة قد أُشبعت بحثاً

---

(1) المصدر نفسه.

(2) **مرآة العقول**، ج12، ص522.

(3) الأخباريون هم أصحاب الحديث؛ وهم يتبعون ظواهر الأخبار، ويبطلون الاجتهاد. مؤسس هذا المذهب هو الملاّ محمد أمين بن محمد الأسترآبادي (ت1033هـ.ق) وله كتاب مشهور باسم الفوائد المدنيَّة، أنكر فيه الاجتهاد وقال: إنه من الصعوبة بمكان استخراج أحكام الدين من القرآن؛ لأن القرآن يحتوي على الناسخ والمنسوخ و... فلا بد من مراجعة الأخبار الصادرة عن أهل البيت (ع). وفي مقابل الأخباريين هناك الأصوليون الذين يعتقدون بأن =

في علم الأُصول، وأُخذت في التفسير كأصل مُسلّم به، لكننا نجد أنفسنا مضطرين للإشارة هنا إلى أدلة الطرفين بصورة موجزة:

أوّلاً: استدل علماء الأُصول على حجيَّة ظواهر القرآن بما يلي:

إن طريقة العقلاء في فهم الأقوال، والكتابات، وتعيين مقصود المتكلِّم، هي الاعتماد على ظاهر الكلام، ولم يمنع الشارع المقدس من هذهِ الطريقة، ولم يخترع طريقة أُخرى[1]، فتكون هذهِ الطريقة في فهم وتفسير القرآن حجّة.

ثانياً: تمسَّك كثير من الأخباريين بعدم حجيَّة ظواهر القرآن، ورأوْا أنّه لا يمكن الاحتجاج بهذهِ الظواهر دون الأخذ بنظر الاعتبار روايات المعصومين (ع)، واستدلوا على ذلك بالآتي:

1 ـ إنّ فهم القرآن مختص بأهلهِ، وهم المخاطبون الحقيقيون؛ أي النبي (ص) وأهل البيت (ع)، كما ورد في بعض الروايات[2].

2 ـ إن القرآن يحتوي على مضامين عالية وعميقة لا يفهمها إلا

= الاجتهاد واجب كفائي، وأنه يمكن استنباط الأحكام الفرعية من الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل. راجع: الدكتور محمد جواد مشكور، **فرهنگ فرق إسلامي**، ص40، 41.

(1) الشيخ محمد كاظم الخراساني **كفاية الأصول**، مبحث حجية الظواهر (حجية ظاهر الكتاب)، ج2، ص405.

(2) هناك روايات عدة تحمل هذا المضمون منها:

عن الصادق (ع) قال: «يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته؟ وتعرف الناسخ والمنسوخ؟ فقال: نعم، قال (ع): يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً، ويلك ما جعل الله ذلك إلاّ عند أهل الكتاب الذين أنزله عليهم».

عن الباقر (ع): «ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به».

عن الباقر (ع): «ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله، ظاهره وباطنه، غير الأوصياء». =

الراسخون في العلم، ولا تنالها الأفكار العاديّة للناس[1].

3 ـ إنَّ القرآن الكريم يشتمل على آيات متشابهة وهو ما يؤدي إلى المنع عن اتباع ظواهر الكتاب.

4 ـ لدينا علم إجمالي بتخصيص أو تقييد بعض الآيات، أو بأنَّ لها مَعنى مجازياً، وهذا العلم الإجمالي يمنع من التمسك بظواهر الكتاب.

5 ـ إن روايات التفسير بالرأي تمنع من الأخذ بظواهر الكتاب.

المناقشة

أجاب علماء الأُصول بصورة مفصلة عن هذهِ الإشكالات، ونحن نشير هنا إلى بعضها فقط، ويمكن للقارىء الكريم الرجوع إلى المصادر الأصلية[2].

1 ـ المقصود باختصاص فهم القرآن بأهل البيت، وأنهم هم

= تفسير الصافي، ج١، ص٢٠، ٢٢، مقدمة التفسير. وهذهِ الأحاديث تنظر إلى جميع علوم القرآن (أعم من الظاهر والباطن والتأويل و. . .) وقد جاءت في مقابل بعض الأشخاص المخالفين الذين يعتبرون أنفسهم فقهاء، ويفتون بآرائهم، دون الأخذ بنظر الاعتبار بأحاديث أهل البيت (ع). فقد قيل الحديث الأوّل في شأن «قتادة» فقيه أهل البصرة، والثاني في «أبي حنيفة» فقيه أهل العراق. لمزيد من الاطلاع انظر: مجلة بينات، العدد ٢٢، ٢٣، ص٢٢٦، المقالة [رواية «إنما يعرف القرآن. . .»].

(1) **كفاية الأُصول**، البحث السابق؛ الشيخ مرتضى الأنصاري، **فرائد الأُصول**، ج1، ص140 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، وراجع: آية الله الخوئي: **مصباح الأصول**؛ الإمام الخميني: **تهذيب الأصول**، مبحث حجية ظواهر الكتاب؛ آية الله الخوئي: **البيان في تفسير القرآن**، مبحث حجية ظواهر القرآن.

المخاطبون الحقيقيون، هو الفهم الكامل للقرآن وهو أعم من المحكم والمتشابه و. . . والمنع من الاستقلال بالفتوى دون مراجعة الروايات الصادرة عن أهل البيت، وأما بعد مُراجعة القرائن النقليَّة (روايات أهل البيت (ع))، أو بعد البحث وعدم العثور على روايات معتبرة، فلا يوجد مانع من الأخذ بظواهر القرآن. إضافة إلى ذلك، فإن الروايات نفسها قد أرجعتنا إلى القرآن والاستدلال به.

2 ـ لا يوجد تعارض بين وجود مضامين عالية وصعبة الفهم في القرآن، والرجوع إلى الظواهر الواضحة والاستدلال بها.

3 ـ إنّ ظواهر القرآن ليست من المتشابهات؛ أي أنّ المقصود من المتشابهات هُنا هو الآيات المجملة، ولكن ظواهر القرآن ليست مجملة ولا متشابهة[1].

4 ـ إنّ الأخذ بالظواهر، وتفسير القرآن يكون بعد مراجعة المخصِّصات، والمقيِّدات، والروايات الأُخرى وعندها ينحل العلم الإجمالي، ويرتفع حينئذٍ المانع من الأخذ بالظواهر.

5 ـ إنّ روايات التفسير بالرأي تعني تفسير القرآن من دون الرجوع إلى القرائن العقلية والنقلية؛ أمّا الأخذ بالظواهر، وتفسير القرآن بها بعد ملاحظة القرائن العقلية والنقلية (سواء في ذلك الآيات والروايات المعتبرة) فلا يُعد من التفسير بالرأي[2]، بل إنّ بعض علماء الأُصول قالوا: إن حمل ألفاظ القرآن على ظاهرها لا يُعتبر تَفسيراً؛ لأنّ التفسير هو كشف الستار، وظواهر القرآن لا ستار عليها. والمقصود من التفسير

---

(1) كفاية الأُصول، نفس البحث السابق.

(2) نوقشت روايات التفسير بالرأي في مبحث التفسير بالرأي بصورة مفصلة.

بالرأي هو: الاعتبار الظنيّ غير المعتبر، مثل حمل اللفظ على خلاف ظاهره، على أساس الترجيح الشخصي[1].

فالنتيجة، هي أن أدلة الأخباريين على منع حجيَّة ظواهر القرآن مخدوشة، وأن أدلة علماء الأُصول في هذا المورد تامَّة ومقبولة.

الخلاصة والنتيجة

يستفاد من مجموع أدلة الموافقين على تفسير القرآن بالقرآن أنّ هذا المنهج التفسيري معتبر ومورد تأييد القرآن والنبي (ص) وأهل البيت (ع)، كما أنَّ أدلة المخالفين مخدوشة ومردودة.

الخلاصة

يمكن إجمال حصيلة ما تقدّم من المباحث في النقاط التالية:

1 ـ إن أهمية تفسير القرآن بالقرآن، تكمن في الاستفادة من الآيات، والاستعانة بها في تفسير آيات أُخرى من القرآن، وهذا الأمر يعتبر ضرورياً في شكلي التفسير: الموضوعي والترتيبي، لكي يتبيّن مقصود الآيات بشكل واضح.

2 ـ بدأ هذا المنهج منذُ عهد الرسول (ص)، وهناك نماذج متعددة في روايات أهل البيت (ع)؛ وقد استفاد الصحابة والتابعون من هذا المنهج أيضاً.

3 ـ كُتبت تفاسير عدَّة وفق منهج تفسير القرآن بالقرآن على امتداد

(1) كفاية الأُصول، مبحث حجية الظواهر، حجية ظاهر الكتاب؛ فرائد الأُصول، ج1، ص142، ذكر المضمون نفسه.

التأريخ، منها تفسير **الميزان**، بل إن بعضهم اعتبره من أفضل المناهج في التفسير.

4 ـ استدل الموافقون على هذا المنهج، بالآيات والروايات، وبناء العقلاء، وأثبتوا جواز ومطلوبية هذهِ الطريقة في التفسير.

5 ـ استدل القائلون بتفسير القرآن بالقرآن بمضامين بعض الآيات، مثل: القرآن تبيان، القرآن نور، لزوم التدبر في القرآن، كون الآيات المحكمة هي الأصل والأساس، تكرار الآيات.

6 ـ استدل القائلون بهذا المنهج بروايات عدة، بعضها مخدوش من حيث السند، وبعضها لا يدل على المطلب، ولكن هذهِ الروايات تؤيد هذهِ الطريقة بشكل عام.

7 ـ يقوم بناء العقلاء وسيرتهم على امتداد التأريخ، على الاستفادة من منهج تفسير القرآن بالقرآن، ولم يرد من الشارع منع من استخدام هذهِ الطريقة.

8 ـ تعاني أحاديث «ضرب القرآن» من إشكالات في السند، إضافة إلى أنها لا تدل على منع هذهِ الطريقة في التفسير من ناحية الدلالة؛ لأنها تحتمل معاني متعددة.

9 ـ ظاهر القرآن حجة، فلا يوجد إشكال على تفسير القرآن بالقرآن من هذهِ الناحية. بالإضافة إلى عدم تماميَّة أدلة الأخباريين على حجيّة ظاهر القرآن.

3

منهج تفسير القرآن بالقرآن (2)

الآراء في تفسير القرآن بالقرآن

1 - رأي العلاّمة الطباطبائي

قال العلاّمة الطباطبائي في مقدمة تفسيره **الميزان** بعد إيراد بعض المطالب حول تفسير القرآن: «... وذلك على أحد وجهين **أحدهما**: أن نبحث بحثاً علمياً أو فلسفياً أو غير ذلك، عن مسألة من المسائل الّتي تتعرض لها الآية، حتى نقف على الحق في المسألة، ثم نأتي بالآية ونحملها عليه، وهذهِ طريقة يرتضيها البحث النظري، غير أن القرآن لا يرتضيها كما عرفت.

وثانيهما: أن نفسر القرآن بالقرآن، ونستوضح معنى الآية من نظيراتها، بالتدبر المندوب إليه في القرآن نفسه، ونشخّص المصاديق وتتعرف إليها بالخواص الّتي تعطيها الآيات»[1].

---

(1) **الميزان**، ج1، ص11، المقدمة

ثم استدل ببعض الآيات مثل ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ لتأييد هذا المنهج، فالقرآن بيان لكل شيء، فكيف لا يكون بياناً لنفسه[1].

2 ـ رأي آية الله معرفة

بعد أن ذكر الشيخ محمد هادي معرفة أنّ أتقن مصدر لتبيين القرآن هو القرآن نفسه؛ قسّم تفسير القرآن بالقرآن إلى قسمين:

الأوّل: ما أُبهم في موضع وبُيِّن في موضع آخر، فيكون أحدهما متناسباً مع الآخر، تناسباً معنوياً، أو لفظياً، ثم ضرب مثلاً بالآيات المتعلقة بليلة القدر، وقال إنّه يستفاد من مجموع الآيات أنّ القرآن الكريم نزل في ليلة مُباركة، هي ليلة القدر من شهر رمضان.

الثاني: النوع الثاني من تفسير القرآن بالقرآن، هو أنَّ الآية ليس لها ارتباط بموضع الإبهام في الآية الأُخرىٰ لا لفظياً ولا معنوياً، ولكن يمكن أنْ تكون شاهداً لرفع ذلك الإبهام. ثم ضرب مثالاً لذلك آية السرقة ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[2] فقد استدل الإمام الجواد (ع) بالآية ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾[3] لتعيين موضع قطع اليد، وأنّه من موضع الأشاجع (مفصل أُصول الأصابع)؛ لأنَّ مواضع السجود لله تعالى، وأنَّ الشيء الذي يكون لله، لا يقطع[4].

3 ـ رأي الأُستاذ عميد الزنجاني

كتب الزنجاني بشأن تفسير القرآن بالقرآن:

---

(1) سبق أن ذكرنا هذا الكلام في بحث أدلة الموافقين لتفسير القرآن بالقرآن.

(2) سورة المائدة: الآية 38.

(3) سورة الجن، :الآية 18.

(4) **تفسير العياشي**، ج1، ص319، 320؛ **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص22 ـ 25.

«من التفاسير الجديدة المتداولة في العصر الحاضر، تفسير القرآن بالقرآن، واستخراج معاني الآيات، بمعونة آيات مشابهة أُخرى، تتفق في المحتوى والموضوع أو تقرب منه»[1].

4 ـ رأي ابن تيمية (661 ـ 728هـ)

لقد سبق نقل كلامه حول تفسير القرآن بالقرآن؛ حيث اعتبر هذهِ الطريقة من أفضل وأصح الطرق، وقال: «فما أُجْمِلَ في مكان، فإنّهُ قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصِر في مكان، فقد بُسِط في موضع آخر»[2].

5 ـ رأي الشيخ خالد عبد الرحمن العك

ذكر أن أفضل طريقة في التفسير هي: تفسير القرآن بالقرآن، وقال:

«أجمع العلماء على أن من أراد تفسير القرآن الكريم، طلبَهُ أوّلاً من القرآن نفسه، فما أُجمل منه في مكان، فقد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر منه في مكان، فقد بُسط في موضع آخر منه، فلزم أن يَنظر في القرآن، نظرة فاحص مدقق، ويجمع الآيات في موضع واحد، ثم يقارن بعضها ببعضها الآخر»[3].

المناقشة

ولا بد من الالتفات هنا إلى نقاط عدةٍ:

أ ـ إنّ الذين أبدوا رأيهم حول تفسير القرآن بالقرآن، أو أعطوا

---

(1) **مباني وروشهاي تفسيري قرآن**، ص228.

(2) ابن تيميَّة، **مقدمة في أُصول التفسير**، ص93.

(3) أُصول التفسير وقواعده، ص79.

تعريفاً لهُ، عادةً ما يشيرون إلى أنواع خاصة من هذا المنهج التفسيري، فقد أشار العلاّمة الطباطبائي والأُستاذ عميد الزنجاني مثلاً إلى نوعين من الاستفادة من الآيات المُتشابهة، والشيخ معرفة أشار إلى نوعين أيضاً.

وتعرّض ابن تيمية إلى نوع آخر وهو بيان المجمل والمبيّن والمختصر والمفصل. أما الشيخ عبد الرحمن العك، فقد أشار إلى التفسير الموضوعي للقرآن بالقرآن. وسيأتي في البحوث الآتية أن أنواع تفسير القرآن بالقرآن كثيرة ومتعددة، وتشمل جميع هذهِ الموارد وغيرها أيضاً.

ب ـ لقد أيّد جميع الأشخاص الذين أبدوا رأيهم، هذا النوعَ من التفسير، ولم نجد مَن ردّ هذا المنهج في التفسير بصورة كلية ومباشرة، بل إن الشيخ عبد الرحمن العك ادّعى الإجماع على أفضلية هذهِ الطريقة في التفسير. نعم يُستفاد من ظاهر كلام الأخباريين، وبعض الأحاديث، مخالفة هذا المنهج، كما بيَّنا ذلك في الأدلّة، وقد أشرنا إلى الجواب المناسب.

ج ـ يُستفاد من مجموع كلام العلماء في هذا المجال أن تفسير القرآن بالقرآن، هو عبارة عن «تبيين معاني آيات القرآن، وتعيين المقصود والمراد الجدّيّ منها، بالاستعانة بآيات أُخرى. وبعبارة أُخرى: جعل القرآن مصدراً لتفسير الآيات».

وهناك طبعاً، أنواع وطرق فرعية لهذا المنهج، سوف نبيِّنُها في ما بعد.

سُنّة الرسول (ص) في تفسير القرآن بالقرآن

يوجد رأيان رئيسان في مكانة سنة رسول الله (ص) ومنزلة أحاديث النبي (ص) وأهل البيت (ع) في التفسير وهما:

أوّلاً: وجوب الاستفادة من الأحاديث في تفسير القرآن بالقرآن:

يستفاد هذا الأمر من كلام آية الله الخوئي في *البيان*، عندما تناول بحث التفسير بالرأي؛ حيث قال في هذا الصدد:

«ويحتمل أن معنى التفسير بالرأي؛ الاستقلال في الفتوى، من غير مراجعة الأئمة (ع) مع أنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسك، ولزوم الانتهاء إليهم (ع)[1]: فإذا عمل الإنسان بالعموم، أو الإطلاق الوارد في الكتاب، ولم يأخذ التخصيص، أو التقييد الوارد عن الأئمة (ع)، كان هذا من التفسير بالرأي»[2].

وكتب الأستاذ عميد الزنجاني بخصوص هذا الرأي: «صحيح أن القرآن واضح ومبيِّن لنفسه، ولكن الروايات الصحيحة يمكن أن تقوم بتوضيح بعض الآيات أيضاً، وكذلك يمكن الاستفادة منها في شرح آيات الأحكام، والقصص، وبعض الأُمور الّتي جاءت في القرآن بصورة مختصرة... فلا يوجد تنافٍ بين وضوح معاني القرآن، وبين لزوم الاستفادة من السنَّة في فهم بعض حقائق القرآن؛ فالقرآن رغم كونه واضحاً ومستغنياً عن الغير في بيانه للمقاصد والمفاهيم، لكن تفصيل بعض الأُمور وتوضيح معارف الآيات يقع على عاتق السنّة، بيان الرسول (ص). وقد عُرِّف النبي (ص) بأنّه المُبيِّن والمعلم للقرآن بصورة صريحة»[3].

ثانياً: عدم احتياج القرآن للغير، وإبعاد الأحاديث عن ساحة التفسير: يستفاد هذا الأمر من كلام العلاّمة الطباطبائي، فقد اعتبر تفسير القرآن بالقرآن أحد المناهج المقبولة في التفسير، وأنّه منهج

---

(1) أي أنهم ذكروا مقترنين في حديث الثقلين، ولا بدّ من التمسك بهما معاً.

(2) **البيان في تفسير القرآن**، ص269.

(3) انظر: **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص289.

أهل البيت (ع)، وذلك في مقدمة تفسيره *الميزان*، وقال: بعد أن ذكر مطالب مُفصّلة، حول روايات التفسير بالرأي في ما يتعلق بالآيات (7 ـ 9) من سورة آل عمران:

«والمحصّل أنّ المنهيّ عنه، إنّما هو الاستقلال في تفسير القرآن، واعتماد المفسِّر على نفسه، من غير رجوع إلى غيره، ولازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه، وهذا الغير لا محالة، إمّا هو الكتاب، أو السنّة، وكونه هو السنّة ينافي القرآن، ونفس السنة الآمرة بالرجوع إليه وعرض الأخبار عليه، فلا يبقى للرجوع إليه والاستمداد منه في تفسير القرآن إلا نفس القرآن»[1].

وهذا رأي الأستاذ عميد الزنجاني أيضاً، حيث قال:

«أساس هذهِ الطريقة التفسيرية (القرآن بالقرآن)، هو استغناء القرآن عن الغير، فأصحاب هذا الرأي، يدّعون أنّ كل نوع من الإبهام والإجمال الابتدائي بالنسبة إلى بعض الآيات، يرجع إلى عدم الالتفات إلى الآيات المُشابهة؛ وإنّ هذا الإبهام يزول بتدبر الآيات الّتي موضوعها موافق، أو قريب من الآيات المذكورة. ومن هنا، فإننا لا نحتاج إلى السنة، والروايات في تفسير وفهم مقاصد القرآن، ويستطيع كل مفسر ـ وبكل حرية ـ أن يستخرج مقاصد كل آية بالتدبر فيها، وفي الآيات المُشابهة لها من دون أن يقيِّد نفسه بأي شيء عدا القرآن»[2]. ثُمَّ استدلَّ على ذلك ببعض الأدلة مثل كون القرآن «تبياناً»، و «نوراً» و «غير قابل للتحريف»، ثم نبّه إلى أنّ الروايات قد تعرضت إلى التحريف، عن طريق الوضّاعين، وتجار الحديث، وأنّ الروايات، الموضوعة، هي أضعاف الروايات الصحيحة، ولذلك

---

(1) **الميزان**، ج3، ص89، سورة آل عمران، الآيات: 7 ـ 9، من (بحث روائي آخر).

(2) **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص287، 288.

فإنّ هذا النوع من الروايات، فقد اعتباره، وليس له أي صلاحية لتفسير القرآن[1].

ثم ذكر الزنجاني صاحبَ تفسير **الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن**[2] كمثال على الرأي المتشدِّد في استخدام هذا المنهج.

المناقشة

وهنا لا بد من الإشارة إلى عدة نقاط في خصوص هاتين الرؤيتين:

أ ـ لقد عَرَّف القرآن نفسه بأنّه نور وتبيان؛ بمعنىٰ أنّه واضح بنفسه، والمخاطبون هم الذين يختلفون في فهمه؛ إذ هناك مطالب غامضة على بعض الناس، وهم بحاجة إلى اللغة،لفهم التنزيل والأحاديث، حتى يمكن تفسير القرآن بصورة جيدة. فالاستفادة إذن من اللغة والأحاديث وغيرها في التفسير، لا تعني أن القرآن يحتاج إلى الغير، واستغناء القرآن عن الغير لا يتنافىٰ مع هذا الأمر.

ب ـ قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وهذِهِ الآية هي خطاب للنبي (ص)، وقد عرَّفتهُ بأنّه المبيِّن للقرآن، وقد كتب العلاّمة الطباطبائي في تفسير هذِهِ الآية: «وفي الآية دلالة على حجية قول النبي (ص) في بيان الآيات القرآنية... ويلحق به بيان أهل بيته (ع)؛ لحديث الثقلين المتواتر وغيره. وأما سائر الأُمّة من الصحابة، أو التابعين، أو العلماء، فلا حجيّة

---

(1) المصدر نفسه، ص289 (بتلخيص).

(2) المصدر نفسه، ص289 (بتلخيص).

(3) سورة النحل: الآية 44.

لبيانهم، لعدم شمول الآية، وعدم [وجود] نص معتمد عليه، يعطي الحجيّة لبيانهم على الإطلاق... هذا كلّه في نفس بيانهم المتلقى بالمشافهة، وأمّا الخبر الحاكي له، فما كان منه بياناً متواتراً، أو محفوفاً بقرينة قطعيَّة، وما يلحق به، فهو حجة لكونه بيانهم و...»[1] وعلى هذا، فإن أحاديث النبي (ص) وأهل البيت (ع)، تكون حجة، ومفسّرة للقرآن في الجملة.

ج ـ أمّا بالنسبة إلى مسألة الأحاديث المعتبرة، وغير المعتبرة في التفسير، فسوف يأتي بيانها بصورة مفصّلة في بحث التفسير الروائي، وسيتضح أن الأحاديث الموضوعة والضعيفة خارجة عن نطاق البحث، فالإشكالات الواردة على الأحاديث، لا تعني رفع اليد كلياً عن دور السنة في تفسير القرآن؛ لأن هناك الكثير من الأحاديث الصحيحة والمتواترة، إضافة إلى اعتبار قسم من الأحاديث لاقترانها ببعض القرائن أو انسجامها مع القرآن.

د ـ اتضح مما سبق، أنّه لا يمكن الأخذ بالظهور الابتدائي لكلام العلاّمة في ذيل الآية السابقة من سورة آل عمران، ولا يعني كلامه إبعاد الأحاديث والقرائن النقلية بصورة كلية عن ساحة التفسير؛ لأنّه قيَّد هذا الكلام، ووضَّح المراد منه في الآية 44 من سورة النحل[2].

---

(1) **الميزان**، ج12، ص261، 262.

(2) يمكن أن يقال إنَّ مقصود العلامة في تفسير الآية السابعة من سورة آل عمران، هو أنّ القرآن لا يحتاج إلى السنة، ويمكن تفسيره بصورة مستقلة، وأن ظاهره حجة؛ أي أنَّ الرجوع إلى السنة جائز وغير واجب، ولا يوجد تنافٍ بين كلامه هنا وكلامه في الآية 44 من سورة النحل، عن حجيّة قول النبي (ص) وأهل =

النتيجة

وعلى هذا الأساس، فإنّه لا يوجد مانع من الاستفادة من الأحاديث المعتبرة، في التفسير عن النبي (ص) وأهل البيت (ع)، بل إنّ المنهج المتكامل في تفسير القرآن بالقرآن، يكمن في الاستفادة من القرائن الموجودة في الأحاديث أيضاً.

أنواع تفسير القرآن بالقرآن

الطرق الفرعية لمنهج تفسير القرآن بالقرآن

يعتبر «تفسير القرآن بالقرآن» منهجاً كلياً، تندرج تحته مصاديق، وطرق فرعية متعددة، يستفيد منها المفسرون في التفسير، ومعرفة هذهِ الطرق تساعد المفسر على تقديم تفسير جامع لآيات القرآن الكريم، وسوف نشير هنا إلى أهم هذهِ الأنواع، وأكثرها شيوعاً، مع الأمثلة.

أ - إرجاع المتشابهات إلى المحكمات

تنقسم آيات القرآن إلى آيات محكمة، وأخرى ومتشابهة، كما أوضحنا ذلك في بحث الأدلة على تفسير القرآن بالقرآن، وكما هو واضح في الآية السابعة من سورة آل عمران. والآيات المُحكَمة تعتبر الأساس والمرجع للآيات القرآنية، ولا بد من إرجاع الآيات المتشابهة إليها، لكي يتضح معناها، أو يتعيَّن أحد احتمالاتها.

مثلاً: توجد بعض الآيات، في القرآن، يدل ظاهرها على

= بيته (ع). ولكن هذا التوجيه غير تام أيضاً، فإذا أثبتنا حجية السنة واعتبار الأحاديث من القرائن في التفسير، لا يمكن غض النظر عن تلك القرائن، ونقول بعد ذلك إنَّ القرآن لا يحتاج إليها.

التجسيم؛ مثل الآيات الّتي تصف الله سبحانه وتعالى بأنّه «سميع»، و «بصير»[1] والآية الشريفة ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[2]، ولا بد من إرجاع مثل هذهِ الآيات إلى الآيات المحكمة، مثل الآية: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[3].

حيث يتضح معناها في ضوء هذهِ الآيات، فعندما نقارن الآيات المذكورة مع الآيات المحكمة، سوف يتبيّن أنّ المقصود باليد هنا ليس اليد الجسمية، بل شيء آخر كالقدرة مثلاً. وعلى هذا يمكن تفسير معنى الآية ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ بمعنىٰ قدرة الله.

ب ـ الجمع بين الآيات المطلقة والمقيّدة

جاءت بعض الآيات بصورة مطلقة، من دون قيد، في حين ذُكرت آيات أُخرىٰ مقيدة ببعض القيود[4]؛ لذلك فإن تفسير الآيات المطلقة من دون النظر في الآيات المقيّدة غير صحيح، ولا يكشف عن المراد الجدّي للمتكلم. وبعبارة أُخرى، إن الآيات المقيدة مفسرة للآيات المطلقة، مثلاً ذُكِرت الصلاة في بعض الآيات بصورة مطلقة ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[5]، في حين قُيّد هذا الإطلاق بزمان خاص في آيات أُخرى كما في الآية: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾[6].

---

(1) سورة الشورى: الآية 11.

(2) سورة الفتح: الآية 10.

(3) سورة الشورى: الآية 11.

(4) في معنىٰ المطلق والمقيد، العام والخاص، الأداة وشرائطها، تراجع الكتب الأصولية التالية: الآخوند الخراساني، **الكفاية**؛ الشيخ الأنصاري، **الرسائل**؛ الشهيد الصدر، دروس في علم الأصول

(5) سورة البقرة: الآيات 43، 83، 110؛ سورة النساء: الآية 77 و...

(6) سورة الإسراء: الآية 78، وهناك قيد آخر في الآية 114 من سورة هود.

وكذلك جاءت حرمة الدم بصورة مطلقة في الآية 173 من سورة البقرة، في حين ذكرت الحرمة بصورة مقيَّدة (دماً مسفوحاً) في الآية 145 من سورة الأنعام.

ج - الجمع بين العام والخاص

جاءت ألفاظ بعض الآيات على جهة العموم والشمول لأفراد كثيرين، وذلك باستعمال بعض ألفاظ العموم، مثل كُل، في حين خَصَّصَت آيات أُخرى هذا العموم، وبما أن تفسير القرآن، هو تعيين المراد الإلهي وتوضيح الآية بصورة كاملة، فإنّ هذا لا يحصل إلا بوضع الخاص بجانب العام. وبعبارة أُخرى: إنَّ الآيات الخاصّة تفسِّر وتبيِّن العموم في الآيات الأُخرى، فمثلاً جاء ذكر الزواج بصورة مطلقة في الآية ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[1] واستثنيت موارد خاصة في الآية الكريمة ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ...﴾[2]. ففي الآيات الأُولى وردت الرخصة في الزواج من جميع النساء، أمّا في الآيات الأُخرى، فقد استثنىٰ الأم والأخت وزوجة الأب و... وخُصِّصَ العموم عن هذا الطريق، ثم خُصِّصَ العموم الثاني (المنع من زواج زوجة الأب) مرة أُخرى، وهناك أمثلة كثيرة للتخصيص في آيات القرآن.

د - توضيح الآيات المجملة بواسطة الآيات المبيّنة

وردت بعض الآيات في القرآن الكريم بصورة مختصرة، فيما

---

(1) سورة النساء: الآية 3.

(2) سورة النساء: الآيتان 22، 23.

جاء بيان هذا الموضوع بصورة مفصّلة في مكان آخر. فالمجموعة الثانية من الآيات تُفسِّر الآيات الأُولى.

وقد لا يُفهم المعنى والمراد من الآيات المجملة دون الرجوع إلى الآيات المبيِّنة، وحينئذٍ لا يكون التفسير صحيحاً.

المثال الأوّل: أشار القرآن الكريم إلى مسألة أكل لحوم الحيوانات بقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[1] وقال في آية أخرى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ...﴾[2]. ففي الآية الأُولى، جاء تحريم لحوم بعض الحيوانات بصورة مجملة، وأنّه سوف يأتي تحريم بعض أنواع اللحوم في المستقبل؛ وقد بُينت هذهِ الموارد في الآية الأُخرى؛ فهنا تكون الآية الثانية مفسِّرة للآية الأُولىٰ.

المثال الثاني: وردت ثلاثة تعابير في شأن ليلة القدر في القرآن الكريم، وهي:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[3].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[4].

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[5].

وعند وضع الآيات الثلاث معاً، نستنتج أن القرآن نزل في ليلة مباركة، في شهر رمضان. ومثل هذا التفسير الكامل لا يحصل بقراءة

(1) سورة المائدة: الآية 1.
(2) سورة المائدة: الآيات 3 ـ 5.
(3) سورة الدخان: الآية 3.
(4) سورة القدر: الآية 1.
(5) سورة البقرة: الآية 185.

الآيات بصورة منفصلة، بل لا بد من ضمّ بعض الآيات إلى بعضها الآخر.

هـ - تعيين مصداق الآية بواسطة الآيات الأُخرى

قد يأتي في بعض الآيات بيان بعض المطالب، بصورة كلية، خالياً من ذكر المصاديق، في حين تذكر هذهِ المصاديق في آيات أُخرى، وعند جمع الآيات، ومراجعتها، ومقابلة بعضها ببعض، تتضح مصاديق الآيات الأُولىٰ.

مثال: نقرأ في سورة الحمد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[1].

وفي آية أُخرىٰ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[2]. فقد جاء ذكر مصاديق الذين أنعم الله عليهم، وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون في هذهِ الآية، وبذلك ٱتضحت مصاديق الذين أنعم الله عليهم، والذين جاء ذكرهم في الآية الأُولى بصورة عامة.

و - الاستفادة من سياق الآيات

السياق عبارة عن: «نوع خاص للألفاظ، أو العبارات، أو الكلام، يظهر على أثر اقترانه مع كلمات، وجمل أُخرى»[3].

ويُعدّ اتصال الكلام، وارتباطه، واعتماد قرينة السياق على فهم كلام الأفراد من الأصول العقلائية المعتمدة في جميع اللغات.

---

(1) سورة الحمد: الآيتان 6، 7.

(2) سورة النساء: الآية 69.

(3) **روش شناسي تفسير قرآن**، مجموعة من الكُتّاب، ص119.

فالمفسرون يعتمدون على هذهِ القرينة أيضاً، في فهم آيات القرآن، ويعتبرونها قرينة ظنيَّة.

والسياق له عدة أقسام: فربما يكون السياق سياق كلمات، أو سياق جمل، أو سياق آيات، وسنوضح ذلك بأمثلة:

المثال الأول: كلمة الدين في الآية ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ تعني الجزاء، ويعرف هذا من خلال إضافة «مالك» إلى «الدين»، أي استفدنا ذلك من سياق الكلمات، في حين جاء لفظ «الدين» في آيات أُخرى بمعنى الشريعة[1]؛ لأن هذا المعنى هو مقتضىٰ سياق تلك الآيات.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾[2].

وقد جاء في نهاية هذهِ الآيات ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾[3].

فإذا أخذنا بظاهر هذهِ الآية دون الالتفات إلى سياق الآيات المتقدمة، لفُهِم منه، أن الله سبحانه وتعالى يخاطب شخصاً محترماً وعزيزاً، أما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآيات المتقدمة، فسوف يتبين أن هذا الشخص (الذي اعتبر عزيزاً كريماً)، ما هو إلا ذليل وحقير[4].

---

(1) ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾... [سورة التوبة: الآية 33].

(2) سورة الدخان: الآيات 43 ـ 48.

(3) سورة الدخان: الآية 49.

(4) انظر: **تفسير القرآن الكريم**، ج1، ص22، نقلاً عن: ابن القيم، بدائع الفوائد.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[1]. وللمفسرين رأيان في هذهِ الآية:

اعتبر بعض المفسرين، أن معنىٰ اللهو في هذهِ الآية، هو المرأة والولد، وهي إشارة إلى نفي عقائد المسيحيين الذين يعتقدون أن لله زوجةً وولداً.

والمجموعة الأُخرى ذهبت إلى أن معنى اللهو، هو التسلي، أو الأهداف غير المعقولة. وعلى هذا يكون معنىٰ الآية أن هدف الخالق ليس هو التسلي.

وقد تمسّك أصحاب الرأي الثاني بالسياق، لرد الرأي الأوّل: لأن ارتباط الآيات أعلاه، سينقطع بالآيات السابقة، إضافةً إلى أن كلمة «اللهو» إذا جاءت بعد كلمة «اللعب» تعني التسلي، وليس المرأة والولد[2].

وقد استفاد العلاّمة الطباطبائي من هذهِ الطريقة كثيراً في تفسير القرآن بالقرآن، واستدل بمفهوم السياق في كثير من الموارد في تفسير الميزان.

ز ـ الالتفات إلى الآيات المشابهة (من حيث اللفظ أو المحتوى)

القرآن الكريم هداية وتربية؛ فقد يطرح الموضوع الواحد في عدة سور، وتتناول كل سورة من السور جانباً من جوانب هذا الموضوع، بصورة قد تتشابه فيها الموضوعات بعضها مع بعضها الآخر، ولذلك على المفسِّر أن يلتفت إلى الموضوعات المُتشابهة في التفسير، وأن يضع الآيات بعضها مع بغضها الآخر، حتى يتضح

---

(1) سورة الأنبياء: الآية 17.

(2) انظر: **تفسير نمونه** (الأمثل)، ج13، ص370، 371 (الهامش).

معناها. فقد تأخذ هذهِ الطريقة في اسم التفسير الموضوعي، كما فعل ذلك آية الله مكارم الشيرازي في كتاب **پيام قرآن**، وآية الله السبحاني في كتاب **منشور جاويد**، أو قد تأخذ طابع التفسير الترتيبي، فيما إذا قام المفسر بجمع آيات الموضوع الواحد في موارد مختلفة من التفسير، كما استخدم العلاّمة الطباطبائي هذهِ الطريقة **في *تفسير القرآن***.

المثال الأوّل: قام العلاّمة الطباطبائي في الآية (29) من سورة البقرة بدراسة المباحث المتعلقة بإعجاز القرآن، والآيات الّتي جاءت حوله. وأورد بحثاً قرآنياً حول كلمات الله والإمامة في الآية (124) من سورة البقرة.

المثال الثاني: طريقة تفسير القرآن بالقرآن لها ثمرات عمليّة كثيرة في تفسير القصص القرآني، فقد ذكرت قصة آدم (ع) وإبليس في الآيات (20 ـ 38) من سورة البقرة والآيات (11 ـ 25) من سورة الأعراف، وكذلك وردت قصة موسى (ع) وإبليس في الآيات (103 ـ 155) من سورة الأعراف، والآيات (9 ـ 98) من سورة طه، والآية (10) من سورة الشعراء، فما بعد؛ فقد تناولت كل من هذهِ السور أحد المواضيع بصورة مختلفة، ومن أبعاد وزوايا متعددة، وهذا يعني أننا نضطر لمراجعة جميع هذهِ السور للحصول على تفسيرها.

ك ـ رفع الاختلاف الظاهري بين الآيات المختلفة

بعض آيات القرآن تبدو متعارضة في ما بينها، ولكن هذا التعارض سرعان ما يختفي، بعد التأمل والتدقيق ومراجعة تفاسيرها؛ لذلك على المفسِّر مراجعة هذا النوع من الآيات وجمعها وتفسير إحداها بالأُخرىٰ؛ لكي يرتفع التعارض الظاهري بينها.

مثلاً: ذكرَ القرآن الكريم مسألة تعرّض الكافرين للسؤال يوم القيامة فقال:

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[1] وقد جاء في مورد آخر ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2] فالظاهر من الآيات التعارض في ما بينها، ولكن بعد التأمل فيها، نفهم أن يوم القيامة له مواقف متعددة، يتعرض الإنسان في بعضها إلى السؤال، دون البعض الآخر، أو أنّه لا يُسأل سؤالاً تحقيقياً، وإنما يسأُل من أجل التوبيخ فقط؛ لأن الأُمور يوم القيامة ستكون واضحة.

وهذه المجموعة من الآيات تُشير إلى هاتين المسألتين، فلا يوجد تنافٍ بينهما[3].

ل ـ تحديد معاني الاصطلاحات القرآنية بالاستعانة بالآيات الأُخرى

توجد في القرآن الكريم اصطلاحات خاصة، خارجة عن معناها اللغوي، ولا يمكن تفسيرها وترجمتها بمراجعة كتب اللغة، بل يجب مراجعة الآيات الأُخرى، ومعرفة لغة القرآن.

وهاك بعض امثلة:

«**الجن**»: المعنى اللغوي هو «المستور، المخفي» وفي اصطلاح القرآن،الجن موجودات عاقلة، لا ترى بالعين.

«**الكافر**»: بمعنى الساتر، أما في اصطلاح القرآن فتطلق على

---

(1) سورة القصص: الآية 78؛ ومُشابه هذهِ الآية في سورة الرحمن: الآية 39: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾.

(2) سورة الحجر: الآية 92؛ ومشابه تلك الآية: التكاثر: 8؛ الصافات: 24.

(3) **تفسير نمونه**، ج16، ص161، (وجّه بعض المفسرين هذهِ الآيات توجيهات أُخرى).

الشخص الذي ينكر وجود الله، أو يوم القيامة أو... وقد تأتي بمعنىٰ عدم الشكر.

«الآية»: تعني: العلاّمة، أما في القرآن فقد تأتي بمعنى الآية القرآنية، أو المعجزة (ولم يذكر لفظ المعجزة في القرآن بمعناه الاصطلاحي).

وهناك اصطلاحات أُخرى مثل الصلاة، الزكاة، الجهاد، و... يفهم معناها الاصطلاحي بالتدبر في آيات القرآن.

م - تعيين أحد احتمالات معنى الآية بالآيات الأُخرى

قد توجد احتمالات عدَّة في معنى الآية، فيتقوى أحد الاحتمالات من خلال مراجعة آيات أُخرى؛ أي أنَّ هذهِ الآيات تبيِّن وتفسِّر آيات أُخرى[1].

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2].

فالخليفة قد يراد به «نائب وخليفة الله سبحانه» والمراد به كل أفراد البشر، أو أن آدم (ع) هو خليفة نوع من الموجودات الأرضية، كانت موجودة قبله، وقد رجّح العلاّمة الطباطبائي المعنى الأَوّل بالاستعانة بالآيات (69) من الأعراف، والآية (14) من يونس، والآية (63) من النحل[3]. لأنّه من خلال الآيات (جعلكم - جعلناكم) أعطى جميع أفراد البشر صفة الخلافة.

---

(1) في الحقيقة يتشابه هذا البحث بصورة كبيرة مع بحث رد المتشابهات إلى المحكمات، ولكن يبدو أن النسبة بين هذهِ الطريقة وبين الحكم المحكم والمتشابه، هي نسبة العموم والخصوص من وجه.

(2) سورة البقرة: الآية 30.

(3) **الميزان**، ج1، ص117.

ن - جمع الآيات الناسخة والمنسوخة

لقد جاءت بعض الآيات لتبيّن بعض الأحكام، ثم أنزلت آيات أُخرى (على أساس المصلحة والظروف الجديدة)، ونسخت الآيات السابقة، وشرّعت أحكاماً جديدة. وثمّة اختلاف بين المتخصصين في علوم القرآن في عدد الآيات المنسوخة، يتراوح من آية إلى ثلاثمائة آية[1].

وعلى المفسر حين يشرع في تفسير الآية، أن يأخذ بنظر الاعتبار الآيات الناسخة والمنسوخة، وإلا فسوف يكون تفسيره تفسيراً ناقصاً.

فقد ورد الأمر في سورة المجادلة بأن على المؤمنين أن يتصدقوا، إذا أرادوا مناجاة النبي (ص)، ولم يعمل بهذا الحكم إلا الإمام علي (ع)، وقد نسخ هذا الحكم في الآيات الأُخرى[2]، وعلى هذا، فبيان الحكم الأوّل من دون ذكر الناسخ في الآية الأُخرىٰ، يكون تفسيراً ناقصاً.

أما إذا جاء بيان الحكمين معاً، فسوف تكون هذه الطريقة تفسيراً للقرآن بالقرآن.

ورغم أن هذا العمل يبدو سهلاً وبسيطاً، لكنه لا يطّرد في جميع الآيات الناسخة والمنسوخة.

---

(1) انظر: آية الله السيد الخوئي، **البيان**، بحث النسخ.

(2) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة المجادلة: الآيتان 12، 13].

ملاحظة

هناك بعض الأنواع والأساليب الفرعية الأُخرى لهذهِ الطريقة، وهي عبارة عن:

1 ـ توضيح كلمة بآية أُخرى[1].

2 ـ بيان القَصص القرآني.

3 ـ توضيح الآيات المختصرة بواسطة الآيات المفصّلة، كما جاء ذلك في هذا الموضوع نفسه.

4 ـ التفسير الموضوعي للقرآن.

5 ـ تعيين مراد آية بآية أُخرى[2].

وقد أوضحنا ذلك كلّه، خلال ذكرنا للأنواع والطرق الفرعيَّة لتفسير القرآن بالقرآن؛ لأنها تقبل الإدغام بعضها ببعض. وقد توجد أنواع أُخرى من تفسير القرآن بالقرآن، أو يمكن تقسيم الأنواع السابقة إلى عدة أقسام فرعية.

التعريف ببعض تفاسير القرآن بالقرآن

من أهم الكتب الّتي استخدمت هذهِ الطريقة بكثرة:

1 ـ ***الميزان في تفسير القرآن***، للعلاّمة الطباطبائي (1321 ـ 1402هـ).

2 ـ ***الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن***، للدكتور محمد الصادقي الطهراني (معاصر).

---

(1) قيل إنَّ الشيخ الطوسي (قده) استفاد من بعض هذهِ الأنواع في **التبيان**. انظر: **التبيان**، ج2، ص47، 85.

(2) المصدر نفسه.

3 ـ *آلاء الرحمن في تفسير القرآن*، للشيخ محمد جواد البلاغي (م1352هـ)، بلغ هذا التفسير إلى الآية (57) من سورة النساء.

4 ـ *التفسير القرآني للقرآن* لعبد الكريم الخطيب (ألفه عام 1386هـ).

5 ـ *تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن*، بالقرآن لمحمد أمين بن محمد مختار (1305 ـ 1393هـ).

الخلاصة

توصلنا في هذا الدرس إلى النتائج التالية:

1 ـ إنّ طريقة التفسير في نظر العلاّمة الطباطبائي على صورتين: طريقة التحميل، وطريقة تفسير القرآن بالقرآن.

2 ـ ينقسم هذا المنهج في نظر الأستاذ معرفة إلى نوعين: وجود الارتباط الظاهري بين الآيات، وعدم وجود الارتباط الظاهري بين الآيات.

3 ـ أشار كُلّ العلماء في هذا المجال إلى نوع خاص من تفسير القرآن بالقرآن، وقد أيّدوا هذا المنهج في التفسير.

4 ـ منهج تفسير القرآن، عبارة عن تبيين معاني آيات القرآن، وتعيين المراد الجدّي منها بواسطة الآيات الأُخرى.

5 ـ هناك رأيان حول الاستفادة من الأحاديث في تفسير القرآن بالقرآن؛ فهناك من قال بوجوب الاستفادة منها في التفسير، وإنّ عدم استخدام القرائن النقلية في التفسير، يُعتبر نوعاً من أنواع التفسير بالرأي.

6 ـ وهناك من قال بعدم حاجة تفسير القرآن بالقرآن إلى

الأحاديث، بل إنّ الأحاديث لا تصلح أن تكون أداةً للتفسير.

7 ـ وقد أُجيب عن الرأي الثاني بأنّه ليس هناك تعارض بين كون القرآن واضحاً وبيّناً وبين حجية الأحاديث، والاستفادة منها في التفسير، بل إن الرسول (ص)، وطبقاً للآية (44) من سورة النحل، يُعتبر هو المُبيِّن للقرآن، وكذلك أحاديث أهل البيت (ع)، على أساس حديث الثقلين.

8 ـ استنتجنا من خلال الجمع بين رأي العلاّمة في الآية (7) من سورة آل عمران، وكلامه في الآية (44) من سورة النحل، أنّه يذهب إلى الرأي الأوّل.

9 ـ إن أكثر أنواع تفسير القرآن بالقرآن شيوعاً هي:

إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، حمل الآيات المطلقة على المقيّدة، والعامة على الخاصة، توضيح الآيات المجملة بالمبيّنة والمفصّلة، تعيين مصداق الآية بواسطة الآيات الأُخرى، الاستفادة من السياق في التفسير، الالتفات إلى الآيات المُتشابهة، الالتفات إلى الآيات المخالفة ورفع الاختلاف الظاهري بينهما، تحديد معاني الاصطلاحات القرآنية بالآيات الأُخرى، ترجيح أحد الاحتمالات بواسطة آيات أُخرى، والجمع بين الآيات الناسخة والمنسوخة.

10 ـ ذكرنا بعض تفاسير القرآن بالقرآن ومن أهمها تفسير الميزان الذي استفاد كثيراً من هذه الأنواع.

الأسئلة

1 ـ متى بدأ تفسير القرآن بالقرآن؟ أذكر مثالاً على ذلك.

2 ـ كيف تدل الآية ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ﴾ على لزوم تفسير القرآن بالقرآن؟

3 ـ كيف تدل الآية ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ على تفسير القرآن بالقرآن؟ مع ذكر مثال.

4 ـ ناقش رواية «القرآن يفسر بعضه بعضاً»، من خلال السند والدلالة.

5 ـ ناقش رواية «ضرب القرآن» من حيث السند والدلالة، وهل تعارض تفسير القرآن بالقرآن؟

6 ـ ما علاقة تفسير القرآن بالقرآن، مع حجية ظواهر القرآن؟ وضح ذلك.

7 ـ اشرح دليل حجيّة ظواهر القرآن.

8 ـ ما هي أنواع تفسير القرآن بالقرآن، بحسب الشيخ معرفة؟

9 ـ عرِّف تفسير القرآن بالقرآن مع ذكر مثال.

10 ـ اذكر الرأيين في مكانة السُّنة في تفسير القرآن بالقرآن، وبيِّن رأي العلاّمة الطباطبائي في هذا المجال.

11 ـ بيّن طريقة المطلق والمقيد، والعام والخاص، في تفسير القرآن، مع ذكر مثال.

12 ـ وضِّح طريقة تعيين المصداق في تفسير القرآن بالقرآن، مع ذكر مثال.

13 ـ عرِّف السياق واذكر مكانته في تفسير القرآن.

14 ـ ما علاقة التفسير الموضوعي مع تفسير القرآن بالقرآن؟ مع ذكر مثال.

15 ـ كيف يمكن رفع التعارض الظاهري للآيات بواسطة تفسير القرآن بالقرآن؟ مع ذكر مثال.

16 ـ ما علاقة بحث الناسخ والمنسوخ، مع تفسير القرآن بالقرآن؟

17 ـ اذكر ثلاثة من تفاسير القرآن بالقرآن على الأقل، مع ذكر اسم المؤلف.

بحوث جديدة

1 ـ اذكر الأحاديث التي قالها النبي (ص) وأهل البيت (ع) في تفسير القرآن بالقرآن، وصنّفها حسب الأنواع.

2 ـ اذكر موارد تفسير القرآن بالقرآن في آثار الصحابة والتابعين، وصنّفها حسب الأنواع.

3 ـ ناقش الروايات التي استدل بها الموافقون على تفسير القرآن بالقرآن من حيث السند والدلالة.

4 ـ ناقش روايات «من خوطب به»، من حيث السند والدلالة.

5 ـ ما آثار حجيّة وعدم حجيّة ظواهر القرآن؟ ناقش ذلك.

6 ـ قارن بين رأي الأخباريين والأُصوليين بالنسبة إلى القرآن في كتبهم، مع النقد.

7 ـ اذكر مصاديق تفسير القرآن بالقرآن التي استفاد منها صاحبا تفسيري مجمع البيان والتبيان.

8 ـ اذكر رأي العلاّمة الطباطبائي بالنسبة إلى منهج تفسير القرآن بالقرآن في ***تفسير الميزان***، بصورة كاملة مع التحليل.

9 ـ ناقش منهج العلاّمة في ***تفسير الميزان*** مع التحليل.

10 ـ استخرج موارد أُخرى من أنواع تفسير القرآن بالقرآن، لم تذكر في هذا الكتاب.

11 ـ اكتب تفسيراً موضوعياً تحت عنوان «عصا آدم» الواردة في كل من السور التالية: الأعراف، طه، الشعراء و...

12 ـ اكتب تحقيقاً حول أحد تفاسير القرآن بالقرآن، مع نقد وتحليل المنهج المستخدم.

مصادر للمطالعة

1 ـ *الميزان في تفسير القرآن*، العلاّمة الطباطبائي، ج1، المقدمة؛ ج3 الآية السابعة من سورة آل عمران.

2 ـ *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*، آية الله معرفة، ج2.

3 ـ *الفوائد المدنيّة*، الأمين الاسترآبادي.

4 ـ *تفسير الصافي*، ج1، المقدمة.

5 ـ *الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان*، علي الأوسي.

6 ـ *تفسير القرآن بالقرآن عند العلاّمة الطباطبائي*، خضير جعفر.

4
منهج التفسير الأثري للقرآن (1)

الأهداف التعليميّة

الهدف الأساس: الاطلاع علىٰ استخدام الروايات في التفسير.

الأهداف الثانويّة:

1) الاطلاع على الآراء حول مكانة الروايات في التفسير؛

2) معرفة أقسام الروايات، ومدىٰ تأثيرها في التفسير.

المقدّمة

يُعدّ منهج التفسير الروائي من أقدم المناهج التفسيريَّة، وأكثرها شيوعاً. وهو أحد أقسام «التفسير بالمأثور»[1]، و «التفسير النقلي».

---

(1) التفسير بالمأثور يشمل: تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنَّة، تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين. والمراد من التفسير الأثري عند الإطلاق، هو القسم الثاني انظر: **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص21 وما بعدها.

وللتفسير الروائي مكانة خاصة بين المناهج التفسيريَّة، وكان دائماً محط اهتمام المُفسرين.

وقد اتخذ في بعض الأحيان اتجاهاً متطرفاً؛ حيث إنّ بعض المفسرين لم يرتضِ إلا هذا المنهج، وفي الواقع هناك اتجاهات مُخالفة لهذهِ الطريقة ومُعتدلة في استخدام هذا النهج.

وسوف نقوم هُنا، ببحث آراء المتخصصين في هذا المجال، بالنسبة إلى التفسير الروائي، والاتجاهات الإفراطيَّة، والتفريطيَّة فيه، ودور وحدود أقسام الأحاديث في تفسير القرآن، لكي يرتفع الإبهام في هذا المجال، ويمكننا الاستفادة من أحاديث النبي (ص) وأهل البيت (ع) في تفسير القرآن، بصورة أكثر وضوحاً.

الاصطلاحات

هُناك ثلاثة اصطلاحات أساسيَّة في هذا البحث:

أ - المنهج.

ب - التفسير[1].

ج - الروائي:

الرواية في الأصل تعني «النقل والحمل»، ورواية الحديث، بمعنىٰ نقل وتحمّل الحديث[2]. وقد قسَّم العلماء التفسير بالمأثور (التفسير النقلي) إلى أربعة أقسام:

---

(1) مرّ تعريف المنهج والتفسير في الدرس الثاني.

(2) **مصباح اللغة**، مادة «روى»؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج4، ص8، مادة «رأىٰ».

الأوّل: تفسير القرآن بالقرآن.

الثاني: تفسير القرآن بالسُنَّة.

الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين[1].

ولكن المقصود من التفسير الروائي، هو تفسير القرآن بالسُنة، والسنّة هي «قول وفعل وتقرير» المعصوم (النبي (ص) والأئمة (ع))، أي أنَّه قد يصدر عن المعصوم كلامٌ في تفسير آية، وقد يقوم بعمل (كالصلاة) يكون تفسيراً للآيات المتعلقة بالصلاة، وقد يكون تقريراً من المعصوم، وذلك في ما إذا صدر عن شخص كلامٌ، أو عمل عملاً طبقاً لبعض الآيات في حضور الإمام، وأقرّه على ذلك، أي أيَّد المعصوم يؤيِّد هذا الكلام، أو الفعل بسكوته عن ذلك الفعل، أو القول.

الخلاصة والنتيجة

المقصود من منهج التفسير الروائي هُنا هو استفادة المفسِّر من سُنَّة النبي (ص) وأهل البيت (ع) (والّتي تشمل قولهم وفعلهم وتقريرهم) لتوضيح معاني آيات القرآن ومقاصدها. وهذا المنهج يحقق نتائج وآثاراً خاصة أيضاً.

ملاحظة: رغم أنّه يمكن الاستفادة من روايات الصحابة والتابعين في تفسير القرآن في موارد خاصة، وأنّ الكثير من أقوالهم في التفسير يُعتبر مفيداً ونافعاً، لكن هُناك اختلاف بين علماء المسلمين في حجيّة سنتهم، ومساحة اعتبار رواياتهم.

---

(1) انظر: **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص21 وما بعدها.

نبذة تاريخيَّة

يمكن تقسيم الأدوار التاريخية للتفسير الروائي إلى عدة أدوار:

أ - عصر النبي (ص)

نشأ التفسير الروائي مُقارناً للوحي؛ لأن النبي (ص) هو أوّل مُفسِّر ومُبيِّن للقرآن، وقد جاء الأمر الإلهي بهذا الخصوص في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1].

الحق أن سنَّة النبي (ص) وبيانهُ ترجع في جذورها إلى الوحي أيضاً، كما قال الرسول (ص): «ألا وإني أُوتيت القرآن ومِثْله معه»[2]. فقد كان الصحابة يرجعون إلى النبي (ص) في تفسير القرآن، ويأخذون منهُ معانيه. روي عن ابن مسعود أنّهُ قال: «كان الرجل منّا إذا تعلَّم عشر آيات لم يجاوزهُنَّ، حتى يعرف معانيهنَّ، والعمل بهنَّ»[3].

وربما كان أصحاب النبي (ص) يسألونه، حتى أنّهم كانوا يحبّون أن يجيء الأعرابي فيسألهُ، حتى يسمعوا[4].

وقد يكون عمله (ص) تفسيراً للقرآن، كما روي عنهُ (ص) أنّه قال بشأن الصلاة: «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي»[5]، وروي عنهُ أنّهُ

---

(1) سورة النحل: الآية 44.

(2) السيوطي، **الاتقان**، ج4، ص174.

(3) **تفسير الطبري**، ج1، ص27، 28، 30.

(4) الإسكافي، **المعيار والموازنة**، ص304؛ آية الله معرفة، **التفسير والمفسرون**، ج1، ص175.

(5) **بحار الأنوار**، ج85، ص279.

قال: «خذوا عني مناسككم»[1]. وفي هذهِ الصورة تكون أفعال النبي (ص) تفسيراً لجزئيات الصلاة والحج.

روي عن الإمام الصادق (ع) أنّهُ قال: «إن الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يُسَمِّ لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتى كان رسول الله (ص) هو الذي فسَّر لهم ذلك»[2]. نعم؛ لقد بيَّن الرسول (ص) المسائل الّتي ذُكرت بصورة كليَّة في القرآن الكريم، مثل: (الصلاة، الصوم، الحج و...)، وكذلك وضّح موارد تخصيص العمومات وتقييد المطلقات، وبيَّن الاصطلاحات الجديدة في القرآن، ولغة القرآن، والناسخ، والمنسوخ. وجميع هذهِ الأُمور كانت تفسيراً للقرآن، وصلتنا بواسطة الروايات والسُنَّة، ولا تزال موجودة، كمصادر للتفسير الروائي[3].

ب ـ عصر أهل البيت (ع)

استمرت طريقة التفسير الروائي إلى عصر الأئمة (ع). وكان الإمام علي (ع) ـ تلميذ الرسول (ص) في التفسير ـ[4] يسمع ما يقوله النبي (ص) في تبيين آيات القرآن، ويقوم بنقله وروايته، وقد اتبع أهل البيت (ع) هذا المنهج أيضاً، فكانوا ينقلون الأحاديث للناس عن النبي (ص) والإمام علي (ع)، ويستدلّون بها، وقد وصل عدد

---

(1) لم نجد هذهِ الرواية بلفظها ولكن جاء مضمونها في البحار، ج28، ص95؛ ج37، ص115.

(2) **الكافي**، ج1، ص286؛ العياشي، ج1 ص249 ـ 251؛ الحاكم الحسكاني، ج1، ص149؛ آية الله معرفة، **التفسير والمفسرون**، ج1، ص181.

(3) للإطلاع على أحاديث النبي (ص) في التفسير راجع: **الإتقان**، ج4، ص180، 214 ـ 257؛ **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، ج1، ص181 ـ 199.

(4) اعترف الذهبي بهذا الأمر في **التفسير والمفسرون**، ج1، ص89.

الروايات المروية عنهم (ع) إلى بضعة آلاف[1].

وقد تصدّى أهل البيت (ع) لتفسير القرآن لاطلاعهم على العلوم الإلهيَّة؛ ولذا اعتُبرت سنتهم (قولهم وفعلهم وتقريرهم) من مصادر التفسير، وجزءاً من التفسير الروائي؛ وفي هذا الإطار، سأل رجل الإمام الرضا (ع) فقال: «إنك لتفسِّر من كتاب الله ما لم يُسمع، فقال (ع): علينا نزل قبل الناس، ولنا فُسِّر قبل أن يُفسّرُ في الناس، فنحنُ نعرف حلاله، وناسخه ومنسوخه، و...»[2] وقال في حديث آخر: «فإنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أُنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا»[3].

وعلى هذا، قام أهل البيت (ع) بتبيين مسائل متنوعة في مجال تفصيل الأُمور الكليَّة الّتي وردت في القرآن وآيات الأحكام: المخصِّصات، المقيِّدات، اللّغات، الناسخ، والمنسوخ، والاصطلاحات الجديدة في القرآن، وكذلك تبيين باطن الآيات وتأويلها ومصاديقها.

ج - عصر الصحابة والتابعين

حظيت الروايات التفسيريَّة للنبي (ص) وأهل البيت (ع) باهتمام الصحابة والتابعين، حتى إنّ بعض الصحابة الكبار، أَمثال ابن عباس وابن مسعود كانوا لا يروْن أنفسهم مستغنين عن الإمام علي (ع)،

---

(1) نقل آية الله معرفة في التفسير والمفسرون، ج1، ص181 عن نجل السيد هاشم البحراني أنّهُ قام بجمع ما أسند إلى النبي (ص) من التفسير المروي عن طريق أهل البيت (ع)، فبلغ لحد الآن أربعة آلاف حديث.

(2) **نور الثقلين**، ج4، ص595، ح19.

(3) تفسير فزات الكوفي، ص258، ح351.

والاستفادة من علمه. وإنّ كثيراً من أحاديث التفسير لابن عباس، تلقّاها عن الإمام علي (ع)[1].

وفي الحقيقة، إنَّ الصحابة والتابعين قاموا بتفسير القرآن أيضاً، وقد وصلتنا روايات كثيرة عن ابن عباس وغيره[2].

يُذكر أن الروايات التفسيريَّة في هذهِ الفترة جُمعت بصورة تدريجيَّة باسم «كتب التفسير الروائي المشهورة».

د ـ عصر جمع وتأليف الروايات التفسيريّة

أوّل تدوين في هذه المجموعة عند الشيعة هو الكتاب المنسوب إلى الإمام علي (ع) والذي ورد على شكل رواية مفصّلة في بداية تفسير النعماني[3].

وهناك كتاب آخر، هو مصحف علي بن أبي طالب، الذي جاء فيه بالإضافة إلى الآيات القرآنية: تأويل القرآن، والتفسير، وأسباب النزول، وإن كان هذا الكتاب ليس في متناول أيدينا الآن[4].

ثم التفسير المنسوب إلى الإمام الباقر (ع) (57 ـ 114هـ) المنقول عن طريق أبي الجارود[5]، والتفسير المنسوب إلى الإمام

---

(1) قال ابن عباس: «جل ما تعلمت من التفسير من علي بن أبي طالب»؛ بحار الأنوار، ج89، 105، 106.

(2) انظر: الذهبي وآية الله معرفة، **التفسير والمفسرون**، (مبحث ابن عباس).

(3) قد تذكر هذه الرسالة بعنوان رسالة المحكم والمتشابه وتُنسب إلى السيد المرتضى وقد رويت في **بحار الأنوار**، المجلدات المختصة بالقرآن. انظر: السيد حسن الصدر، **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام**، ص318.

(4) انظر: المجلسي، **بحار الأنوار**، ج89، ص40؛ محمد هادي معرفة، **التمهيد في علوم القرآن**، ج1، ص292؛ السيد محمد علي إيازي، **سير تطور تفاسير شيعة**، ص28.

(5) إبن النديم، **الفهرست**، ص36.

الصادق (ع) (83 ـ 148هـ) والذي جاء متفرقاً في كتاب حقائق التفسير القرآني[1]، ثم تفسير علي بن إبراهيم القمّي (ت307هـ)، وفرات الكوفي (كان حياً في سنة 307هـ)، وتفسير العيّاشي (المتوفّى بعد عام 320هـ) وتفسير النعماني (المتوفى بعد عام 324هـ)، والتفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (232 ـ 260هـ).

وقد جُمِعت الروايات الفقهية عن النبي (ص) وأهل البيت (ع)، والّتي تعتبر نوعاً من أنواع تفسير آيات الأحكام في مجاميع روائية، مثل: ***الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار***؛ كما دُوّن في هذا الوقت تفسير ***جامع البيان في تفسير القرآن*** لابن جرير الطبري (المتوفىٰ 310هـ)، وكذلك الصحاح الستّة عند أهل السنة.

ثم واجهت حركة تدوين التفاسير الروائية ركوداً نسبياً، من القرن الخامس إلى التاسع الهجري؛ فيما برزت التفاسير العقلية والاجتهادية.

أما في القرن العاشر الهجري، وحتى القرن الثاني عشر، ومع ظهور الحركة الأخبارية فقد دُونت تفاسير روائية كثيرة مثل: ***البرهان في تفسير القرآن*** للسيد هاشم الحسيني البحراني (المتوفى 1107هـ)، وتفسير ***نور الثقلين*** للحويزي (المتوفى 1112هـ)، وفي هذا الوقت، أيضاً، دونت المجاميع الحديثية، مثل: ***وسائل الشيعة، والوافي، وبحار الأنوار***؛ والّتي يعتبر الكثير من رواياتها تفسيراً للقرآن.

أما عند أهل السنة، فقد دُوّن في ذلك الوقت تفسير ***الدر المنثور*** لجلال الدين السيوطي (المتوفى 911هـ).

والآن وفي عصر كتابة التفاسير الجديدة، برز الاهتمام

---

(1) **سير تطور تفاسير شيعة**، 39.

بالروايات التفسيرية، والّتي عادة ما تُبحث خلال التفسير، أو بصورة منفصلة؛ كما فعل العلاّمة الطباطبائي، حيث يذكر البحث الروائي، بعد كل مجموعة من الآيات.

ملاحظة: لم تسلم الروايات التفسيرية في عصر الجمع والتدوين من ظاهرة الوضع، ووجود الإسرائيليات، وتسلّل بعض الروايات الضعيفة؛ وهذا ما يستوجب الحذر والدقة عند الاستفادة من روايات الطبري، وأمثاله.

الآراء حول مكانة الروايات في التفسير

يمكن تقسيم آراء العلماء حول مكانة وحدود الاستفادة من الروايات في التفسير إلى ثلاثة آراء:

الأوّل: استقلال القرآن، وعدم احتياجه إلى الأحاديث في التفسير.

وهذا الرأي يمكن أن يطرح بعدة أشكال:

أ ـ أن نقول إنّ القرآن نزل بلسان عربي مبين، ومفهوم، وإنّ العقل يكفي لفهم القرآن، ولا نحتاج إلى الأحاديث في التفسير[1].

المناقشة

أوّلاً: هذا الرأي يتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم، كالآية (44) من سورة النحل، وكذا حديث الثقلين والذي يدّل علىٰ حجيّة الأخذ بأحاديث النبي (ص) وأهل البيت (ع) في التفسير[2].

---

(1) **در آمدي بر تفسير علمي قرآن**، ص103.

(2) سوف نبحث هذه المسألة في المبحث التالي تحت عنوان «حجيّة السنّة في تفسير القرآن» بصورة مفصّلة.

ثانياً: غفل أصحاب هذا الرأي، عن أنّ تفسير القرآن لم يأتِ لتوضيح معاني الألفاظ فقط، بل هو يتضمن قضايا كليّة، تحتاج إلى بيان كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، و... وقد تكفلت الأحاديث بذلك.

ثالثاً: إن تفسير القرآن من دون مراجعة أحاديث النبي (ص) وأهل البيت (ع)، الّتي تعتبر قرائن نقلية في التفسير، يُعد من التفسير في الرأي[1]، كما صرّح بذلك بعض العلماء[2].

ملاحظة: يمكن أن يقال إنَّ الجذور التأريخية لهذا الرأي ترجع إلى شعار «حسبنا كتاب الله» الذي رُفع في عصر النبي (ص)، والذي أصرّ على فصل القرآن عن أهل البيت (ع)، أي أنّ هذا الرأي قبل أن يكون رأياً علمياً هو رأي سياسي. فمع كل هذه الأُمور لا يمكن القبول بهذا الرأي.

ب ـ رأي العلامة الطباطبائي (قده): بحث العلامة الطباطبائي روايات التفسير بالرأي بصورة مفصّلة في الآية السابعة من سورة آل عمران، وفي ختام البحث قال: «والمُحصّل: أنّ المنهيّ عنه، إنما هو الاستقلال في تفسير القرآن، واعتماد المفسِّر على نفسه، من غير رجوع إلى غيره، ولازمه وجوب الاستعانة بالغير بالرجوع إليه، وهذا الغير لا محالة، إمّا هو الكتاب أو السنَّة، وكونه هو السنّة ينافي القرآن، ونفس السنّة الآمرة بالرجوع إليه، وعرض الأخبار عليه، فلا يبقى للرجوع إليه والاستمداد منه في تفسير القرآن إلا نفس القرآن»[3].

---

(1) سيأتي تفصيل هذه المسألة في بحث (منهج التفسير بالرأي).

(2) آية الله الخوئي، **البيان**، ص269.

(3) **الميزان**، ج3، ص89.

والذي يظهر من كلام العلاّمة أنّ التفسير الاستقلالي ليس صحيحاً؛ لأنّه تفسير بالرأي، وتفسير القرآن بالسنة غير صحيح أيضاً؛ لأنّه يتنافىٰ مع القرآن ونفس السّنة، فإذن لا يبقى طريق إلا بالرجوع إلى القرآن نفسه بالتفسير، وهو ما يسمّىٰ «تفسير القرآن بالقرآن»[1].

المناقشة

رغم أنّ ظاهر كلام العلاّمة هنا يدل على عدم احتياج التفسير للروايات، بل عدم جواز ذلك، ولكن عندما نلاحظ كلامه الوارد في الآية (44) من سورة النحل، نجد أنّه يعتبر بيان النبي (ص) والأئمة (ع) حجة في تفسير القرآن[2]. فظاهر كلامه في الآية السابعة لا يكشف عن مقصوده بصورة مطلقة، وقد ذكر أحد تلامذته البارزين تفسيراً بالنسبة إلى استقلال القرآن، يعتبر توضيحاً جيداً لكلام العلامة وهو:

أوّلاً: إنَّ الثقلين لا يمكن أن يفترق أحدهما عن الآخر، بل هما متلازمان، ويشكّلان حجة إلٰهية واحدة، غاية ما هنالك، أنّ أحدهما يُعتبر أصلاً، والآخر فرعاً لذلك الأصل، أو متناً، والآخر شرحاً لذلك المتن؛ فالقرآن والعترة لا يفترقان، كما أنّه ليس أحدهما في عرض الآخر، فرسالة الدين النهائية ترتبط بالقرآن والسنّة.

ثانياً: إن القرآن الكريم لا يحتاج إلى الغير في سنده، ولا في

(1) بُحث كلام العلاّمة من زاويتين مختلفتين في بحث منهج التفسير بالرأي، ومنهج تفسير القرآن بالقرآن، وقد لوحظ كلامه هنا من زاوية أخرى.

(2) **الميزان**، ج12، ص260.

ظواهره، ولا في رسم الخطوط الكلّية للدين، وهو مستقل حدوثاً وبقاءً، فهو الثقل الأكبر بالنسبة إلى الأحاديث التابعة للقرآن حدوثاً وبقاءً؛ لأنّ المراد من الاستقلال، هو الاستقلال النسبي، وليس الاستقلال النفسي. ومن هنا، فإن الاعتماد على الأُصول العقلائية في فهم معاني وألفاظ القرآن لا ينافي استقلاله في الحجّية والدلالة.

ثالثاً: ارتباط الروايات بالقرآن، من حيث اعتبار السند (سواءً كان ذلك في السنّة القطعية أو غير القطعية)، وأيضاً من ناحية حجية المتن (في خصوص السنّة غير القطعية). أما بعد تأمين أصل اعتبار السنّة بواسطة القرآن، فسوف تكون حجة مستقلة غير منحصرة، شأنها شأن القرآن[1]. «فالقرآن مستقل في جميع شؤونه وغير مرتبط بالغير، ولكن لأنّ الدين يرتبط بالقرآن وسُنة المعصومين (ع) في عرض رسالته النهائية، فمن هذا الجانب، إن القرآن والسنّة لا يمكن أن يفترقا في بيان مفاهيم الدين في الاعتقاد والعمل، بمعنى أنّ القرآن يتكفل بتبيين الخطوط الكلّية للدين، وتتعهد السنّة ببيان التفصيلات، وجزئيات الأحكام»[2].

الثاني: عدم جواز تفسير القرآن إلا بالروايات:

على أساس هذه الرؤية المتطرفة المنسوبة إلى الأخباريين فإنّه لا يجوز تفسير القرآن، إلا في ضوء الروايات، ومن هنا اكتفت بعض التفاسير كالبرهان ونور الثقلين بجمع الروايات فقط.

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بالأدلة التالية:

أ ـ إن ظواهر القرآن ليست حجة، وكل تفسير يعتمد على الظواهر

---

(1) آية الله جوادي آملي، **تفسير تسنيم**، ج1، ص155.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص154.

والدلائل العقلية والاجتهادية يعتبر من التفسير بالرأي الذي وردت حرمته والنهي عنه بشدة في الروايات. وعلى هذا الأساس لا يجوز تفسير القرآن إلا بالأحاديث الواردة عن النبي (ص) وأهل البيت (ع).

ب ـ الروايات الّتي تدل على أن فهم القرآن مختص بمخاطبيه، يعني أهل البيت (ع)، كالحديث الوارد عن الإمام الباقر (ع) حيث قال لقتادة فقيه أهل البصرة: «.. بلغني أنك تُفسِّر القرآن. قال لهُ قتادة: نعم. ثم ذكر الإمام بعض المسائل إلى أن قال: يا قتادة إنْ كنت إنّما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك، فقد هلكت، وأهلكت، وإن كنت أخذتهُ من الرجال، فقد هلكت، وأهلكت. ويحك يا قتادة، إنّما يعرف القرآن من خوطب به»[1].

ج ـ عجز عقل البشر عن الإحاطة بتفسير القرآن؛ لقد جاء في بعض الأحاديث: إنّ عقل الإنسان عاجز في هذا المجال[2]، فقد نُقل عن النبي (ص) أنّه قال: «إنّه ليس شيء بأبعد من تفسير القرآن»[3]، وقال الإمام الصادق (ع) لجابر: «إن للقرآن بطناً وللبطن بطن، (ثم قال): يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه»[4].

د ـ ذكر بعض العلماء أدلة أُخرى على هذا الرأي مثل:

ـ لا يجوز الاعتماد على الظن في تفسير القرآن، وكل تفسير لا يعتمد على الرواية، فإنّه لا يكون إلاّ ظناً[5].

---

(1) الفيض الكاشاني، **تفسير الصافي**، ج1، ص20.

(2) **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص201 ـ 203.

(3) **مرآة الأنوار**، ص17.

(4) **الميزان**، ج3، ص90.

(5) عميد الزنجاني، **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص194.

ـ إنَّ النبي (ص) هو المُبيِّن للقرآن، وإنَّ آيات القرآن ليست بذلك الوضوح، حتى لا نحتاج إلى تفسير النبي (ص)[1].

وحيث إنّ هذين الدليلين ليس لهما علاقة كبيرة بموضوع البحث (عدم جواز تفسير القرآن إلا بالروايات)، فسوف نغض النظر عن الإجابة عليهما.

المناقشة

إنّ علم الأُصول، هو الذي يتكفل ببحث حجية ظواهر القرآن وأدلتها؛ ومن هنا قام الأُصوليون بنقد أدلة الأخباريين[2]، واتّضح عند ذكر الأدلة في بحث تفسير القرآن بالقرآن، أنّ ظواهر القرآن حجة، وأنّه لا يوجد مانع من تفسيرها والعمل بها (بعد البحث عن القرائن العقلية والنقلية)، ولا يُعدّ ذلك من التفسير بالرأي[3].

أمّا بالنسبة إلى روايات «من خواطب به»، فقد أُجيب عنها: بأنّ هذا النوع من الروايات يشير إلى الفهم الكامل للقرآن ومراتبه العالية التي يعمّ، الظاهر والباطن) وهو مختصّ بأهل البيت (ع)، أما المراتب الدنيا فلا تختص بالمعصوم[4].

وأمّا بالنسبة إلى دور العقل والروايات الناهية عن استخدامه، فقد جاء بيانه في منهج التفسير العقلي، وهو أنّ المقصود: بها هو

---

(1) المصدر نفسه، ص197.

(2) انظر: الآخوند الخراساني، **كفاية الأُصول**، مبحث حجية الظواهر؛ الشيخ الأنصاري، **فرائد الأصول**، مبحث حجية الظواهر.

(3) انظر: **روش تفسير قرآن** به قرآن (مبحث عدم حجيّة ظواهر القرآن في نظر الإخباريين).

(4) انظر: **البيان**، ص267، 268.

أنّ فهم تمام مراتب الآيات (الظاهر والباطن) ليس في متناول الجميع؛ أي إنّ المقصود هو نفي العلم بمجموع القرآن بالنسبة إلى جميع الأفراد، وبعبارة أُخرى: لا يمكن لأي شخص أن يُدرك كل معاني الظاهر والباطن، (أيّ النفي الكلي وليس السلب الكلّي)، أمّا بالنسبة إلى أهل البيت (ع) والراسخين في العلم، فيمكنهم أن يدركوا جميع العلوم والمعارف.

وفي الحقيقة، إن هذا النوع من الأحاديث، جاء في مقابل (حسبنا كتاب الله)، فهذا النوع ينفي تفسير القرآن من دون مراجعة القرائن النقلية (روايات النبي (ص) وأهل البيت (ع)) وليس المقصود من هذه الروايات حصر التفسير بالأخبار.

الثالث: اتخاذ الروايات وسيلة، وقرينة، لتفسير آيات القرآن:

على أساس هذا الرأي المعتدل، فإن أحاديث النبي (ص) وأهل بيته (ع)، تعتبر قرائن لتفسير الآيات، وأدوات لتوضيح معاني الآيات ومقاصدها،ولها استخدامات متنوعة في التفسير، كما هو الحال بالنسبة إلى القرائن العقلية، وآيات القرآن. فقد تأتي هذه الروايات لبيان شأن النزول، أو لتوضيح مصداق الآية ومفهومها، وقد تأتي لبيان تأويل الآية وباطنها، أو قد تكون شرحاً لبعض الجزئيات في آيات الأحكام، ومن هنا، يصبح تفسير القرآن من دون الأخذ بالقرائن النقلية، غير صحيح؛ لأنّه يكون من باب الأخذ بالعام قبل البحث عن المُخَصِّص، أو المُطلق، قبل مراجعة المقيِّد.

والدليل الآخر على هذا الرأي، هو أن أحاديث النبي (ص) وأهل البيت (ع) تعتبر حجة في التفسير[1]، وبالتالي تُعَد قرينة على

(1) سوف تأتي أدلة حجيّة الأحاديث في تفسير القرآن.

فهم آيات القرآن وتفسيرها، وتفسير القرآن من دون مراجعة هذه القرائن، يعتبر نوعاً من التفسير بالرأي[1].

النتيجة

بطلان الرأي الأوّل: (استقلال القرآن عن الأحاديث)، وكذلك بطلان الرأي المتطرف: (عدم جواز تفسير القرآن إلاّ بالروايات)، والرأي المختار هو: الرأي الثالث، الذي يستند إلى دليل محكم. ومن مجموع ما ذُكر توصلنا إلى أنّ أحاديث أهل البيت (ع) لا يمكن أن تفترق عن القرآن، ولكن يجب أن لا تكون في عرض القرآن؛ لأنّ القرآن هو الأصل في تقييم الروايات، وهي (أي الروايات) فرع ذلك الأصل، ولا بُدَّ أن يُترك كل حديث يخالف القرآن. أما الأحاديث والروايات الّتي تتوفر فيها شرائط الحجيّة، فيمكن أن تكون شارحة ومفسِّرة للقرآن، ما لم تكن مخالفة لهُ.

ومن هنا، يتضّح أنّ الأحاديث تكون حجة في طول القرآن، وأنّها تشكِّل مع القرآن حجة واحدة، لعرض الرسالة النهائية للدين.

وفي الختام، يمكن القول: إن سنّة النبي (ص) وأهل البيت (ع)، تعتبر مصدراً لتفسير القرآن من جهة، وتكون قرينة ووسيلة للتفسير، من جهة أخرى ولا يوجد تناف بين الاثنين.

حجيّة «السنّة» في التفسير

يقع بحث المسائل المتعلقة بحجية (سنّة النبي (ص)) في ثلاثة أقسام:

---

(1) سوف يأتي توضيح ذلك في بحث التفسير بالرأي.

أ ـ حجية سنّة النبي (ص) في تفسير القرآن

جاء أصل حجيّة سنّة النبي (ص) في التفسير انطلاقاً من تأييد القرآن الكريم لهذا الأصل، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]، ويتجلّىٰ من خلال هذه الآية أن القرآن نُزِّل على النبي (ص) لكي يبيّنه للناس، فإذا لم يكن بيان النبي (ص) معتبراً، وواجب الاتّباع، فإن هذه المسألة حينئذٍ تصبح لغواً وعلى هذا لذلك فإن كلام النبي (ص) وبيانه وتفسيره يعتبرون حجّة بالنسبة إلى آيات القرآن، وهذا ما صرّح به كبار المفسّرين عند تناولهم الآية المذكورة[2].

ومن جانب آخر، إنّ النبي (ص) قام بتفسير القرآن قولاً وعملاً، بل إنّه أمر المسلمين باتّباعه، في جزئيات أحكام الصلاة، والحج و... وهذا ما فعله الصحابة أيضاً. وهذه السيرة العملية ما زالت مستمرة، حتى زماننا الحاضر.

ومن الواضح أن السُنّة تشمل: قول المعصوم، وفعله، وتقريره، ولكن شروط ومدى حجيّة كل منها، يحتاج إلى بحوث خاصة، سوف نشير إليها في ما يأتي.

ب ـ حجيّة سنّة أهل البيت (ع) في التفسير

تعتبر روايات أهل البيت (ع) ضمن شروط خاصة، حجّة في التفسير ومصدراً له، كما هو الحال بالنسبة إلى الروايات التفسيرية للنبي (ص)، أي إن بيانهم امتداد لبيان النبي (ص) كما أشارت إليه الآية (44) من سورة النحل، وهناك أدلة كثيرة نشير إلى بعضها[3]:

---

(1) سورة النحل: الآية 44.

(2) انظر: **الميزان**، ج12، ص261 وتفاسير أُخرىٰ.

(3) يمكن الاستفادة من دليل عصمة الأئمة (ع) في هذا المجال، ونحن نشير هُنا إلى أدلة تكون محل اتفاق الفريقين.

أوّلاً: حديث الثقلين الذي روي عن النبي (ص) بصورة متواترة، عن طريق السنّة، والشيعة، حيث قال: «إني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، حتى يردا عليّ الحوض»[1].

فهذا الحديث جعل التمسك بهما معاً، شرطاً لعدم ضلال المسلمين، فإذا لم يتمسّكوا بهما، أو تمسّكوا بأحدهما، فمصيرهم الضلال حينئذ.

ولهذا، فإن أهل البيت (ع)، هم حجة إلى جانب القرآن، وهذه الحجيّة ليست إلاّ حجيّة سنّتهم (قولهم، وفعلهم، وتقريرهم)، ورواياتهم التفسيرية، تعتبر جزءاً من سنّتهم، فهي حجة ومعتبرة، ولا بد من التمسك بها.

ثانياً: روي في أحاديث عدة عن أهل البيت (ع) أنهم قالوا: «.. فإنّا إذا حدّثنا قلنا: قال الله عز وجل، وقال: رسول الله (ص)»[2].

ومن الواضح أن أهل البيت (ع)، هم عدول، وثقات، وروايتهم عن النبي (ص) معتبرة، فأحاديثهم في التفسير، وغير التفسير، هي أقوال النبي (ص)، وصلتنا عن طريقهم[3].

---

(1) روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة، وأسانيد متنوعة في كتب متعددة للسنّة عن عدد من الصحابة والتابعين، مثل: زيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة، وأبي هريرة. انظر: **صحيح الترمذي**، ج2، ص308؛ **فضائل الخمسة**، ج2، ص52 ـ 60؛ **الغدير**؛ **إحقاق الحق** و...

(2) انظر: **الميزان**، ج19، ص33؛ آية الله الخوئي، **معجم رجال الحديث**، ج18، ص276.

(3) في الحقيقة إن هذا الدليل لا يشمل قسماً آخر من المسائل الّتي بيّنها أهل البيت (ع) (على أساس فهمهم للقرآن، أو الإلهام أو...).

ثالثاً: هناك أدلة أُخرىٰ تدل على ملازمة الإمام علي (ع)، والأئمة من بعده للقرآن[1]، وقد رويت عن طريق الشيعة، والسنّة، وسوف نغض النظر عنها هنا، طلباً للاختصار[2].

ج ـ أقوال الصحابة والتابعين

رغم أن بعض الأشخاص اعتبر روايات الصحابة والتابعين جزءاً من التفسير الروائي[3]، لكننا نرىٰ الرأي القائل بالتفصيل، بالنسبة إلى اعتبار الكلام المنقول عن طريقهم إلى النبي (ص) في خصوص تفسير القرآن فنقول:

1 ـ إنّ المسائل المنقولة عنهم بالنسبة إلى المعاني اللغوية، تكون معتبرة مع افتراض اطلاعهم على لغة العرب، وتقبل أقوالهم حينئذٍ، بعنوان: قول اللغوي مع شرائطها الخاصة.

2 ـ المسائل المنقولة عن الصحابة في بيان شأن نزول الآيات، تكون معتبرة إذا شهد الصحابي الواقعة، وكان ثقة، وهو طريق جيد لتوضيح أسباب نزول الآيات.

3 ـ يُقبل قولهم في روايتهم عن النبي (ص)، قولاً، أو فعلاً، أو تقريراً إذا كانوا ثقاتاً.

4 ـ المسائل الّتي وردت عنهم في فهم آيات القرآن عن طريق

---

(1) عن الرسول (ص): «علي مع القرآن، والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»؛ **مستدرك الصحيحين**، ج3، ص124؛ **فضائل الخمسة**، ج2، ص126.

(2) يعتبر بحث حجيّة سنة أهل البيت (ع)، من المباني التفسيرية، وليس مجال بحثها هنا، وسوف نقتصر على هذه الأدلة فقط، ويمكن الرجوع إلى الكتب المفصّلة في هذا المجال. (انظر: السيد محمد باقر الحكيم، **علوم القرآن**، ص255).

(3) الشيخ خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، ص111.

الاجتهاد الشخصي، لا يختلف حالهم فيها عن حال بقيّة المفّسرين؛ أي أنها تخضع للمناقشة والنقد، ذلك أن اجتهادهم ليس حجة علينا، لعدم وجود دليل من القرآن، أو السنّة، ولا يوجد إجماع في هذا المورد أيضاً. وعلى هذا، فإنّ سنّة الصحابة والتابعين غير أهل البيت (ع)، ليست حجة، ولا معتبرة في التفسير[1].

وقد كتب العلاّمة الطباطبائي؛ في هذا الخصوص عند تفسير الآية (44) من سورة النحل: «وفي هذه الآية دلالة على حجية قول النبي (ص)... ويلحق به بيان أهل بيته، لحديث الثقلين المتواتر، وغيره. وأما سائر الأمة، من الصحابة، والتابعين، والعلماء، فلا حجيّة لبيانهم؛ لعدم شمول الآية لهم، وعدم [وجود] نصّ معتمد عليه، يعطي حجية لبيانهم على الإطلاق»[2].

استخدام الروايات التفسيرية

جمُعت أحاديث النبي (ص) وأهل البيت (ع) في مجموعات تعرف بـ (التفاسير الروائية)، وعندما نلاحظ هذه الأحاديث، نكتشف أنّها تنظر إلى آيات القرآن من زوايا عدَّة، وأنها قامت بعدة أدوار في تفسير آيات القرآن، وسوف نبيّن هنا أهم استخدامات الأحاديث التفسيرية:

1 ـ تفسير وتوضيح الآية

ساهمت بعض الروايات في توضيح وشرح بعض الكلمات

(1) تُبحث حجية أقوال الصحابة والتابعين في التفسير في مبادئ التفسير، ولهذا فقد أشرنا إليها باختصار، وعلى القرّاء مراجعة: **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، ج1، ص297، 423 للمزيد من الاطلاع.

(2) **الميزان**، ج12، ص260.

المبهمة والمجملة، وكشفت الغطاء عن الألفاظ الصعبة، وتُعد هذه الطريقة من أهم وظائف التفسير الاصطلاحي.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1]، وهنا لم يتعيّن حد الاستطاعة في الحج الواجب، وقد ورد عن النبي (ص) ما يدل على أنّ المقصود من ذلك هو: «الزاد والراحلة»[2].

ومثال آخر: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾[3]، فقد سُئل النبي (ص) عن المراد من «باسقات» فأجاب (ص): «طويلات».

2 ـ تطبيق الآية على مصداق خاص

جاءت بعض الأحاديث لبيان مورد ومصداق الآية، وهذه المسألة على ثلاثة أنواع:

أ ـ في بعض الأحيان، يبيّن الحديث أحد مصاديق الآية، وإن كانت الآية لا تنحصر في ذلك المصداق، ويكثر ذلك في الروايات الفقهية، فقد سُئل النبي (ص) عن كفارة القسم في الآية (89) من سورة المائدة «أو كسوتهم» قال: «عباء لكل مسكين»[4].

ومن الواضح أن العباء، هو أحد مصاديق الألبسة الّتي يجب أن تُعطىٰ إلى الفقير، وأنّ الشخص المكفِّر يستطيع أن يستبدل ذلك بمصاديق أُخرىٰ من الألبسة، وأن الآية لا تنحصر بهذا المصداق.

ب ـ وفي بعض الأحيان، تبيّن الآية المصداق الأتم والأكمل،

---

(1) سورة آل عمران: الآية 97.

(2) الإتقان، ج4، ص218.

(3) سورة ق: الآية 10.

(4) الإتقان، ج4، ص221.

وإن كان معنى الآية لا ينحصر بهذا المصداق أيضاً.

مثال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[1]، فقد ورد في الأحاديث أن المقصود من ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ في هذه الآية، هو الإمام علي (ع)[2].

ومن الواضح، أنّ هذا النوع من الأحاديث يريد أن يبيّن أحد المصاديق الكاملة للصراط المستقيم، وهو طريق الإمام علي (ع)، وإلا فإنّ طريق الأنبياء، والأئمة الآخرين، هي أيضاً من الطرق المستقيمة.

ج ـ أحياناً يأتي الحديث لبيان مصداق خاص، يكون معنى الآية منحصراً فيه، ولا توجد مصاديق أُخرىٰ.

مثال ذلك: في آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ . . .﴾[3] وآية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا. . .﴾[4]، وآية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ. . .﴾[5]، وردت أحاديث متعددة، تشير إلى أن مصداق هذه الآيات، هو الإمام علي (ع) وأهل البيت (ع)[6]، ولا توجد مصاديق أُخرىٰ لهذه الآيات، مع أخذ تلك الروايات بنظر الاعتبار[7].

---

(1) سورة الحمد: الآية 6.

(2) **الميزان في تفسير القرآن**، ج1، ص41.

(3) سورة المائدة: الآية 55.

(4) سورة آل عمران: الآية 61.

(5) سورة الأحزاب: الآية 33.

(6) انظر: **مجمع البيان**؛ **الميزان**؛ **تفسير نمونه**؛ والسيد علي موحد أبطحي، آية التطهير.

(7) آية الله جوادي آملي، **تسنيم**، ص169.

3 ـ بيان جزئيات آيات الأحكام

قد تُبيّن الأحاديثُ بعضَ المسائل الجزئية في الآية، والّتي لا وجود لها في القرآن، بل وصلت إلينا عن طريق السنّة، وهي حجة علينا، وهذا القسم على ثلاثة أنواع أيضاً:

أ ـ تخصيص عموم الآية بالرواية

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾[1] فقد عيّنت هذه الآية سهم الذكور في الإرث، وهو ضعف سهم الإناث، وقد جاء تخصيص هذا الحكم في السنّة، في خصوص القاتل والكافر؛ أي أنَّ قاتل أبيه أو الكافر لا يرث من أبيه المسلم[2].

مثال آخر، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ﴾[3]، فهذه الآية عامّة وشاملة لجميع النساء المطلقات، وقد خُصِّص هذا الحكم العام من خلال السُنة في الحالات الّتي يكون فيها الزوج قد قارب زوجته (الدخول بالزوجة)، وفي غير هذه الحالات، فلا توجد عدّة على النساء[4].

ب ـ تقييد الآية المطلقة

قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾[5]، فقد

---

(1) سورة النساء: الآية 11.

(2) **الكافي**، ج7، ص140، 143 (باب ميراث القاتل وميراث أهل الملل).

(3) سورة البقرة: الآية 228.

(4) **تفسير الصافي**، ج1، ص256، الآية المذكورة (وتستفاد هذه المسألة أيضاً من سورة الأحزاب، 49).

(5) سورة النساء: الآية 12.

جاءت الوصية مطلقة في هذه الآية، ولم يعيّن مقدارها، ولكن جاء بيان ذلك في السنّة، فإن وصية الأفراد الّتي يعمل بها، يجب أن لا تتجاوز ثلث التركة[1].

ج - توضيح العناوين التكليفية الخاصة الّتي جاء ذكرها في القرآن

مثل: الصلاة، الزكاة، الحج، والجهاد، وقد جاء بيان المقصود منها في الأحاديث؛ أي تبيين الحقيقة الشرعية والمعنىٰ الاصطلاحي في الشريعة لهذهِ العناوين[2].

فمثلاً بيّن النبي (ص) أن المقصود من الصلاة الواردة في القرآن بكلامه (ص): «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي»[3]، ووضّح جزئياتها، وأنّه ليس المراد منها المعنىٰ اللغوي، والذي هو «الدعاء».

د - بيان موضوعات الأحكام

مثل قتل العمد، والخطأ اللّذين ورد ذكرهما في القرآن، وقد جاء بيان وتوضيح هذه الموضوعات من خلال الأحاديث، لكي تنضوي تحت الأحكام الخاصة.

4 - بيان الآيات الناسخة والمنسوخة في الأحاديث

وقعَ نسخ بعض آيات القرآن بآيات أُخرىٰ؛ أي أن زمان الآية المنسوخة قد انتهى، وحلَّ حكم الآية الناسخة محل المنسوخة، وقد ذُكِرت هذه الموارد في الأحاديث، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ

---

(1) انظر: **وسائل الشيعة**، كتاب الوصايا، الباب 67، ح4 والباب 66، ح1.

(2) آية الله معرفة، **التفسير والمفسّرون**، ج1، ص185.

(3) **بحار الأنوار**، ج85، ص279.

﴿يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ﴾[1]؛ حيث روي عن الإمام الصادق (ع) أنّ هذه الآية قد نُسخت بآية الجلد، وهي الآية الثانية من سورة النور، وحكم الرجم (الذي جاء في السنّة)[2].

إن نظير هذه الأحاديث كثير والعمل بها يحتاج إلى بحث فقهي اجتهادي.

5 ـ توضيح شأن نزول الآيات

تعرض كثير من الأحاديث لبيان أسباب نزول الآيات؛ أي لبيان زمان ومكان نزول الآية، أو نوع الحادثة الّتي وقعت الآية في أثنائها، أو بعدها، وهذا الأمر له تأثير مهم في توضيح مفاد الآية. وقد جمعت هذه الأحاديث في بعض التفاسير، كتفسير: ***البرهان***، ***نور الثقلين***، ***والدر المنثور***، وأيضاً في كتب أسباب النزول.

6 ـ توضيح وتأويل الآيات

رُويت عن النبي (ص) وأهل البيت (ع) أحاديث تعرّضت لبيان باطن الآيات وتأويلها، وبالرغم من أن بيان باطن الآية وتأويلها يعيننا على فهم أعمق للآية، وأحياناً يؤثر في تفسير الآية؛ إلا أنّه لا يعتبر جزءاً من التفسير بالمعنىٰ الاصطلاحي، وإن كانت عادة المفسِّرين أن يذكروا تأويل الآية في كتب التفسير وعلى كل حال، فإن أحد استخدامات الروايات، هو بيان تأويل الآية وباطنها[3].

---

(1) سورة النساء: الآية 16.

(2) **تفسير العيّاشي**، ج1، ص227، 228.

(3) للتأويل والباطن معانٍ متعددة تبحث في مباني التفسير، للمزيد من المطالعة يراجع كتاب: آية الله معرفة، **التفسير والمفسرون**، ج1، ص24 وما بعدها.

مثال ذلك الآية الكريمة: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

فقد نُقل عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال: «من حَرْق أو غَرَق - ثم سكت - ثم قال: تأويلها الأعظم أنْ دعاها فاستجابت له»، وروي عن الإمام الباقر (ع) أنّه قال: «قال من حرْق أو غرَق، قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى، قال: تأويلها الأعظم»[2].

فظاهر الآية يتحدث عن القتل الظاهري للإنسان؛ فقتل أحد الأفراد يعني قتل جميع الناس، وإحياؤه يعني إحياء جميع الناس، ولكن يمكن أن يستفاد من الرواية تأويل[3] الآية بمعنى يكشف عن إحدى القواعد الكلية، وهي أنّ قتل البدن الظاهري، وإحياءَه يعتبران أحد مصاديقها، وضلال وهداية الأفراد من مصاديقها الأُخرىٰ؛ لأنّه إحياء وقتل لروح الأفراد.

مثال آخر على ذلك، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩﴾[4]، وروي عن الإمام الصادق (ع) في تفسير هذه الآية أنّه قال: «الميزان الذي وضعه الله للأنام هو الإمام العادل الذي يحكم بالعدل»[5]، وروي عن الإمام الرضا (ع) في تأويل الآية: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أنّه قال: لا تعصوا الإمام، قيل:

---

(1) سورة المائدة: الآية 32.

(2) **تفسير الصافي**، ج2، ص31.

(3) يمكن أن يكون المقصود بالتأويل هنا هو الباطن نفسه.

(4) سورة الرحمن: الآيات 7 ـ 9.

(5) السيد شرف الدين الاسترآبادي، **تأويل الآيات الظاهرة**، ج2، ص632، 633.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ قال: أقيموا الإمام بالعدل، قيل: ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ قال: لا تبخسوا الإمام حقّه)[1].

وورد عن الإمام الصادق (ع) أنّ المقصود من قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[2] هو الأنبياء وأوصياؤهم، وجاء في رواية أُخرى (نحن الموازين القسط)[3].

فالمعنى الظاهر للآية، أنّها تأمر الناس بأن يَزِنُوا أعمالهم على أساس العدالة، بالميزان العادي الموجود عندهم، وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم عند الوزن؛ ولكن يستفاد من الرواية أن باطن الآية يُشكِّل قاعدة كلية، وأنّ «الميزان» له معنى عميق، يشمل كل أداة للوزن، فأحد مصاديقها، هو الميزان العادي، والآخر، هو الإمام الذي يكون، وسيلة لوزن أعمال البشر.

ملاحظة: قد تأتي الأحاديث التفسيرية لتعليم المنهج الصحيح لتفسير القرآن، والمنع عن المنهج غير الصحيح.

وكما مرّ في مبحث تفسير القرآن بالقرآن، فإن النبي (ص) وأهل البيت (ع) قاموا باستخدام هذا المنهج في التفسير، وقد جاء توضيح هذه المسألة في الروايات التفسيرية. وأحياناً تقوم هذهِ الروايات بتعليمنا كيفيَّة تفسير القرآن بالقرآن.

وتبيّن لنا أيضاً في بحث التفسير بالرأي أن النبي (ص) وأهل البيت (ع) رفضوا هذه الطريقة في التفسير، وأمروا بالابتعاد عنها. وقد جاءت هذه المسألة في روايات التفسير، ورغم أنّ هذه المسائل تعتبر من استخدامات الأحاديث التفسيرية أيضاً، إلا أننا لم نذكرها

---

(1) **تفسير الصافي**، ج5، ص107، 108 (تفسير الآية).

(2) سورة الأنبياء: الآية 47.

(3) **تفسير الصافي**، ج3، ص341.

كجزء من الاستخدامات؛ لأنها تتعلق بمنهج التفسير وليس بمحتواه.

ملاحظة أُخرى: الروايات التفسيرية للصحابة والتابعين، لها استخدامات كثيرة في التفسير أيضاً، مثل: توضيح المعنى اللغوي، بيان شأن النزول، نقل أحاديث النبي (ص)، وقد مرّ بحثها في حجيّة السنّة في تفسير القرآن.

الخلاصة

لقد توصلنا في هذا الدرس ـ بعد بيان الأهداف التعليمية والمقدمة ـ إلى النتائج التالية:

1 ـ المقصود من الرواية في «منهج التفسير الروائي» هو السنّة نفسها ـ قول وفعل وتقرير المعصوم (ع) ـ وتشمل سنّة النبي (ص) وأهل البيت (ع).

2 ـ بدأ التفسير الأثري في عهد النبي (ص) واستمر إلى زمن أهل البيت (ع) والصحابة، الذين نقلوا الروايات التفسيرية للنبي (ص) في الكثير من أقوالهم، ثم جُمِعت في مجاميع تفسيرية أمثال: **البرهان**، **ونور الثقلين**، **والدر المنثور**.

3 ـ هناك ثلاثة آراء رئيسة بالنسبة إلى مكانة الأحاديث في تفسير القرآن:

الأوّل: استقلال القرآن وعدم حاجته إلى الأحاديث.

ثانياً: عدم جواز تفسير القرآن إلا بالأحاديث.

ثالثاً: استخدام الروايات كوسيلة وقرينة في التفسير.

وإن لكُلٍّ من هذه الآراء أدلة خاصة، تعرضنا لنقدها ومُناقشتها وأثبتنا الرأي الثالث.

4 ـ لقد ثبتت حجيّة سنّة النبي (ص) في التفسير، بالآية (44) من سورة النحل، والسيرة العملية للصحابة، أمّا حجيّة سنّة أهل البيت (ع) فقد ثبتت عن طريق حديث الثقلين، وأحاديث أُخرى.

ولا يوجد لدينا دليل على حجيّة أحاديث الصحابة والتابعين (رأيهم واجتهادهم) في التفسير.

5 ـ للروايات استعمالات كثيرة في تفسير القرآن، وهي عبارة عن: تفسير وتوضيح ألفاظ الآية، تطبيق الآيات على المصاديق، بيان جزئيات آيات الأحكام، ومخصصاتها، ومقيّداتها، بيان الآيات الناسخة والمنسوخة، بيان شأن نزول الآيات، وبيان باطن الآيات وتأويلها.

5

منهج التفسير الروائي للقرآن (2)

أصناف الروايات ودورها في التفسير

طرق الوصول إلى السنّة

لقد وصلتنا سنّة النبي (ص) وأهل البيت (ع) عن طريق الروايات، وأصحاب السير، والتاريخ، ولا تتمتع كل هذه المجموعات بقيمة واحدة؛ لأن طرق النقل كانت مختلفة، وفي النتيجة، فإن مناهج حصولنا على الأحاديث مختلفة.

توجد تقسيمات متنوعة للأحاديث وفق أسس مختلفة؛ ولكن التقسيم الذي يفيدنا، هو تقسيم الأحاديث، على أساس طرق النقل، إلى أربعة مجاميع:

أ ـ الأخبار المتواترة

المتواتر في اللغة هو: «مجيء الواحد بعد الآخر على وجه الترتيب»، وفي الاصطلاح هو خبر جماعة يستحيل تواطؤهم على

الكذب، وفي النتيجة يوجب إخبارهم العلم بمضمون الخبر[1].

وبعبارة أُخرىٰ: هو نقل الروايات لإحدى القضايا بصور متعددة وبطرق مختلفة، بحيث يحصل الاطمئنان بعدم كذب مضمونها؛ لأنّه من غير الممكن أن يتفق جميع الرواة على الكذب.

وينقسم الخبر المتواتر إلى قسمين: التواتر اللفظي والتواتر المعنوي؛ فالتواتر اللفظي هو التفاق على نقل الخبر بلفظ واحد.

أما التواتر المعنوي: فهو اشتراك عدة أحاديث في مضمون واحد، مثل: الإخبار عن شجاعة الإمام علي (ع) بألفاظ مختلفة.

ملاحظة: تعتبر الأحاديث المتواترة حجة في التفسير؛ لأنها تفيد العلم، فإذا وصلتنا أحاديث متواترة عن النبي (ص) وأهل البيت (ع) بخصوص تفسير آية، فلا بد من الأخذ بهذا التفسير والعمل بمضمونها (إذا كانت تتعلق بالمسائل العملية).

كما صرّح بذلك العلاّمة الطباطبائي في تفسير الآية (44) من سورة النحل[2].

ب ـ أخبار الآحاد

وهي الروايات الّتي لم تصل إلى حد التواتر؛ أيّ الروايات المنقولة بطريق أو بطريقين مثلاً، وتقسم أخبار الآحاد إلى ثلاثة أقسام:

الأول: خبر الواحد المحفوف بالقرائن، أي الخبر غير المتواتر، والذي يصل عن طريق معتبر، ومحفوف بقرائن، وشواهد تفيد صدق

---

(1) كاظم مدير شانه جي، **علم الحديث**، ص144.

(2) **الميزان**، ج12، ص261.

الراوي، واليقين بصدوره عن النبي (ص) أو أهل البيت (ع)، كالأخبار الّتي تحتوي على مضامين عالية (مثل بعض خطب نهج البلاغة)، أو تكون مضامينه موافقة لظاهر القرآن.

ملاحظة: في هذه الموارد، يعتبر خبر الواحد المحفوف بالقرائن، حجة في التفسير؛ لأنّه يفيد العلم، وقد صرّح العلاّمة الطباطبائي بذلك أيضاً عند تفسير الآية (44) من سورة النحل[1].

الثاني: أخبار الآحاد الضعيفة؛ وهي الأخبار غير المتواترة، والتي ليس لها سند معتبر أيضاً، ولذلك لا يوجد اطمئنان بصدورها عن المعصوم[2]. وهذا النوع من الأحاديث يرد كثيراً في الروايات التفسيرية، وربما يكون موضوعاً، أو من الإسرائيليات.

ملاحظة (1): هذا النوع من الأحاديث، غير معتبر في التفسير، ولا يعتبر حجة؛ لأننا نريد أن نُبيّن مراد الله سبحانه في التفسير، وعندما لا يكون الحديث مفيداً لليقين، لا يمكن القطع بأن مضمون الخبر مراد الله تعالى.

وبعبارة أُخرى؛ إنّ إسناد بعض المسائل الّتي تتضمنها الأحاديث الضعيفة إلى القرآن، يعني إسنادها إلى الله من دون علم، وهذا يُعدّ افتراءً على الله. وإن أحاديث النبي (ص) (بمقتضى الآية 44 من سورة النحل) تعتبر بياناً للقرآن، وأما الخبر الضعيف فلا يعتبر بياناً؛ لعدم إحراز صدوره عن النبي (ص).

---

(1) **الميزان**، ج12، ص261، 262.

(2) إن كل حديث غير صحيح، ولا حسن، ولا مُوثّق، يعتبر ضعيفاً في علم الحديث، وهو يشمل: المرفوعات، المرسلات، الموضوعات، وأمثال ذلك (كاظم مدير شانه چي، علم الحديث، 149).

وقد ذهب السيد الخوئي (قده) إلى حجيّة الأخبار القطعيّة في التفسير، وعدم حجيّة الأخبار الضعيفة[1].

ملاحظة (2): حاول بعض المفسّرين دراسة هذه الأحاديث من ناحية المتن، والاستفادة منها كشاهد في التفسير، إذا كان هناك ما يدل على صدقها، كموافقتها ظواهر القرآن مثلاً.

مثال: للعلاّمة الطباطبائي بحث روائي مفصّل في تفسير الآية (37) من سورة آل عمران، في قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا**﴾، حيث نقل روايات عدَّة من تفسيري: القمّي والعيّاشي، يدُل مضمونها على نزول الوحي على عمران، ووجود الفاكهة في محراب مريم، في غير وقتها.

ثم قال العلاّمة: «وبعض المفسرين شدَّد النكير على ما تضمنتهُ هذهِ الروايات، كالوحي إلى عمران، ووجود الفاكهة في محراب مريم في غير وقتها، وكون سؤال زكريا للآية فقال: إن هذهِ أمور لا طريق إلى إثباتها... وليس هُناك إلا روايات إسرائيليَّة»، ثم قال في الرد على ذلك: «وهو منهُ كلام من غير حجة، والروايات، وإن كانت روايات آحاد وغير خالية عن ضعف الطريق، ولا يجب على الباحث الأخذ بها، والاحتجاج بما فيها، لكن التدبر في الآيات يقرّب الذهن منها، والذي نُقِل منها عن أئمة أهل البيت (ع)، لا يشتمل على أمر غير جائز عند العقل»[2].

مثال آخر: وقد فعل العلاّمة الطباطبائي؛ الشيء نفسه في تفسير سورة الحمد في خصوص الروايات الواردة في الآية ﴿الرَّحْمَٰنِ

---

(1) **البيان في تفسير القرآن**، ص398.

(2) **الميزان**، ج3، ص184، 185.

﴿الرَّحِيمِ﴾، فقد استخرج بعض النقاط الدقيقة من الروايات، بواسطة المعنىٰ اللغوي، والصفة المشبّهة، وصيغة المبالغة لها، ثم أتى بهذه الروايات، كمؤيّد، وشاهد، وهذا هو أحد إبداعات العلاّمة في التعامل مع الروايات التفسيرية، والذي يعطي نتيجتين:

الأولىٰ: إحياء الروايات التفسيرية الّتي تتسم بضعف السند.

الثاني: دعم أحاديث أهل البيت (ع)، بالقرآن، لكي تكون مقبولة عند جميع المسلمين.

الثالث: أخبار الآحاد المعتبرة، أي الأخبار غير المتواترة الّتي يكون لها طريق معتبر وهي تفيد الظن بالصحة، ولا تورث اليقين.

وهذه الأحاديث تقسّم إلى ثلاثة أنواع: صحيحة، وحسنة، وموثقة[1].

ملاحظة: في خصوص اعتبار هذا القسم من الأحاديث في التفسير، أو عدم اعتبارها، توجد آراء مختلفة، وسوف نقوم ببحث هذه الآراء، وأدلتها في البحوث الآتية:

---

(1) توضيح مثل هذه الاصطلاحات خارج عن نطاق البحث. يراجع كتاب: كاظم مدير شانه چي، **علم الحديث**، ص148 وكتب أُخرى في هذا المجال.

الروايات:

المتواترة: لا يوجد مانع من استخدامها في التفسير.

غير متواترة:

خبر الواحد المحفوف بالقرائن: لا يوجد مانع من استخدامه في التفسير.

خبر الواحد الضعيف: لا يصح تفسير القرآن به.

الخبر الواحد المعتبر (صحيح ـ حسن ـ موثق) هناك اختلاف في استخدامه في التفسير.

الروايات:

تفيد اليقين: الخبر المتواتر - خبر الواحد المحفوف بالقرائن

لا تفيد اليقين: خبر الواحد الضعيف - خبر الواحد المعتبر (صحيح ـ حسن ـ موثق)

مكانة خبر الواحد في التفسير

ثمّة خلاف بين علماء الشيعة بشأن حجية واعتبار خبر الواحد، فقد ادعى بعض العلماء مثل الشيخ الطوسي، الإجماع على حجيّة خبر الواحد، واختار كثير من المتأخرين نفس هذا الرأي؛ وفي مقابل هذا الرأي، هناك من ادعى الإجماع أيضاً كالسيد المرتضى؛ على عدم حجيّة خبر الواحد، واتّبعه في ذلك ابن إدريس[1].

---

(1) إنظر: الشيخ الطوسي **العدة**، ج1، ص47؛ الشيخ محمد رضا المظفر، **أصول الفقه**، ج3 ـ 4، ص84؛ الشهيد الثاني (المتوفىٰ 1011هـ)، **معالم الدين**، ص188.

أمّا في الوقت الحاضر، فإنّ مشهور علماء الإمامية، ذهب إلى حجيّة خبر الواحد المعتبر، والعمل به في الأحكام الشرعية، ودليلهم الرئيس هو سيرة العقلاء.

أمّا ما نريده هنا فهو: هل خبر الواحد حجّة في التفسير، كما هو الحال في الأحكام الشرعية؟ وهل يجوز التفسير على طبقه أو لا؟ وهنا توجد ثلاثة آراء رئيسة:

الأوّل: آراء الموافقين على حجيّة خبر الواحد في التفسير:

1 ـ السيد الخوئي: حيث أوضح في مقدمة **البيان** أنّ التفسير هو إيضاح مراد الله، وأنّه لا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان؛ للنهي عن اتباع الظن، وحرمة إسناد الشيء إلى الله بغير إذنه واعتبر ظاهر القرآن، وحكم العقل النظري وروايات المعصومين القطعية هي المصادر المعتبرة في التفسير.

أمّا بالنسبة لخبر الواحد المروي عن المعصوم في التفسير، فقد أثار فيه إشكالاً، وهو: إن معنىٰ الحجية الّتي ثبتت لخبر الواحد، هي ترتيب الآثار العملية عليه، وهذا المعنىٰ لا يتحقق إلا إذا كان مؤدىٰ الخبر حكماً شرعياً، أو موضوعاً، قد رتب الشارع عليه حكماً شرعياً، وهذا الشرط، لا يوجد في خبر الواحد الذي يروى عن المعصوم في التفسير.

ثم أجاب على هذا الإشكال فقال: قد أوضحنا في مباحث «علم الأصول» أنّ معنى الحجيّة في الناظرة إلى الواقع، هو جعْلها عِلماً تعبدياً في حكم الشارع، فيكون الطريق المعتبر (خبر الواحد هنا) فرداً من أفراد العلم، ولكنه فرد تعبدّي، لا وجداني، فيترتب عليه كل ما يترتب على القطع من آثار، فيصح الإخبار على طِبقه،

كما يصح أن يخبر على طِبق العلم الوجداني، ولا يكون من القول بغير علم. وتدلنا على ذلك سيرة العقلاء، فإنهم يعاملون الطريق المعتبر، معاملة العلم الوجداني، من غير فرق بين الآثار... ولم يثبت من الشارع ردع لهذه السيرة العقلائية المستمرة[1].

2 ـ الشيخ معرفة: قال بعد بيان مقدمة في حجية خبر الواحد في التفسيرِ وذِكْر رأي المخالفين، وجواب السيد الخوئي الذي يذهب إلى أن: «خبر الواحد، أُخذ بما أنّه علم تعبدي، وليس التعبد بالعمل» قال: حجيّة خبر الواحد الثقة تعتمد على السيرة العقلائية؛ إذ يورث الاطمئنان، ويمكن ترتيب الأثر عليه في جميع الموارد، إلا إذا تبيّن وجود خلل واضح فيه.

ثم قال: ومن هنا فإن جميع الأحكام وسنن الشريعة الّتي تفصّل مجملات القرآن، وتفسّر هذه الآيات الّتي وصلتنا عن طريق خبر الواحد الجامع للشرائط، تكون معتبرة عندنا، إلا في الخبر المخدوش، من حيث السند، والمضمون، فلا يعتبر حجة في هذه الحالة[2].

3 ـ اختار تلاميذ السيد الخوئي (قده) هذا الرأي، كما ورد ذلك في كتاب ***شناخت قرآن***[3].

4 ـ يظهر من كلام الزركشي، أنّه اختار هذا الرأي أيضاً في ***البرهان***، فقد ذكر عند تعرضه لمصادر التفسير: «الأوّل النقل عن النبي (ص)، وهذا هو الطراز الأوّل، لكن يجب الحذر

---

(1) السيد الخوئي، البيان، ص398.

(2) الشيخ معرفة، **تفسير ومفسّران**، ج2، ص22، 23، ترجمة: علي خياط (فارسي).

(3) هريسي ونجمي، **شناخت قرآن**، ص311.

من الضعيف فيه، والموضوع»[1]. فقد استثنى الأخبار الموضوعة فقط، من بين: الأخبار المتواترة، المحفوفة بالقرائن، خبر الواحد الثقة، فيظهر من كلامه اعتبار أخبار الآحاد في التفسير.

الثاني: آراء المخالفين لحجيّة خبر الواحد في التفسير:

1 ـ من أصحاب هذا الرأي، الشيخ الطوسي؛ إذ رغم ادعائه الإجماع على أصل حجية خبر الواحد، إلا أنّه قال بشأن اعتباره مصدراً في التفسير: «بل ينبغي أن يرجع إلى الأدلة الصحيحة، إمّا العقلية، أو الشرعية: من إجماع عليه، أو نقل متواتر به عمن يجب اتباع قوله، ولا يقبل في ذلك خبر واحد، خاصة، إذا كان ممّا طريقه العلم»[2].

2 ـ محمد عبده[3].

3 ـ العلاّمة الشعراني: كتب في مقدمة تفسير منهج الصادقين: «أنَّ أخبار الآحاد ليست حجّة في ألفاظ القرآن، ولا تثبت القراءة بها، كذلك فإنّه لا يثبت معنى القرآن بأخبار الآحاد»[4].

4 ـ العلاّمة الطباطبائي: كتب في تفسير الآية (44) من سورة النحل في تفسير الميزان فقال: «هذا كله في نفس بيانهم المتلقىٰ بالمشافهة فقط، وأمّا الخبر الحاكي له، فما كان منه بياناً

---

(1) **البرهان**، ج72، ص156.

(2) **التبيان**، ج1، ص4.

(3) انظر: هريسي ونجمي، **أضواء على السنّة المحمدية**، ص391 نقلاً عن: تاريخ الأستاذ الإمام، ج2، ص643.

(4) **منهج الصادقين**، ج1، ص31.

متواتراً، أو محفوفاً بقرينة قطعية، وما يُلحق به، فهو حجة لكونه بيانهم، وأمّا ما كان مخالفاً للقرآن، أو غير مخالف، لكنّه ليس بمتواتر، ولا محفوفاً بالقرينة، فلا حجيّة فيه، لعدم كونه بياناً في الأول، وعدم إحراز البيانيّة في الثاني»[1].

الثالث: الرأي القائل بالتفصيل في حجيّة خبر الواحد في التفسير:

ذهب الشيخ جوادي آملي إلى الرأي القائل بالتفصيل في مسألة حجيّة الحديث في مسائل الدين، ذكره في تفسير **تسنيم** وخلاصته: يمكن تقسيم المسائل الدينيّة من بعض الزوايا إلى قسمين:

أ ـ الأحكام العمليَّة التعبديَّة، وهُنا يمكن الاستفادة من الظن، بالإضافة إلى القطع والاطمئنان.

ب ـ المعارف الاعتقادية، وهي في الروايات الصادرة عن المعصومين على قسمين:

المجموعة الأُولىٰ: وهي روايات قطعيّة في أصل صدورها، الغاية من الصدور الدلالة على المحتوىٰ، أي أنها من حيث السند، إمّا أن تكون خبراً متواتراً، وإمَّا خبراً واحداً محفوفاً بالقرينة، ومن حيث غاية الصدور، فهي قطعيّة، أيضاً، لأنها بصدد بيان المعارف الواقعية، ولم تصدر تقيّة، ومن حيث الدلالة تكون نصاً وليس ظاهراً. وهذه الروايات، وإن كانت قليلة، لكنّها تورث اليقين، فتكون حجة في المعارف، ويمكن إثبات المسائل الأصولية بها (باستثناء أصل إثبات المعاد الذي يمكن ثبوته عن طريق العقل فقط).

---

(1) **الميزان**، ج12، ص262.

المجموعة الثانية: الروايات الّتي تفتقد اليقين والجزم في الأركان الثلاثة المذكورة سابقاً، بل إنها تورث الظن فقط، وهي على ثلاثة أقسام:

الأوّل: معارف أصول الدين، مثل: (التوحيد، النبوة، المعاد وأصل وجود الجنة والنار). فهذا النوع من المعارف يختص بأصول الدين والتي يكون الاعتقاد بها ضرورياً، ولا بدّ من توفر عنصر الجزم واليقين فيه، ولا يمكن الحصول على اليقين بالأدلة الظنّية؛ ولذلك لا يكون هذا النوع من الأدلة حجّة في هذا القسم من المعارف.

الثاني: المعارف الّتي لا تكون من أُصول الدين حتى يكون الاعتقاد التفصيلي بها من الضرورات، بل إنَّ الإيمان الإجمالي بها يكون كافياً ومفيداً، مثل حقيقة العرش، والكرسي، واللوح والقلم، والملائكة؛ ففي هذا القسم يمكن للإنسان أنْ يقنع بالعلم الإجمالي لا التفصيلي، ويمكن قبول مفاد هذه الرواية الظنّية في مثل هذه المعارف.

الثالث: المعارف الّتي تبيّن المسائل العلميّة، والآيات الإلٰهية في الخلق؛ فمثلاً كيف كانت السماوات والأرض وحدة متصلة «رتق» في بداية الأمر، ثم انفصلت بعضها عن البعض الآخر «فتق»، فمثل هذه الأخبار التي تشير إلى هذه المسائل ليس لها ثمرة عمليّة، بالإضافة إلى افتقادها إلى اليقين العلمي، وهُنا يمكن الاستفادة من هذه الأخبار كاحتمال، ولكن لا يمكن اعتبارها حجّة تعبديّة؛ لأن حجيّة خبر الواحد تتعلق بالمسائل التعبديّة العملية.

أمّا في المسائل العلمية فلا يمكن لأحد أن يتعبّد بها دون حصول المبادىء التصديقية[1].

---

(1) تسنيم، ج1، ص156 ـ 158.

المناقشة والنتيجة

لا بد من الالتفات هنا إلى عدة نقاط:

1 ـ لا يوجد اعتراض على حجّيّة خبر الواحد المعتبر في الأحكام العملية؛ وهذا ما ثبت في أُصول الفقه، والدليل الرئيس هو سيرة العقلاء، ولا يوجد شك في أنّ قسماً من التفسير يتعلق بآيات الأحكام، وقد وردت روايات عن النبي (ص) وأهل البيت (ع) في تفسير آيات الأحكام بصورة أخبار آحاد.

وعلى هذا الأساس يمكن أنْ يُقال: إنَّ أخبار الآحاد المعتبرة تكون حجّة في آيات الأحكام؛ لأنَّ سيرة العقلاء كانت ولا تزال علىٰ قبول خبر الواحد، وترتيب الآثار على ذلك، والعمل بمحتواه، وكذلك فإن سيرة علماء الإسلام كانت على هذا النحو في باب آيات الأحكام، وفي عصرنا الحاضر، يجري العمل بالفقه بنفس هذه الطريقة، وهذا ما أكّدهُ الموافقون على هذا الرأي (أمثال السيد الخوئي). وعند التدقيق في كلمات المخالفين، يتّضح أنّ هذا المطلب كان مقبولاً لديهم إلى حدٍّ ما.

ولعل الشيخ الطوسي أشار إلى هذه المسألة عند قوله: «خاصة إذا كان مما طريقه العلم». وقد صرّح العلاّمة الطباطبائي بهذه المسألة أيضاً، في كتابه القرآن في الإسلام، حيث قال: «يجري العمل عند أهل السنّة نوعاً ما بخبر الواحد ـ الذي يُطلق عليه بالاصطلاح «الصحيح» ـ مطلقاً، أمّا عند الشيعة، فالمسلّم الآن في علم الأُصول، هو أنّ خبر الواحد الموثوق الصدور، يعتبر حجّة في الأحكام الشرعيّة، وأما في غيرها فلا»[1]. وقد كرّر هذه المسألة في

(1) العلاّمة الطباطبائي، **قرآن در إسلام**، ص88.

الميزان، في تفسير الآية (259) من سورة البقرة ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ فقال: «وكلا المجموعتين من الأخبار هي أخبار آحاد، وقبول خبر الواحد والعمل به في غير الأحكام الفقهية للدين غير واجب»[1].

وفي الحقيقة إنَّ الاستناد إلى كلام العلاّمة يكون صحيحاً عندما يكون مقصوده من «الأحكام الشرعية»، هو الأحكام الفقهية المستخرجة من آيات الأحكام، والروايات المتعلقة بها أيضاً؛ ففي هذه الصورة يكون البيان الوارد على آيات الأحكام حجّة أيضاً؛ لأنّ خبر الواحد في الأحكام الشرعية حجّة، أيّ يصبح التفسير حجّة في هذا القسم.

2 ـ خبر الواحد ليس حجّة في غير الأحكام الشرعية؛ وذلك لأنّ الدليل الرئيس على حجّيّة خبر الواحد هو سيرة العقلاء، وهو دليل لبّي، والقدر المتيقن من هذا الدليل، هو العمل به في آيات الأحكام في الموارد الّتي لم يأتِ من الشارع ردع عن العمل بها، أمّا في غير الأحكام، فنشك في ذلك، ولأنّ العمل بالظنّ في التفسير غير جائز، وكما ذكرنا سابقاً، حرمة إسناد شيء إلى الله تعالى من دون إذنه، فيكون القدر المتيقن، هو حجّية أخبار الآحاد في الأحكام الشرعية فقط[2].

---

(1) **الميزان**، ج2، ص580.

(2) في الواقع إنّ هذا يكون على فرض أنّ الإشكال المتعلق بعدم ترتب الآثار العملية في غير الأحكام الشرعيّة قد حُلَّ بجواب السيد الخوئي، أمّا إذا اخترنا مبنًى آخر في معنىٰ الحجيّة في أصول الفقه، فإنّ هذا الإشكال يبقىٰ على حاله، وفي هذه الحالة سوف تواجه حجيّة خبر الواحد إشكالاً من جهتين.

وبعبارة العلاّمة الطباطبائي السالفة الذكر، فإنّ بيانيَّة خبر الواحد في التفسير، لا تُحرز إلاّ إذا قلنا: إنّ الخبر الواحد الصحيح (على أساس بناء العقلاء) يكون عِلماً عادياً[1]، وإنّ العقلاء يعاملونه معاملة العِلم، وعلى هذا يصير بياناً للقرآن، وليس قولاً بغير علم، أو إسناداً لبعض المطالب غير المعلومة إلى الله تعالى.

ولكن يمكن أنْ يقال: أيضاً، إنَّ العقلاء يكتفون في الأعمال العادية بأخبار الآحاد، أمّا بالنسبة إلى الأخبار المهمّة (كالعقائد مثلاً) فإنهم يطلبون مرتبة أعلى من العلم، تحصل عن طريق الخبر المتواتر، أو خبر الواحد المحفوف بالقرائن.

وعندما ندقق في كلمات الموافقين لحجّية أخبار الآحاد في التفسير، أمثال السيد الخوئي، نرى أنّهم لا يعتبرون أخبار الآحاد حجّة في العقائد، وقد ذُكرت هذه المسألة في علم الأُصول، علماً أن قسماً كبيراً من التفسير متعلق بالعقائد، حيث لا يكون لغير العلم اعتبار هُناك.

3 ـ فالنتيجة أننا نقول بالتفصيل بالنسبة إلى حجيّة أخبار الآحاد في التفسير، أيّ إنَّ أخبار الآحاد تعتبر حجة في آيات الأحكام، أمّا في غيرها مثل: (العقائد، القصص، الإشارات العلمية في القرآن، وبعض المسائل مثل العرش والكرسي و...) فليست بحجّة، وإنْ كان لا يوجد ما يمنع من الاستفادة من هذه الروايات في هذا المجال كاحتمال.

---

(1) أي يخرج عن دائرة الظنّ تخصّصاً، وهذا مبنئ بعض الأساتذة أمثال: الشيخ صالحي المازندراني في حلقات البحث الخارج للأُصول، ويستفاد من كلام الشيخ معرفة (في كلام شفهي للكاتب مع الأستاذ في درس البحث الخارج).

خطر الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات

تعتبر أحاديث النبي (ص) وأهل البيت (ع) أحد المصادر المهمّة، ولها مكانة خاصة في تفسير القرآن، وعلى امتداد التاريخ قام بعض الأفراد، والجماعات بتزوير الأحاديث، وإدخالها ضمن روايات التفسير، وهناك من أخذ بعض المسائل عن اليهود والنصارى ومن ثم قام بنشرها، باعتبارها من أحاديث النبي (ص). هذه الظاهرة المنكرة الّتي اتفق على استنكارها مفسّرو ومحدِّثو السنة والشيعة[1] أوجدت خطراً كبيراً على التفسير، ومن هنا، فعلى المفسِّر أنْ يتنبّه إلى هذا الأمر بصورة كاملة، وأن يراجع الكتب المختصة بالموضوعات، والإسرائيليات، وأن يكون على معرفة بالأحاديث الموضوعة، والإسرائيلية، لكي يحترز عنها ويتجنّبها[2].

وهُنا نذكر عدة نقاط طلبا للفائدة:

أ ـ أهم أسباب وضع الأحاديث:

1 ـ ما وضعه الزنادقة من أجل إفساد الدين.

2 ـ وضع الحديث من أجل نصرة المذاهب في أُصول الدين وفروعه.

---

(1) انظر: الشيخ معرفة، **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، ج1، ص476؛ ج2، ص94 وما بعدها.

(2) انظر: ابن الجوزي، **الموضوعات**؛ السيوطي، **اللآلي المصنوعة**؛ محمد بن طاهر مقدس الهندي الملقّب بالقتني (المتوفى 976هـ)، **تذكرة الموضوعات وقانون الموضوعات**؛ أبي المحاسن القاوقجي، **اللؤلؤ المرصوع الصنعاني الموضوعات الموضوعات** الملّا علي القاري، **الموضوعات الكبرى**؛ الملّا علي القاري، **الموضوعات الصغرى**؛ محمود أبو ريّة، **أضواء على السنّة المحمدية**؛ محمود أبو ريّة، **شيخ المضيرة**؛ الكاظم الشانه چي، **عِلم الحديث**؛ العلّامة المامقاني، **مقياس الهداية**.

3 ـ وضع الحديث للترهيب والترغيب بالقرآن والأخلاق.

4 ـ الوضع من أجل التقرب إلى الملوك.

5 ـ وضع الأحاديث لأسباب سياسيّة، كالوضع في عهد معاوية.

6 ـ وضع الحديث من قِبَل القصّاصين لأغراض دنيوية[1].

وبالطبع فإنّ هناك عوامل أُخرىٰ ذكرت في الكتب المفصّلة[2].

ب ـ أهم الوضّاعين:

ذكر العلاّمة الأميني؛ في كتاب الغدير أربعين شخصية من المحدِّثين الكبار، من الذين قاموا بوضع الحديث[3]، منهم:

ابن أبي يحيىٰ في المدينة، الواقدي في بغداد، مقاتل بن سليمان في خراسان، ومحمد بن سعيد في الشام، وقد جاء ذكر أسماء أُخرىٰ مع الأحاديث الّتي وضعوها في الكتب المتخصصة بهذا المجال[4].

ج ـ أهم الشخصيات الّتي قامت بنقل الإسرائيليات:

1 ـ عبد الله بن سلاّم.

2 ـ كعب الأحبار.

---

(1) انظر: الشيخ معرفة، **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص33 ـ 56؛ **أضواء على السنّة المحمدية**، ص121 وما بعدها.

(2) انظر: **أضواء علىٰ السنّة المحمديّة**، مبحث الوضع.

(3) الغدير، ج5، 209 ـ 275.

(4) انظر: الشيخ معرفة، **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص60 وما بعدها.

3 ـ محمد بن كعب القرظي.

4 ـ وهب بن منبّه.

5 ـ تميم بن أوس الدارمي.

6 ـ عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج.

7 ـ عبد الله بن عمرو بن العاص.

8 ـ أبو هريرة[1].

والغريب أنّ بعض الأشخاص استند إلى بعض الأحاديث في جواز نقل الإسرائيليات[2].

د ـ تسرَّبت الأحاديث الموضوعة، والإسرائيلية في كتب أهل السنّة، والشيعة:

رغم أن هذا النوع من الأحاديث يوجد بكثرة في كتب أهل السنّة وخصوصاً في آثار الطبري، والبغوي، والخازن، وابن كثير، والقرطبي[3]، ولكن كتب الشيعة لا تخلو من ذلك أيضاً.

قال العلاّمة الطباطبائي: «إن تسرب الإسرائيليات، وما يلحق بها من الموضوعات، والمدسوسات لا سبيل إلى إنكاره، ولا حجّية في خبر لا يؤمن فيه الدّس والوضع»[4]. ومن هنا تصدّىٰ العلاّمة

---

(1) ذكر الشيخ معرفة أسماء هؤلاء مع نماذج من أحاديثهم في (**التفسير والمفسّرون**، ج2، ص94 وما بعدها) وكذلك محمود أبو ريّة في (**أضواء على السنّة المحمديّة**).

(2) **الإسرائيليات وأثرها في التفسير**، ص117.

(3) المفسّرون حياتهم ومنهجهم، 98.

(4) الميزان، ج12، ص112.

الطباطبائي لمثل هذه الروايات، فلم يذكرها في تفسيره، كما هو واضح في الموارد التالية:

1 ـ الآيتين (103، 104) من سورة البقرة في قصة هاروت وماروت.

2 ـ الآية (24) من سورة يوسف في مسألة همّ يوسف.

3 ـ الآية (39) من سورة البقرة في خلق حوّاء من الضلع الأيسر لآدم[1].

هـ ـ معايير تشخيص الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات:

يمكن معرفة الوضع في الأخبار من خلال دراسة السند، فيُعرَف الوضّاعون، ورواة الإسرائيليات عن هذا الطريق، أو عن طريق المتن فتُبعد الأحاديث المخالفة لآيات القرآن والمخالفة للأحاديث المتواترة، أو المخالفة لحكم العقل القطعي، أو للمسائل العلمية القطعية.

إنّ بحث هذا الموضوع بصورة مُفصَّلة يحتاج إلى كتاب مستقل، وقد تناولناه بشيءٍ من التفصيل في مكانه المناسب[2].

التعريف ببعض التفاسير الروائية

تعرّضنا في ما تقدّم من البحث لبعض التفاسير الروائية، وذلك عند تناول تاريخ هذا المنهج، أمّا أشهر وأهم التفاسير الروائية فهي:

---

(1) الميزان، ج1، ص147.

(2) بحثنا هذا الموضوع في مقالتين نُشرتا في مجلة علوم حديث (بالفارسية) العدد: 3، 8.

أ ـ أهم وأشهر التفاسير الروائية عند الشيعة

1 ـ التفسير المنسوب إلى الإمام علي (ع)، *(مصحف علي بن أبي طالب)*:

وهو قرآن جمعه الإمام علي (ع) على ترتيب النزول. ورغم أنّ الروايات التفسيرية لهذا التفسير (التوضيحات والتأويلات وشأن النزول) مفقودة وليست في متناول اليد الآن، ولكن يستفاد من هذا الأمر أنّ الإمام علياً (ع) هو أوّل من تصدّىٰ للتفسير[1].

2 ـ ***تفسير ابن عبّاس***: اشتهر هذا الكتاب باسم تنوير المقباس للفيروزآبادي (ت817هـ)، وصحيفة علي ابن أبي طلحة، وكانت أكثر استفادة ابن عبّاس التفسيرية من الإمام علي (ع)[2].

3 ـ تفسير الإمام الباقر (ع) (57 ـ 114هـ): ذكر ابن النديم أنّ هذا التفسير رواه أبو الجارود (ت150هـ). وقد جاء كثير من روايات هذا التفسير في تفسير علي بن إبراهيم[3].

4 ـ التفسير المنسوب إلى الإمام الصادق (ع) (83 ـ 148هـ): نُسِبَ هذا التفسير، مع كتاب ***مصباح الشريعة*** إلى الإمام الصادق (ع)، وذلك في كتاب ***حقائق التفسير القرآني***[4].

5 ـ ***تفسير القمّي***: وهو كتاب علي بن إبراهيم القمي (ت307هـ)

---

(1) محمد علي ايازى، **سير تطور تفاسير شيعة**، ص28.

(2) المصدر نفسه، ص30.

(3) المصدر نفسه، ص38؛ الذريعة، ج4، ص239.

(4) المصدر نفسه، 34 ـ 39.

وهناك اختلاف في وجهات النظر بخصوص روايات هذا التفسير[1].

6 ـ ***تفسير فرات الكوفي***: وهو كتاب أبي القاسم فرات بن إبراهيم ابن فرات (كان حيّاً سنة 307هـ).

7 ـ ***تفسير العيّاشي***: تأليف أبي نضر محمد بن مسعود بن محمد ابن عيّاش السمرقندي (المتوفّى بعد سنة 320هـ)، وهو من أشهر التفاسير الروائية عند الشيعة وقد حذف سنده[2].

8 ـ ***تفسير النعماني***: تأليف محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني (المتوفّى بعد عام 342هـ). نقل العلاّمة المجلسي هذا التفسير في بحار الأنوار بعنوان: «ما ورد عن أمير المؤمنين في أصناف آيات القرآن، وأنواعها برواية النعماني»، وهذا التفسير ينظر إلى المسائل القرآنية المهمّة بمنظار موضوعي، وقد طبع بعنوان «رسالة المُحكم والمتشابه» للسيد علم الهدى[3] (ت436هـ).

9 ـ التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (ع) (ت254هـ). نُقِلَ هذا التفسير عن طريق أبي يعقوب يوسف ابن محمد بن زياد، وأبي الحسن علي بن محمد بن يسار تلميذيْ الإمام علي الهادي (ع). وهناك خلاف بين العلماء في سند واعتبار هذا الكتاب[4].

---

(1) الشيخ معرفة، **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص325 وما بعدها.

(2) الشيخ معرفة، **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص322؛ **سير تطور تفاسير شيعة**، ص50.

(3) سير تطور تفاسير شيعة، ص52، 53؛ وانظر: السيد حسن الصدر، **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام**، ص318.

(4) المصدر نفسه: 52، 53؛ الشيخ معرفة، التفسير والمفسّرون، ج1، ص478.

10 ـ ***تفسير الصافي***: تأليف محمد بن مرتضى المشهور بالملاّ محسن الفيض الكاشاني (1007 ـ 1091هـ)، وقد جاء في هذا الكتاب توضيح الآيات، بالإضافة إلى الأحاديث واللغة.

11 ـ ***البرهان***: تأليف السيد هاشم الحسيني البحراني (ت1107هـ) وهو من أُسع التفاسير الروائية عند الإمامية، ولكنه يتضمن بعض الأخبار الضعيفة[1].

12ـ ***نور الثقلين***: تأليف عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت1112هـ). وهو من التفاسير الكاملة عند الإمامية، ويتَّسم بترتيب أفضل بالنسبة إلى البرهان.

وهناك تفاسير روائية أُخرى أيضاً، مثل: ***كنز الدقائق وبحر الغرائب*** تأليف الميرزا محمد المشهدي القمي (1125هـ)، ***ومنهج الصادقين في إلزام المخالفين*** تأليف الملاّ فتح الله الكاشاني[2].

وفي الواقع هناك تفاسير روائية أكثر من ما ذكر، وهي قابلة للمناقشة من حيث السند والمتن، ويمكن للباحثين مراجعة المصادر المستقلة في هذا المجال[3].

ب ـ أهم وأشهر التفاسير الروائية عند السنّة

1 ـ ***جامع البيان***: تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (224 ـ 310هـ)، ويحتوي هذا التفسير على الروايات الضعيفة والإسرائيليات[4].

---

(1) انظر: مقدمة محمد مهدي الآصفي لتفسير البرهان؛ سير تطور تفاسير شيعه: 116.

(2) آية الله معرفة، **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص338، 346.

(3) انظر: المصدر نفسه؛ **وطبقات مفسّري الشيعة**؛ **وسير تطور تفاسير شيعه**.

(4) آية الله معرفة، **التفسير والمفسّرون**، ج2، 313؛ الذهبي، **التفسير والمفسّرون**، ج1، ص212، 215.

2 ـ ***الدر المنثور في التفسير بالمأثور***: تأليف جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن بكر بن محمد السيوطي (911هـ). ذكر فيه الروايات التفسيرية للنبي (ص) والصحابة، ويحتوي على الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة[1].

3 ـ ***تفسير ابن كثير***: تأليف الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي (ت774هـ). أورد فيه روايات النبي (ص)، وأقوال الصحابة، والتابعين، ويقوم أحياناً بنقد الأحاديث، ويسعىٰ في الابتعاد عن الإسرائيليات في الحديث[2].

4 ـ تفسير ابن عطيّة (***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***): تأليف أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطيّة الأندلسي المغربي الغرناطي (ت481هـ). وتعرض فيه لنقد ومناقشة روايات التفسير.

الخلاصة

من خلال البحوث السابقة توصلنا إلى النتائج التالية:

1 ـ معرفة معنىٰ الأحاديث المتواترة، والخبر المحفوف بالقرائن، وقد تبيَّن من خلال البحث أنّ هذا النوع من الأحاديث، معتبر في التفسير؛ لأنّه يورث اليقين.

2 ـ تعرّضنا لبيان أقسام الخبر الضعيف، وتبيّن أنَّ الأخبار الضعيفة ليست حجّة في التفسير إلا بعنوان شاهد في التفسير.

---

(1) آية الله معرفة، **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص334.

(2) المصدر نفسه، 340.

3 ـ تبيّن وجود ثلاثة آراء، في خبر الواحد المعتبر في التفسير:

أ ـ رأي الموافقين، مثل: الخوئي، والزركشي، اللذين ذهبا إلى أنّ خبر الواحد المعتبر حجةٌ في التفسير.

ب ـ رأي المخالفين (أمثال: الطوسي الشعراني ومحمد عبده) الذين ذهبوا إلى أنّ خبر الواحد المعتبر ليس حجّة في التفسير.

جـ ـ رأي القائلين بالتفصيل (مثل: آية الله جوادي آملي) وهم الذين ذهبوا إلى أن الأخبار الواردة في الأحكام العملية حجّة، أمَّا الأخبار الواردة في المعارف الاعتقادية، وأصول الدين، والمسائل العلمية، فليست حجة.

4 ـ ونحن نميل إلى الرأي القائل بالتفصيل، بالنسبة إلى حجّية خبر الواحد المعتبر، بمعنى أنّ هذه الأخبار حجة في آيات الأحكام دون غيرها.

5 ـ أوضحنا خطر الأخبار الموضوعة والإسرائيليات، وذكرنا أسباب وضع الحديث، والوضّاعين ورواة الإسرائيليات، وكذلك قمنا بذكر ضوابط تقييم الأحاديث الموضوعة، وقُلنا إنَّ الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات تسرَّبت إلى كتب التفسير، وإنَّ على المفسّر أن يبذل عناية كبيرة ودقة لازمة في هذا المجال، وأن ينقدها على أساس المعايير الّتي ذكرناها سابقاً.

6 ـ ذكرنا أهم وأشهر التفاسير الروائية عند الشيعة (13 عنواناً)، وأهل السنّة (6 كتب)، وقلنا إنّ هذه التفاسير تحتوي على الروايات الموضوعة والإسرائيليات، وتحتاج إلى نقد من حيث السند والمتن.

أسئلة الدرسان الرابع والخامس

1 ـ عرِّف منهج التفسير الروائي والتفسير بالمأثور، وما هو الاختلاف بينهما؟

2 ـ متى بدأ منهج التفسير الروائي، وعن طريق أي شخص؟ استشهد بآية من القرآن ورواية.

3 ـ وضِّح الرأي القائل باستقلال القرآن (عدم الحاجة إلى الروايات)، مع المناقشة.

4 ـ وضِّح رأي العلاّمة الطباطبائي في مورد التفسير الاستقلالي للقرآن، وبيّن رأيه النهائي.

5 ـ بيّن أدلة الرأي القائل: بـ «عدم جواز تفسير القرآن إلا بالروايات»، وناقشه

6 ـ بيّن معنى القول «الروايات وسيلة لتفسير آيات القرآن»، مع ذكر الأدلة.

7 ـ بيّن أدلة حجيّة سنّة النبي (ص) في تفسير القرآن.

8 ـ بيّن أدلة حجيّة سنّة أهل البيت (ع) في تفسير القرآن.

9 ـ ما دور أقوال الصحابة والتابعين في تفسير القرآن؟ وما مقدار اعتبارها؟

10 ـ أذكر أربعة موارد من استخدام الروايات التفسيرية، مع ذكر مثالين.

11 ـ أذكر أقسام الروايات اليقينية، وغير اليقينية، وما هي الحجّة فيها في تفسير القرآن؟

12 ـ ما هو الموقف من الأحاديث الضعيفة في تفسير القرآن؟ وما هو رأي العلامة الطباطبائي في هذا الموضوع؟

13 ـ أذكر أدلّة الموافقين والمخالفين لحجيّة خبر الواحد في تفسير القرآن.

14 ـ أذكر رأي الشيخ جوادي آملي بخصوص دور خبر الواحد في التفسير.

15 ـ أذكر الرأي القائل بالتفصيل (الرأي المختار)، في حجّيّة خبر الواحد في التفسير.

16 ـ وضّح خطر الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات في التفسير.

17 ـ أذكر عشرة أشخاص من الشخصيات البارزة في وضع الحديث والإسرائيليات.

18 ـ بيّن معايير معرفة الروايات الموضوعة والإسرائيليات.

19 ـ أذكر عشرة كتب من التفاسير الروائية، للسنّة والشيعة، مع ذكر مؤلفيها.

مصادر إضافية للمطالعة

1 ـ ***التفسير والمفسّرون***، الشيخ معرفة، ج1، ج2.

2 ـ ***الميزان***، العلاّمة الطباطبائي، ج3 و..

3 ـ ***البيان***، الشيخ الخوئي.

4 ـ ***الإسرائيليات، وأثرها في كتب التفسير***، رمزي نعنانة، نشر دار القلم، دمشق، 1390هـ.

5 ـ ***التفسير والمفسّرون***، الدكتور الذهبي.

6 ـ ***التفسير بالمأثور وتطوره عند الشيعة الإمامية***، إحسان أمين.

7 ـ ***المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم***، هدىٰ جاسم محمد أبو طبرة.

8 ـ ***المناهج التفسيرية في علوم القرآن***، الشيخ جعفر السبحاني.

بحوث جديدة

1 ـ أذكر أدلّة حجيّة قول الصحابة والتابعين مع النقد والتحليل.

2 ـ ما الاختلاف بين كون الرواية مصدراً في التفسير، أو وسيلة وقرينة؟

3 ـ من هو أكثر أصحاب النبي (ص) شهرة ونقلاً للروايات التفسيرية ولماذا؟

4 ـ أذكر استخدامات أُخرىٰ للروايات التفسيرية علىٰ ضوء بحث روايات تفسير البرهان، ونور الثقلين مع التحليل.

5 ـ في ضوء روايات تفسير نور الثقلين، اذكر، موارد من الآيات الّتي جاء تفسيرها بسُنة النبي (ص) مع التحليل.

6 ـ أذكر الأحاديث المتواترة، اللفظية، والمعنوية في جزء من تفسير نور الثقلين، وعيّن نوع التواتر فيها.

7 ـ أذكر الروايات التفسيرية الضعيفة الّتي استخدمها العلاّمة الطباطبائي، كشاهد على التفسير في المباحث الروائية، في تفسيره مع التحليل.

8 ـ أذكر نماذج من الروايات الإسرائيلية في سورة يوسف، وقصة هاروت وماروت (الواردة في الآية 104 من سورة البقرة)، مع النقد والتحليل.

9 ـ أذكر نماذج من الأحاديث الموضوعة في الروايات التفسيرية، عند السنّة والشيعة، مع النقد والتحليل.

10 ـ إذكر التفاسير الروائية للشيعة في القرن الأوّل والثاني الهجريين، بصورة كاملة، مع ذكر منهج كل منهما.

11 ـ ناقش أهميّة واعتبار تفسيري القمي والعياشي، والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (ع).

12 ـ أذكر التفاسير الروائية للسنّة، حسب الترتيب التاريخي.

13 ـ تكلّم عن التفسير الروائي للطبرسي، وابحث عن الروايات الإسرائيلية الموجودة فيه.

6

منهج التفسير العقلي والاجتهادي (1)

الأهداف التعليميَّة

الأهداف الأساسيَّة:

معرفة استخدامات العقل في التفسير.

الأهداف الثانوية:

1) الاطلاع على الآراء حول التفسير العقلي؛

2) معرفة أنواع منهج التفسير العقلي؛

3) معرفة معايير التفسير العقلي المعتبر.

المقدمة

يحظى منهج التفسير العقلي الذي عُرِّف بتعريفات كثيرة، بمنزلة خاصة بين مناهج التفسير، وقد اتّخذت المذاهب الكلامية (الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة) بإزاء هذا المنهج مواقف مختلفة. فقد يطلق

عليه في بعض الأحيان منهج التفسير الاجتهادي، وقد يذكر كأحد أقسام منهج التفسير بالرأي، وقد يُنظر إليه بنظرة مساوية للاتجاه الفلسفي في التفسير. ولم يتعرض هذا المنهج للدراسة والتحليل إلا نادراً.

ومن هنا، فلا بدّ من تعريف هذا المنهج تعريفاً دقيقاً، وتقييمه تقييماً مناسباً، وسوف نقوم هنا بذكر التعريفات المختلفة للعقل، ومنهج التفسير العقلي، وسوف تتّضح من خلال مناقشة أدلة الموافقين، والمخالفين ضرورة هذا المنهج في تفسير القرآن، واعتباره من المعايير في التفسير، واختلافه عن منهج التفسير بالرأي، والتأويلات الفلسفية، غير المناسبة لآيات القرآن.

المصطلاحات

استُخدمت في هذا البحث مصطلحات عدة، هي:

أ ـ المنهج

ب ـ التفسير[1]

ج ـ العقل

والعقل في اللغة بمعنىٰ الإمساك، والحفظ، ومنع الشيء.

ويستخدم العقل في موردين:

الأوّل: القوة المستعدة لحصول العلم، وهي نفس ذلك الشيء الذي بفقدانه يرتفع التكليف عن الإنسان، وقد ورد مدح العقل في الأحاديث كثيراً.

---

(1) أوضحنا هذين المصطلحين سابقاً.

الثاني: ويطلق على العلم الذي يحصل عليه الإنسان بواسطة هذه القوة، وقد ورد هذا المعنىٰ في القرآن عندما ذمّ الكافرين، بسبب عدم التعقل[1]، وقد استُدلّ على هذا المعنى بأحاديث النبي (ص)[2]، وأبيات شعرية منسوبة إلى الإمام علي (ع)[3].

وقد كتب صاحب كتاب ***التحقيق في كلمات القرآن الكريم*** (حسن مصطفوي) في هذا المجال، فقال: «إنّ أصل مادة العقل هي تشخيص الصلاح والفساد في الحياة المادية والمعنوية، ومن لوازم العقل الإمساك، التدبر، حسن الفهم، الإدراك والانزجار، معرفة الأشياء الّتي تكون موضع حاجة في الحياة، والّتي تقع تحت برنامج الحق والعدل، وحفظ النفس عن الهوى والمحرمات. ثم قال: إنّ قوىٰ النفس تتّحد مع نفس الإنسان، ومن جملة ذلك، العقل النظري والعقل العملي، فالعقل النظري بلحاظ ما فوقه، أي المبادىء العالية والّتي يقال لها قوة الإدراك أيضاً. والعقل العملي بلحاظ ما دونه، والذي يكون مبدأ الحركات البدنية والأعمال الخارجية. فإذن تشخيص المصالح والمفاسد، متعلق بالعقل النظري، والإدراك وضبط النفس ومنعها، متعلق بالعقل العملي»[4].

وقال الأستاذ أيازي: «والمراد من العقل هو الحكم النظري بالملازمة بين الحكم الثابت شرعاً أو عقلاً، وبين حكم شرعي آخر،

---

(1) انظر: **المفردات في غريب القرآن**، مادة عقل.

(2) عن رسول الله (ص): «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل، يهديهِ إلى هدى، أو يردّه عن ردىٰ».

رأيت العقل عقلين	فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع	إذا لم يكن مطبوع

(3) أنظر: **ديوان الإمام علي**، ص121؛ **إحياء علوم الدين**، ج1، ص86.

(4) **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج8، ص196 ـ 198.

أو الملازمة بين عقيدة ثابتة قطعية، وبين عقيدة أُخرىٰ، كحكمه بالملازمة في مسألة الإجزاء ومقدمة الواجب و...»[1].

أمّا آية الله جوادي آملي فيعتقد بأن المقصود من العقل هنا هو «العقل البرهاني»، الذي يكون محفوظاً من المغالطة والوهم والتخيّل؛ أي العقل الذي يُثبِت أصلَ وجود مبدإ العالم وأسمائه الحسنىٰ بأصوله وعلومه المتعارفة[2].

النتيجة: يستفاد مما تقدم أن العقل قد يطلق على القوة المفكِّرة تارة، وأُخرىٰ على مدركات هذه القوة، أيّ العلوم المكتسبة.

ولهذا فإنّ العقل ينقسم إلى: العقل الفطري، والعقل الاكتسابي، وقد يُقسّم إلى عقل نظري، وعقل عملي[3].

أمّا في بحث منهج التفسير العقلي، فأحياناً يكون المقصود من العقل العقل الفطري، أو قوة الفكر والإدراك والتعقل، وهذا في الموارد الّتي يكون فيها التفسير العقلي والاجتهادي بمعنىٰ واحد. وأحياناً يكون المقصود من العقل هو العقل الاكتسابي، أو مدركات العقل الّتي يستفاد منها، كقرائن عقلية، أو أدلة عقلية في تفسير

---

(1) السيد محمد علي أيازي **المفسّرون حياتهم ومنهجهم**، 40.

(2) الشيخ جوادي آملي، **تسنيم**، ج1، ص169، 170.

(3) توجد تعريفات كثيرة للعقل النظري، والعقل العملي، فقد يكون الاختلاف بينهما من حيث الإدراك، فإن كان الإدراك متعلقاً بالعمل يكون العقل عمليّاً حينئذ، وأمّا إذا لم يكن الإدراك متعلقاً بالعمل فيكون العقل نظرياً، وقد يكون الاختلاف بينهما بقدرة العقل النظري على إدراك الكليّات، أمّا العقل العملي فيتعلق بالجزئيات فقط. وهذا البحث خارج عن نطاق دراستنا، وليس له تأثير كبير في الموضوع. انظر: الملا هادي السبزواري، **شرح المنظومة**، 310؛ أبو علي بن سينا، **الإشارات**، ج2، ص353؛ ملاصدرا، **الشواهد الربوبيّة**، 20.

القرآن، والذي يكون بحكم العقل النظري، والعقل البرهاني في باب الملازمات، وسوف نتابع هذه المسألة عند عرض الآراء.

د ـ الاجتهاد

المقصود بالاجتهاد هنا، هو بذل الجهد الفكري واستخدام قوة العقل في فهم آيات القرآن ومقاصده، وعلى هذا فاستعمال الاجتهاد هنا، أعمّ من الاجتهاد الإصطلاحي في علم الفقه والأُصول؛ لأنّه يشمل آيات الأحكام وغيرها، أي إن التفسير الاجتهادي يكون في قِبال التفسير النقلي؛ ففي التفسير النقلي يتمّ التأكيد على النقل أكثر من غيره، أمّا في التفسير الاجتهادي، فيتمّ التأكيد على العقل والنظر والتدّبر[1].

نبذة تأريخية

يمتلك منهج التفسير العقلي ماضياً قديماً، وهناك من يعتقد بأن النبي (ص) قد علّم أصحابه كيفيّة الاجتهاد العقلي في فهم النصوص الشرعية (من الكتاب والسنّة)[2].

ويمكن أنْ نجد نماذج من التفسير العقلي في الأحاديث التفسيرية الواردة عن أهل البيت (ع).

مثال: عن عبد الله بن قيس، عن أبي الحسن الرضا (ع) قال: سمعته يقول:

---

(1) انظر: الشيخ معرفة: **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص349؛ الشيخ خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، ص176.

(2) محسن عبد الحميد، **تطوّر تفسير القرآن**، ص98؛ إيازي، **المفسرون حياتهم ومنهجهم**، ص40.

﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[1]، فقلت: له يدان هكذا ـ وأشرت بيدي إلى يديه؟ فقال: «لا، لو كان هكذا كان مخلوقاً»[2].

ففي هذا الحديث استفاد الإمام الرضا (ع) من العقل في تفسير الآية ونفى اليد المادية عن الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ وجود مثل هذه اليد يستلزم الجسميّة، والمخلوقيّة لله، وهو سبحانه منزّه عن هذه الصفات (فالمقصود من اليد هنا هو القدرة الإلٰهية). وهناك نماذج من التفاسير العقلية، وصلتنا عن طريق أحاديث أهل البيت (ع) بخصوص العرش والكرسي، وهل أنّ الله سبحانه شيء من الأشياء، أو يشغل حيّزاً من المكان[3]. وقد استفاد الإمام علي (ع) في بعض خطب نهج البلاغة من مقدّمات عقليّة لتفسير آيات القرآن[4].

وفي الواقع إنّ بعض آيات القرآن تتضمن براهين عقلية، مثل الآية ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[5]، وقد دعا القرآن الناس إلى التفكّر، والتعقل، والتدبّر في آيات الله[6].

ولذلك رأى المفسّرون أنّه لا بدّ من استخدام قوة العقل والفكر والاستدلال، واستخدام القرائن العقلية في تفسير آيات القرآن. ومن هُنا نجد أن مبدأ المنهج الاجتهادي (العقلي) في تفسير

---

(1) سورة المائدة: الآية 64.

(2) **نور الثقلين**، ج1، ص650، الحديث 279.

(3) انظر: المصدر نفسه، ج1، ص706، 494؛ ج3، ص383؛ ج4، ص608.

(4) انظر: **نهج البلاغة**، خ152، 184، 228.

(5) سورة الأنبياء: الآية 22.

(6) انظر: سورة ص: الآية 290؛ سورة محمد: الآية 24؛ سورة النساء: الآية 82؛ سورة يوسف: الآية 2؛ سورة النحل: الآية 44.. (وسوف نبحث هذا النوع من الآيات في مبحث أدلة الموافقين للتفسير العقلي، مكانة العقل في القرآن).

القرآن، كان في عهد التابعين ثم وصل إلى أوج تطوره في ما بعد، على يد المعتزلة، وقد ظهرت عند الشيعة تفاسير عقلية، مثل: تفسير ***التبيان*** للشيخ الطوسي (385 ـ 460هـ)، ***ومجمع البيان*** للشيخ الطبرسي (ت548هـ)، وكذلك ***التفسير الكبير*** للفخر الرازي عند أهل السنّة، ثم تطور هذا المنهج كثيراً في القرنين الأخيرين، وقد بلغ هذا التطور مدىً بعيداً في تفسير ***الميزان*** للطباطبائي عند الشيعة و...، ***وروح المعاني*** للآلوسي (ت1270هـ)، ***والمنار*** للشيخ رشيد رضا (1865 ـ 1935م) و... عند أهل السنّة، وقد حظي هذا المنهج ـ إلى جانب المنهج النقلي ـ بعناية فائقة في العالم الإسلامي.

الآراء في معنىٰ التفسير العقلي

تضاربت آراء العلماء حول المقصود «**منهج التفسير العقلي**»، وتعدّدت الأقوال بشأن معناه، فكل شخص يحكم على هذا المنهج على أساس فهمه، وسوف نقوم بمناقشة ونقد الآراء المطروحة:

1 ـ الاستفادة من القرائن العقلية كأداة في التفسير: قال آية الله مكارم الشيرازي: المقصود من التفسير بالعقل، هو الاستفادة من القرائن العقلية الواضحة الّتي تكون مورد قبول جميع العقلاء لفهم معاني الألفاظ والجمل، ومن جملتها القرآن، والحديث، فمثلاً عندما يقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[1]، فالعقل يقول: إنّه ليس المقصود من اليد هنا هو هذه الجارحة الّتي تحتوي على خمسة أصابع؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى ليس بجسم، إذ إنّ كُل جسم محدود وفانٍ، والله ليس محدوداً ولا

(1) سورة الفتح: الآية 10.

يفنىٰ، وإنما هو أزلي أبدي، فالمقصود من ذلك، هو قدرة الله سبحانه الّتي تكون فوق قدرة الجميع، فإطلاق اليد على القدرة إطلاق مجازي؛ لأنّ قدرة الإنسان عادة ما تكون في اليد، وعن طريق اليد»[1].

ثم قال: «إنّ كل ما جاء من التفسير بالعقل، فالمقصود به، هو هذا النوع [المذكور، وهو التفسير العقلي] وليس فرض الآراء والأذواق الشخصية، والأفكار المريضة، والخيالية الّتي لا أساس لها»[2].

المناقشة

لقد التفت سماحته إلىٰ أحد معاني التفسير العقلي، وهو الاستفادة من القرائن القطعية في تفسير آيات القرآن، ولكن هناك معانٍ أُخرىٰ من التفسير العقلي، وهو التدبّر في آيات القرآن، والاستنباط والاجتهاد فيها، وقد أخذ بعض الكتّاب التفسير العقلي بالمعنىٰ الثاني، وسوف نقوم ببيان رأيهم في ما بعد.

التفسير العقلي هو التفسير الاجتهادي نفسه

كتب الشيخ معرفة: «التفسير الاجتهادي يعتمد العقل والنظر، أكثر مما يعتمد النقل والأثر؛ ليكون المناط في النقد والتمحيص، هو دلالة العقل الرشيد والرأي السديد»[3]. وقد اعتبر أحد خصائص تفسير التابعين، هو الاجتهاد في التفسير والاعتماد على الفهم

(1) الشيخ مكارم الشيرازي، **تفسير به رأي**، ص38.

(2) المصدر نفسه، 39.

(3) **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص249.

العقلي، فقال: «فأعملوا النظر في كثير من مسائل الدين، ومنها مسائل قرآنية كانت تعود إلى معاني الصفات، وأسرار الخليقة، وأحوال الأنبياء والرسل وما شاكل. فكانوا يعرضونها على شريعة العقل، ويحاكمونها وفق حكمه الرشيد، وربّما يؤوّلونها إلى ما يتوافق مع الفطرة السليمة»[1].

ثم ذكر ابنَ عبّاس من مدرسة مكة، وابن مسعود من مدرسة الكوفة، بوصفهما شيوخ هذا المنهج في التفسير، ثم ذكر أمثلة متعددة من تفاسيرهم العقلية والاجتهادية[2].

وفي الختام قال: «وقد راج التفسير العقلي في ما بعد، ولاسيّما عند المعتزلة، ومن حذا حذوهم في تقديم العقل على ظاهر النقل»[3]، ثم ذكر أبا مسلم بن بحر الأصفهاني (255 ـ 344هـ)، كنموذج في هذا المجال.

المناقشة

لقد عدَّ سماحته التفسيرَ العقليَّ، والاجتهاديَّ بمعنىً واحد[4]. وأصرّ في بعض كلامه على «الفهم العقلي» للآيات، وفي مكان آخر أكّد على «حكم العقل الرشيد»، ولم يوضّح الحدود الفاصلة بين الاثنين بصورة كاملة؛ لأنّه ـ كما جاء في الرأي السابق ـ أكّد على القسم الثاني (أي استخدام الأحكام العقلية كقرائن عقلية في

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص435.

(2) المصدر نفسه، ص435 ـ 439.

(3) المصدر نفسه، 440.

(4) يعتقد الأستاذ علي الآلوسي بأنّ المراد من التفسير العقلي، هو التفسير الاجتهادي نفسه، وذلك في كتاب: **منهج العلاّمة الطباطبائي في تفسير الميزان**، ص246.

التفسير)، وهو غير الاجتهاد في فهم آيات القرآن؛ حيث إنّ بعض العلماء أمثال الشيخ جوادي آملي لم يعتبر القسم الأخير من التفسير العقلي، بل اعتبره جزءاً من التفسير بالمأثور (الروائي والنقلي)[1].

فلا بد من أن نتبيّن المقصود من التفسير العقلي، وأيّ قسم من أقسام التفسير العقلي يقصد.

رأي محمد علي أيازي

كتب الأستاذ أيازي في هذا الشأن: «وهذا مصطلح في قبال التفسير بالرأي ـ المذموم ـ الناتج من هوى النفس والبدع، والمراد منه المنهج الاجتهادي القائم على القواعد العقلية القطعية في شرح معاني القرآن، والتدبّر في مضامينه والتأمل في ملازمات بيانه»[2].

ثم تناول مسألة صلاحية العقل في الاستدلال على الأحكام، والاختلاف بين المسلمين في هذه المسألة، فالإمامية والمعتزلة جعلوا العقل طريقاً معتمداً إلى العلم القطعي، ودليلاً للحكم، وسبيلاً للوصول إلى ذلك الحكم، وفي مقابل هؤلاء، هناك الأشاعرة، وبعض الإخباريين الذين يعتقدون أنّ منشأ التكليف، هو حكم الشارع، وليس العقل.

ثم اعتبر أيازي أنّ المقصود من العقل هنا، هو حكم العقل النظري، بالملازمة بين الحكم الثابت الشرعي، أو العقلي، وبين حكم شرعي آخر[3].

---

(1) سوف يأتي كلامه في ما بعد.

(2) **المفسّرون حياتهم ومنهجهم**، 40.

(3) المصدر نفسه.

المناقشة

لقد نظر السيد أيازي إلى التفسير العقلي والاجتهادي، نظرة متساوية، ولم يشخِّص الحدود الفاصلة بين هذين القسمين، أي التدبّر في المضامين، والاستفادة من القواعد العقلية القطعية، كما هو الحال في الرأي السابق.

وفي الحقيقة، إنّه يعتقد أنّ المراد من العقل في التفسير العقلي، هو الاجتهاد المنحصر في الحكم النظري العقلي، في باب الملازمات العقلية الذي يُطرح في أصول الفقه، وهذا ممّا لا دليل عليه، بل إنّ المقصود من العقل هنا، هو العقل الاكتسابي، أو مدركات العقل الذي يشمل جميع الأحكام القطعية العقلية، والبراهين والقرائن العقليّة؛ أي ما هو أعم من باب ملازمات الأحكام وغيرها.

التفسير العقلي نوع من أنواع التفسير بالرأي

كتب الشيخ خالد عبد الرحمن العك:

«التفسير العقلي، هو ما يقابل التفسير النقلي، وهو يعتمد على الفهم العميق والمركّز، لمعاني الألفاظ القرآنية الّتي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ، وفهم دلالاتها، وللعلماء تسمية للتفسير العقلي، هي التفسير بالرأي»[1].

ثم تناول بعض المسائل المتعلقة بالتفسير بالرأي، بصورة مفصّلة. كما كَتَبَ الدكتور الذهبي في مبحث التفسير بالرأي فقال: «والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه، فالتفسير بالرأي عبارة عن

---

(1) الشيخ خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، ص167 (بتلخيص).

تفسير القرآن بالاجتهاد»[1].

ثم قسّم التفسير بالرأي إلى قسمين: ممدوح ومذموم، فالممدوح منها هو التفسير العقلي نفسه، والذي يمكن أن يتعارض مع التفسير النقلي، ثم أوضح طرق حل التعارض[2].

وقد ذهب إلى جواز التفسير بالرأي الممدوح (العقلي)، وذكر عدة تفاسير تبنّت هذا المنهج، أمثال ***مفاتيح الغيب*** للفخر الرازي، ***وروح المعاني*** للآلوسي و. . .[3].

المناقشة

سوف يتّضح في مبحث التفسير بالرأي، أنّ هذا التفسير، هو غير التفسير العقلي، والتفسير الاجتهادي، وأنّ هناك اختلافات رئيسة بينهما، نشير إليها هنا بصورة مختصرة، نقول: في التفسير بالرأي، يُقدَّم شخص المفسِّر على التفسير؛ وذلك على أساس الذوق والنظر الشخصي من دون مراعاة القرائن النقلية والعقلية، أمّا بالنسبة إلى التفسير العقلي، فإنّ المفسِّر يأخذ بنظر الاعتبار القرائن النقلية والعقلية في التفسير[4]. وكذلك بالنسبة إلى التفسير الاجتهادي حيث اتّضح أنّ الاجتهاد على نوعين؛ الأوّل: هو الاستنباط دون مراجعة القرائن العقلية والنقلية، وهو ما يعتبر نوعاً من التفسير بالرأي، والثاني: هو الاجتهاد الصحيح والمعتبر، وهو الذي يأخذ بنظر الاعتبار القرائن

---

(1) الذهبي، **التفسير والمفسّرون**، ج1، ص255.

(2) المصدر نفسه، 284، 285 (التعارض بين التفسير العقلي والتفسير بالمأثور. . .).

(3) المصدر نفسه، 288، 289.

(4) سوف يتضح هذا الموضوع في ما بعد عند نقل بعض الآراء عن الأستاذ عميد الزنجاني.

النقلية والعقلية، وهذا التفسير لا يعتبر من التفسير بالرأي، وقد اتّضح في هذا المبحث، أن تقسيم التفسير بالرأي إلى قسمين: (ممدوح ومذموم) لا يوجد له أساس صحيح، وأنّ الروايات الّتي وردت في منع وذمّ هذا المنهج، جاءت مطلقة، وغير مقيّدة بقيد.

التفسير الاجتهادي هو الحد الوسط بين التفسير بالرأي والتفسير النقلي

كتب الأستاذ عميد الزنجاني تحت عنوان التفسير العقلي والاجتهادي، فقال: «إنّ من أشهر المناهج والمباني التفسيرية الّتي كان يُعمل بها دائماً بين علماء المسلمين ومفسّري القرآن طيلة القرون الإسلامية، هو التفسير الاجتهادي، وهو حدّ وسط بين نوعين من التفسير، هما: التفسير بالرأي (الإفراطي)، والتفسير النقلي (التفريطي)».

ثم نسب هذا المنهج إلى أصحاب النبي (ص) والتابعين فقال: «فإنّهم مع اهتمامهم الكبير بالروايات التفسيرية، كانوا يعتمدون النظر والتدبّر والاجتهاد، أساساً لفهم الآيات، واستخراج معانيها؛ فكانوا يستفيدون من الرواية، والسماع، كأحد وسائل، ومقدمات فهم القرآن، وكذلك كانوا يستخرجون معاني القرآن ومقاصده عن طريق التدبّر والاجتهاد في المجالات الّتي لا توجد رواية في تفسيرها»، وأضاف: «إن منهج التفسير الاجتهادي يستفيد من النظر والتدبر، مقترناً مع التقيّد بالروايات التفسّرية، ولهذا فإنّه يختلف اختلافاً جوهرياً، مع منهج التفسير بالرأي، والتفسير النقلي»[1].

---

(1) عباس علي عميد زنجاني، **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص331، الطبعة الرابعة.

فهو مع اعترافه بعدم وجود حدّ فاصل بين التفسير الاجتهادي والتفسير بالرأي، يسعىٰ لتقديم معيار معتبر في هذا الصدد.

وقال في الختام: «إن على المفسِّر بهذا المنهج، أن يتجنب تحميل الآراء، والنظريات المستخرجة من غير القرآن، وتطبيقها على ظواهر الآيات، دون وجود مناسبة لفظية أو معنوية»[1].

المناقشة

يعد تفريقه بين التفسير بالرأي والتفسير العقلي أمراً لازماً، ولكنّه ساوىٰ بين التفسير العقلي والتفسير الاجتهادي، والتدبّر في الآيات مع الالتفات إلى الروايات، ولم يذكر القسم الثاني للتفسير العقلي، أي الاستفادة من القرائن والبراهين العقلية، في تفسير القرآن بصورة صريحة، ولم يوضّح حدود هذين القسمين من التفسير العقلي في التعريف.

التفسير العقلي هو تفسير القرآن بالعقل البرهاني الذي يكون له دور المصدر وليس دور الكشف

كتب الأستاذ الشيخ جوادي آملي في خصوص «تفسير القرآن بالعقل»، فقال: «أحد مصادر علم التفسير، وأصول البحث والتحقيق، للحصول على المعارف القرآنية، هو العقل البرهاني البعيد عن المغالطة والوهم والخيال»، وأضاف: «إنّ المفسِّر في مسألة التحقيق حول تفسير القرآن بالعقل، مضافاً إلى وجوب التعرّف على علوم القرآن، يحتاج إلى دراسة شرائط البرهان، لكي يتمكن من

(1) المصدر نفسه، 333.

الاستفادة من البرهان العقلي، والابتعاد عن المغالطة».

ثم قام بتقسيم التفسير العقلي إلى نوعين، فقال: «التفسير العقلي يتشكل، إمّا عن طريق التفات العقل بواسطة الشواهد الخارجيَّة والداخليَّة، وذلك بأن يُدرك معنى الآية عن طريق جمع الآيات والروايات، وفي هذهِ الحالة يقوم العقل بدور «الكاشف»، وليس أكثر من ذلك. ومثل هذا التفسير العقلي الاجتهادي يُعتبر جزءاً من التفسير بالمأثور؛ لأنّه استفاد من المصادر النقليَّة، ولا يُعتبر من التفسير العقلي، أو يتكوّن عن طريق استنباط بعض المبادىء التصورية والتصديقيَّة، من العقل البرهاني والعلوم المتعارفة، وهُنا يقوم العقل بدور المصدر، وليس الكاشف، وعلى هذا فإن التفسير العقلي يختص بالموارد الّتي يقوم العقل باستنباطها من المبادىء التصديقية، والمباني المستورة والمطوية للبرهان، وحمل الآية مورد البحث على ذلك»[1].

المناقشة

إن التفريق الواضح بين العقل الذي يُستخدم كمصباح كاشف، والعقل الذي ويستفاد منه كمصدر في التفسير، يعتبر أمراً لازماً وصحيحاً وهو من ابتكارات الشيخ جوادي آملي. أمّا اعتبار العقل المصباحي (الكاشف) جزءاً من التفسير بالمأثور، وليس من التفسير العقلي، فهو مما يدعو إلى التأمل؛ لأنّ استخدام العقل في تفسير القرآن على نوعين:

أ ـ استخدامه كوسيلة وبرهان (مصدر)، وذلك عندما نستخدم الأدلّة والقرائن العقلية في التفسير.

(1) الشيخ جوادي آملي، **تسنيم**، ج1، ص169 ـ 171.

ب ـ استخدام العقل في الاجتهاد (كاشف)، وذلك بالتدبّر في الآيات والروايات عن طريق العقل، أو القيام بجمع الآيات والروايات.

فقد رأينا أنّ علماء التفسير، وعلوم القرآن اعتبروا هذين القسمين جزءاً من التفسير العقلي؛ فبعضهم كالشيخ مكارم الشيرازي أكّد على القسم الأوّل من التفسير العقلي، بينما أكّد القسم الآخر أمثال عميد الزنجاني على القسم الثاني، في حين أشار الشيخ معرفة إلى كلا القسمين، وعلى هذا، فإنّ حصر تفسير القرآن بأحد أقسام ووظائف العقل، يعتبر مخالفاً لرأي المشهور، وغير موجّه من حيث الاصطلاح[1].

وعلى أيٍّ حال، فقد اتّضحَ أصل هذا الموضوع، وحدود أقسام التفسير العقلي، وأنّ النزاع هُنا، هو نزاع لفظي، حول التسمية، فيكون التفسير الاجتهادي قسماً من أقسام التفسير بالمأثور، على رأي الشيخ جوادي آملي. أمّا على الرأي المشهور، فهو من أقسام التفسير العقلي.

ملاحظة: يعتبر التفسير الاجتهادي ـ وفقاً للرأي المشهور ـ من أقسام التفسير العقلي؛ لأنّه يستفاد في هذا النوع من التفسير من قوة الفكر، والعقل في تجميع المسائل والمواضيع، ولأن هذه الوظيفة العقلية توجد في كل المناهج، فسوف تكون جميع هذه المناهج التفسيرية، مناهج عقليّة من هذا اللحاظ، وعند التدقيق في هذه

---

(1) يمكن أن يقال هنا، إنّ التفسير بالمأثور، هو الاستفادة من الروايات في توضيح مفاد الآية. فإذا وصل إلى حد نقل الروايات فقط، يكون من التفسير النقلي (الروائي)، أما إذا وصل إلى حد الاجتهاد والاستنباط واستخدام قوة العقل والفكر، فيكون داخلاً تحت التفسير الاجتهادي.

المسألة يتّضح أنّ أصل هذه التسمية غير دقيق، وأنّ إشكال الشيخ جوادي آملي على المشهور يكون مقبولاً. أمّا إذا أردنا أنْ نسير مع الرأي المشهور، فلا بدّ من تقسيم التفسير العقلي إلى قسمين: تفسير عقلي برهاني، وتفسير عقلي اجتهادي.

النتيجة

من خلال ما ذكرناه سابقاً مع النقد والمناقشة، نخلص إلى النتائج التالية:

إنّ منهج التفسير العقلي عبارة عن:

أ ـ الاستفادة من وسائل عدة، كالبراهين والقرائن العقلية، لبيان مفاهيم ومقاصد الآيات. وفي هذه الصورة يصبح العقل منبعاً وأداة لتفسير القرآن، وتكون الأحكام والبراهين العقلية، قرائن لتفسير آيات القرآن. وهذا العقل يُذكر تحت عنوان العقل الاكتسابي، والأحكام العقلية القطعيّة.

ب ـ التفسير الاجتهادي، هو الاستفادة من قوة الفكر في تجميع الآيات (مع الاستعانة بالروايات، اللغة، و. . .)، والاستنباط منها، لتوضيح مفاهيم ومقاصد الآيات. وفي هذه الصورة يكون العقل دليلاً وكاشفاً.

ويُذكر هذا العقل تحت عنوان: العقل الفطري، أو قوة الفكر، وقوة الإدراك، وبناءً على رأي المشهور، فإنَّ كلا القسمين، هُما من أقسام التفسير العقلي، ولكن بعد التدقيق في هذه المسألة، يتبيَّن أنّ إطلاق التفسير العقلي على القسم الثاني (ب) يكون من باب المسامحة، وفي الحقيقة، فإنّ التفسير العقلي هو القسم الأول (أ) فقط.

الخلاصة

من خلال طرح هذه المطالب حول التفسير العقلي في الدرس السادس توصلنا إلى النتائج التالية:

1 ـ التفسير العقلي له مكانة خاصة بين المناهج التفسيرية، وكان موضع مناقشة ونقض بين المذاهب الإسلامية (الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة)، وقد عُرضت له معانٍ متعددة.

2 ـ تبيان معاني بعض الاصطلاحات مثل: المنهج، والتفسير، والعقل، وقد يراد بالعقل؛ العقل الفطري، أو قوة الفكر، وأحياناً يراد به العقل الاكتسابي، أو المدركات، والبرهان العقلي، وكلاهما يستخدم في التفسير.

3 ـ أرجَعَ بعضُ العلماء تاريخ هذا المنهج إلى عصر النبي (ص)، وإن كانت جذوره توجد في روايات أهل البيت (ع)، وقد عُني بهذا المنهج كثيراً في عصر التابعين، ووصل إلى أوج تطوره في القرون التالية.

4 ـ أوضحنا الآراء الّتي قيلت حول التفسير العقلي. فقد اعتبر البعض أنّ المراد من التفسير العقلي، هو الاستفادة من أدوات البرهان والقرائن العقلية، بينما هُناك من يذهب إلى أنّ التفسير العقلي، هو الاستفادة من الفكر في جمع الآيات والأحاديث، وهناك من اعتبر كلا القسمين من أقسام التفسير العقلي، وقد توصلنا في النهاية إلى أنّ التفسير العقلي هو القسم الأول فقط، ولكن طبقاً لاصطلاح المشهور، فإنّه يطلق على القسم الثاني أيضاً، من باب المُسامحة.

7
منهج التفسير العقلي والاجتهادي (2)

الأدلّة

اختلف العلماء حول جواز، وعدم جواز استخدام هذا المنهج في التفسير، حيث ذكر كل فريق أدلّة تؤيد رأيه، وقد جاء بيان هذه الأدلة بصورة كليّة، من غير فرق بين كلا القسمين من أقسام التفسير العقلي (استخدام العقل البرهاني والاستخدام الاجتهادي)، وإنْ كان أكثرها ينظر إلى جواز التفسير الاجتهادي؛ أي إثبات جواز استخدام العقل في فهم الآيات والروايات والاستنباط منها، وإثبات إمكانيّة فهم القرآن.

أ - أهم الأدلة الّتي استدل بها الموافقون

1 - القرآن

اهتمّ القرآن الكريم كثيراً بدعوة الناس إلى التعقّل والتفكّر في

آياته[1]، بل إنّه ذمّ الذين لا يتدبرون القرآن[2]. ولو لم يكن للعقل اعتبار ومنزلة عند الله سبحانه، فإنَّ هذا الخطاب سيُصبح حينئذ عديم الفائدة ومن دون معنى، وما نتيجة التدبّر والتفكّر في آيات الله إلا التفسير العقلي والاجتهادي[3].

2 ـ الروايات

يحتل العقل مكانة خاصة في الأحاديث، وله موقع متميّز فيها، فقد ورد عن الإمام الكاظم (ع) أنّه قال: «يا هشام إنّ لله حُجّتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأمّا الظاهرة، فالرسل والأنبياء والأئمة، وأمّا الباطنة، فالعقول»[4].

فإذا كان العقل حجّة باطنة، وجب أن يكون الشيء الذي يُدركه ويحكم به بصورة قطعيّة، حجّة على الإنسان، وواجب الاتّباع، وإلا فإنّ الحجّية تصبح لا معنىً لها.

ملاحظة: إنّ استخدام حجّية العقل يكون من جهتين:

الأولى: إنّ عقل الإنسان يعمل كقوة للإدراك والتعقّل، ويتعرف على المصالح والمفاسد والتكاليف، ويُستخدم لإضاءة الطريق للإنسان، وهو الشيء الذي يحصل عليه الإنسان بعد البلوغ، ويكون معياراً للتكليف، ووظيفة هذا العقل هي جمع الأدلة والاجتهاد والاستنباط.

---

(1) ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ الأنبياء: 10؛ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: 2]؛ ونظير ذلك في، ص: 29؛ القمر: 17.

(2) ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: 24].

(3) ذكر العلاّمة الزنجاني هذا الدليل ببيان آخر، وذلك بالنظر إلى إمكان فهم القرآن. انظر: **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، 334، 335.

(4) الكليني، **الكافي**، ج1، ص6.

الثانية: إنّ عقل الإنسان يمكن أنّ يتوصل إلى الأحكام القطعيّة، وهذا ما يُصطلح عليه بالعقل البرهاني، وهذه الأحكام تكشف عن الأحكام الإلهية، وفي هذه الصورة، يكون العقل مصدراً ومنبعاً في طول الكتاب والسنّة، وكاشفاً عنها، بحيث لا يكون الإنسان مستغنياً عن الوحي.

3 ـ السيرة

نسب بعض العلماء هذا المنهج إلى النبي (ص) والأئمة (ع)، وقد لاحظنا نماذج من هذا المنهج في أقوال الأئمة (ع)، وإنّ فعل وقول المعصوم يدلان على جواز ذلك في أقل التقادير، إضافة إلى ذلك السيرة المستمرة لكبار المفسّرين (أمثال: الشيخ الطوسي في ***التبيان***، والطبرسي في ***مجمع البيان***) الذين استفادوا من هذا المنهج في التفسير. وهذه السيرة المستمرة ترجع في جذورها إلى زمان المعصومين (ع)، والّتي لم يرد ردع عنها، مما يدل على جواز هذا المنهج، بل مطلوبيته كذلك. وفي هذا الصدد، قال الأستاذ عميد الزنجاني خلال بحث سيرة علماء الإسلام في التفسير العقلي والاجتهادي: «إنّ علماء المسلمين والخاصة، كانوا يرجعون إلى القرآن دائماً في المسائل الّتي هي محل ابتلاء وحاجة، ويستفيدون من الآيات لحلّ المشاكل والمعضلات الاعتقادية العلميّة، والعمليّة، والأخلاقيّة والتأريخيّة، حتى الأشخاص الذين لا يجيزون استخدام التفسير الاجتهادي، يستعينون بآيات القرآن بصورة شعورية، أو لا شعورية، لرد النظرية المذكورة»[1].

---

(1) **مباني وروشهاى** تفسير قرآن، 351.

4 ـ بناء العقلاء

يعتمد العقلاء في التفسير الكلام على التمسّك بظاهره يعتمد واستخراج مقاصد المتكلمومعاني كلامه عن طريق القواعد الأدبيّة، والدلالات اللفظية، والقرائن الموجودة. والمشرِّع الإسلامي لم يمنع من هذه طريقة العقلاء، ولم يخترع طريقة جديدة للتعامل مع كلامه[1].

5 ـ قلّة روايات التفسير

إنّ الروايات التفسيرية غير كافية؛ لأنّها قليلة، حيث لم ترد روايات تفسيريَّة في جميع الآيات، أضف إلى ذلك، أنّ الكثير من هذه الروايات ضعيف وغير معتبر، فإذا حصرنا التفسير بالروايات فقط، فهذا يعني تعطيل كثير من الآيات. ولقد أنزل اللهُ (سبحانه وتعالى) هذا الكتاب لهداية البشر، بلسان عربي مبين ليتدبروا آياته، ويستمدوا من مضامينها الرؤية الصحيحة، التي توصلهم ـ إذا عملوا بها ـ إلى شاطىء السعادة، وإنّ تعطيل هذه الآيات يتنافىٰ مع هذا الهدف، وهذا ما يستلزم نفي التكليف، ونفي خلود القرآن، فإذن لا يوجد طريق آخر غير التفكر والاجتهاد في هذا القسم من الآيات[2].

كما أنّ الآيات الّتي وردت الروايات بشأنها، بحاجة إلى التفكير والاجتهاد والاستنباط أيضاً، فالكثير من المواضيع القرآنية

---

(1) انظر: المصدر نفسه، 352.

(2) ذكر الأستاذ عميد الزنجاني هذا الدليل ببيان آخر في كتابه مباني وروشهاي تفسير قرآن، ص349. وقد استدل بأدلّة أُخرىٰ منها لغة القرآن، وضوح وهداية القرآن، آيات التّحدي، تعظيم القرآن عن طريق الروايات، استخدام القرآن كمعيار للروايات، وضوح القرآن واستدلال الأئمة (ع) به، وبعض هذه الموارد يمكن أن يكون شاهداً جيداً للبحث. (انظر: المصدر نفسه: 333 ـ 348).

ذُكرت بصورة كلّيّة، وإنّ فهمها بحاجة إلى التفكير، وتطبيقها على المصاديق يحتاج إلى الاجتهاد (الاجتهاد الذي ذكر تعريفه في أول هذا البحث).

6 ـ إنّ جملةً من آيات القرآن ممّا يصعب فهمها ويشكل أحياناً، كالآيات المتعلقة بالعرش، الكرسيّ، يد الله، سميع وبصير، والآية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾، وإنّ محاولة فهمها دون الالتفات إلى القرائن والبراهين العقليّة، يجرّ الإنسان إلى الانحراف في الفهم، وينتهي به إلى التجسيم والتشبيه. والله منزّه عن مثل هذه الأُمور.

مناقشة أدلة الموافقين

من مجموع هذه الأدلة نثبت أنّ العقل يمكن أنْ يكون حجّة، وأنّ البراهين العقلية يمكن الاستدلال بها في تفسير القرآن، كما أنّ الاجتهاد العقلي يُعتبر ضرورياً في التفسير أيضاً. وبعبارة أُخرى إنّ الاستفادة من البراهين العقلية والاجتهاد لا تعني الاستغناء عن المناهج الأُخرىٰ في تفسير القرآن، ولا تجعلنا نستغني عن مراجعة الآيات الأُخرىٰ والروايات المعتبرة، بل إنّ التفسير الاجتهادي الصحيح، هو قيام المفسِّر بعملية الجمع والاستنباط من الآية، بعد مراجعة القرائن النقلية والعقلية.

ب ـ أدلة المخالفين للتفسير العقلي والاجتهادي

1 ـ روي عن الإمام السجاد(ع) أنّه قال: «إنّ دينَ اللهِ لا يُصاب بالعقول»[1]، وعن النبي (ص) والأئمة القائمين مقامه(ع): «إن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح، والنص

---

(1) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج2، ص303.

الصريح»[1]. ومن هنا تُصبح الرواية هي الطريق الوحيد للوصول إلى المراد الإلٰهي، وإلى الأحكام الإلٰهية في الدين، فالطريق هو طريق النقل فقط.

فإذن منهج التفسير العقلي والاجتهادي طريق لا يوصل إلى نتيجة.

2 ـ كتب محمد أمين الاسترآبادي (وهو من كبار الأخباريين) قائلاً: «.. أقول لاكتفاء هذه الجماعة بمجرَّد العقل في كثير من المواضع، خالفوا الروايات المتواترة عن العترة الطاهرة (ع) في كثير من المباحث الكلامية والأُصولية»[2]. ورغم أنّ كلامه موجه إلى الأُصوليين، لكنّه يشمل منهج التفسير العقلي (علىٰ الأقل آيات الأحكام) أيضاً.

3 ـ وقال السيد نعمة الله الجزائري (وهو من شيوخ الأخباريين): «أمّا قولهم بنفي حجّية دليل العقل بأقسامه فهو حق؛ لأنّ الشارع سدّ باب العقل، ومنعه من الدخول في الأحكام الشرعية»[3].

4 ـ وقال الشيخ الحر العاملي (وهو من الأخباريين أيضاً): «إن الضرورة قاضية بأنّ مجرد العقل لا يستقل بتفصيل مراد الله من العباد، ولو كان كافياً ما احتاج الناسُ إلى نبيّ، ولا إمام ولا اختلفت الشرائع والأديان»[4].

---

(1) **تفسير الصافي**، ج1، ص70، المقدمة الخامسة، الحديث 3؛ **التبيان**، ج1، ص4؛ **وسائل الشيعة**، ج18، ص151.

(2) محمد أمين الأسترآبادي، **الفوائد المدنية**، ص28.

(3) السيد نعمة الله الجزائري، **منبع الحياة**، ص44.

(4) الشيخ الحر العاملي، **الفوائد الطوسيّة**، ص411.

5 ـ وهو المنسوب إلى الأشاعرة الذين يعتقدون بأنّ منشأ كل تكليف هو حكم الشارع وليس العقل، ولا يعتمد على إدراكات العقل كاعتماده على حكم الشارع[1].

6 ـ إنّ المنع من التفسير بالرأي يُعتبر في الحقيقة منعاً للتفسير الاجتهادي، كما صرَّح بذلك الأستاذ عميد الزنجاني في بحثه عن منهج التفسير الاجتهادي، حيث قال: «إن المنع الوحيد الوارد في الروايات بخصوص هذا المنهج العملي والشائع، هو عبارة عن هذه التصريحات الأكيدة الواردة بخصوص النهي عن «التفسير بالرأي»[2].

مناقشة أدلة المخالفين

1 ـ بالنسبة إلى الدليل الأوّل هناك عدة نقاط جديرة بالتأمل:

أوّلاً: إنّ هذا النوع من الأحاديث صدر في وجه المخالفين لأهل البيت (ع)، والذين لم يلتفتوا إلى القرائن النقلية، وكلام المعصومين (ع)، والذين يفتقدون شرائط الاجتهاد، ويستخدمون التفسير بالرأي، كما جاء في الحديث الأوّل، فقد اقترن ذكر العقول، بـ«الناقصة والآراء الفاسدة»، وقد أشار بعض الأعاظم إلى هذه المسألة أيضاً[3].

ثانياً: ليس المقصود من عدم استخدام العقل في هذا النوع من

---

(1) السيد محمد علي إيازي، **المفسرون حياتهم ومنهجهم**، ص40.

(2) **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، 351.

(3) ذكر الفيض الكاشاني هذه الرواية «إن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح، والنص الصريح» في مبحث منع التفسير بالرأي. **تفسير الصافي**، ج1، ص70، وأيضاً الأستاذ عميد الزنجاني في **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص351.

الروايات، هو عدم استفادة الإنسان من قوة الفكر والاجتهاد في الدين، بل المقصود، هو عدم تفسير دين الله على أساس النظر الشخصي، وإلاّ فكما مرّ سابقاً، فإنّ العقل هو الحجّة الباطنة، وإنّ براهينه في الدين معتبرة، وهو معيار التكليف والثواب والعقاب.

ثالثاً: رواية الصافي مرسلة وغير معتبرة.

رابعاً: إن الأخذ بظاهر هذه الأحاديث، يتعارض مع أحاديث أُخرىٰ، تدعونا إلى التفكّر والتدّبر، وتأمرنا بالرجوع إلى القرآن، كما أشار الفيض الكاشاني إلى هذه النقطة بعد أن نقل هذه الروايات[1].

2 ـ في الجواب على أدلّة محمد أمين الأسترآبادي نقول: إنّ الاستفادة من العقل ليست بمعنىٰ نفي الروايات الصحيحة المعتبرة، وإذا ما تبنّىٰ أحدُ الأشخاص هذا المذهب بحجّة العقلانية وخالف الروايات المتواترة لأهل البيت (ع)، يكون دليلاً علىٰ إدانة هؤلاء الأفراد، وليس دليلاً على إدانة العقل، والمنهج العقلي، واستخدامه في الدين.

3 ـ يمكن الرد على الشبهة التي ذكرها نعمة الله الجزائري فنقول: لقد ثبت عند عرض أدلة الموافقين أنّ العقل حجّة باطنة، وقد أجبنا على الروايات الّتي تمنع من استخدام العقل في الفقرة الأُولىٰ بصورة تامّة.

4 ـ إنّ ما ذكره الشيخ الحر العاملي يمكن القبول به وفق معنىٰ محدّد، فقد توصلنا في بحث أدلة الموافقين للتفسير العقلي إلى أنّ العقل كاشف عن الأحكام الشرعية، ولكن لم تثبت هذه المسألة بصورة الموجبة الكليّة؛ أي إمكانية العقل على

---

(1) **تفسير الصافي**، ج1، ص71.

اكتشاف جميع جزئيات الأحكام والمراتب وبطون القرآن، ولهذا فإنّ الإنسان لا يستغني عن الوحي والنقل. أمّا إذا كان مقصود الشيخ، أن العقل أصلاً لا يمكنه اكتشاف المقصود الإلهي، وأن الأحكام العقلية ليست بحجّة، فهذا المطلب لا يمكن قبوله، وقد جاء الرّدُ عليه عند عرض أدّلة الموافقين للتفسير العقلي.

5 ـ في جواب الأشاعرة يمكن أن يقال: إنّ عقل الإنسان كاشف للحكم الشرعي، أي؛ إنّ عقل الإنسان لا يُصدر حكماً مخالفاً للحكم الشرعي، وقد اتّضح في باب الملازمات في أُصول الفقه أنّه: «كلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع»[1].

مثلاً: إذا اكتشف العقل الملاك القطعي لأحد الأشياء، وأصدر حكماً قطعيّاً، فسوف يكون حكم الشرع طبقاً لحكم العقل من باب الملازمة. فمنشأ كل تكليف، هو حكم الشارع، ولكن الإدراكات القطعية للعقل، تكون معتبرة أيضاً.

النتيجة

يظهر من خلال عرض أدلّة الموافقين والمخالفين للتفسير العقلي والاجتهادي، أنّ التفسير العقلي والاجتهادي (بقسميه) جائز، بل مطلوب، وأنّ أدلّة المخالفين غير تامّة، ولكنْ هذا لا يعني أنّ التفسير العقلي والاجتهادي يغنينا عن القرائن النقلية (الروايات التفسيرية للنبي (ص) وأهل البيت (ع)).

(1) انظر: المظفر، **أصول الفقه**، مبحث الملازمات العقلية: ج1 ـ 2، ص236 وما بعدها.

أنواع التفسير العقلي

من خلال التدقيق في هذا المنهج، ومناقشة الآراء، يمكن أن نجد أنواعاً مختلفة للتفسير العقلي والاجتهادي، والآن نبيّن أهم هذه الأنواع مع ذكر الأمثلة:

التقسيم الأوّل: كما ذكرنا سابقاً، فإنّ التفسير العقلي يُستخدم بمعنيين، تفسير اجتهادي، وتفسير القرآن بواسطة البراهين العقلية.

1 ـ التفسير الاجتهادي

اعتبر بعض المحققين التفسير العقلي مرادفاً للتفسير الاجتهادي، والذي هو عبارة عن استخدام قوة العقل في جميع الآيات والروايات والمسائل التفسيرية، والاستنباط العقلي منها، وهذا القسم من التفسير العقلي يقع في مقابل التفسير النقلي. والاجتهاد العقلي يكثر استخدامه في عدة موارد منها:

أ ـ الجمع بين الآيات، أي تفسير القرآن بالقرآن.

ب ـ الجمع بين الروايات، ورفع التعارض بينها.

ج ـ الجمع بين أقوال المفسّرين والخروج منها بنتيجة معيّنة.

د ـ الجمع بين الآيات والروايات المتعلقة بآيات الأحكام، واستنباط الأحكام الشرعية منها.

ولهذا السبب نعتقد أنّ على المفسِّر أنْ يكون مجتهداً في علم الفقه، حتى يتمكن من إعطاء رأيه التفسيري النهائي عند تعامله مع آيات الأحكام (أكثر من خمسمائة آية).

هـ ـ فهم وتفسير الآيات الّتي لم يرد في شأنها رواية تفسيريّة.

و ـ فهم مقاصد آيات القرآن والسّوَر.

ز ـ فهم الدروس والعبر من القَصص القرآني وتجريدها عن عامل الزمان والمكان، وتطبيق هذه القواعد والمواعظ على الحياة المعاصرة للبشر، من أجل توضيح الطريق الصحيح للحياة. فمثلاً: عندما يذكر القرآن قصة يوسف (ع) فإنّه في الحقيقة يوجه رسالة إلى الشباب بأن يحذروا من الحِيَل الشيطانيَّة[1]، ويحترزوا من الوقوع تحت ضغوط الشهوة العامة، وأن يُقاوموا مثل هذه الظروف كمقاومة يوسف (ع)، لينتصروا وينالوا السعادة و. . .

ح ـ فهم أبعاد وإعجاز القرآن (الإعجاز البلاغي، العلمي و. . .).

2 ـ الاستفادة من العقل البرهاني

كما مرّ سابقاً، فإنّ بعض المحققين اعتبر التفسير العقلي بمثابة الاستفادة من العقل البرهاني، والقرائن العقلية في تفسير القرآن. وفي هذه الصورة يكون العقل مصدراً لاستنباط الأحكام الشرعية، وحقائق الكتاب الإلٰهي.

وهذا المنهج التفسيري يكثر استخدامه في موردين:

أ ـ تُستخدم أحياناً في هذا القسم من التفسير العقلي الأدلة والبراهين العقلية القطعية، كقرينة على تفسير الآيات، فكلما كان ظاهر الآية مخالفاً للدليل العقلي، يكون هذا البرهان قرينة على خلاف الظاهر، فنرفع اليد عن هذا الظاهر ونقوم بتأويله، كما مرّ مثال ذلك في تفسير الآية ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2].

قلنا إن عِقل الإنسان يحكم بأنّ الله سبحانه وتعالى ليس جسماً

---

(1) ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [سورة يوسف: الآية 12].

(2) سورة الفتح، الآية: 10.

ماديّاً، وبالتالي فليس له يد كيد الإنسان، وإلاّ فإنّ ذلك يعني أنّ لله سبحانه وتعالى حدّاً وأنّه قابل للفناء، وعلى هذا الأساس فإنّ المقصود من اليد هنا هو القدرة، وهذا البرهان هو نفسهُ المستخدم في الآيات الّتي تُشير إلى أنّ لله سبحانه سمعٌ وبصرٌ وحركةٌ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[1].

ب ـ أحياناً نستفيد من العقل البرهاني، والبراهين العقلية في فهم أفضل للآيات المتعلقة بالتوحيد، وبوجود الله سبحانه، كما هو الحال في برهان النظم الذي أشار القرآن إلى مصاديقه، وأمثلتهِ في آيات عديدة[2]. وأيضاً في الآية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[3].

التقسيم الثاني: قسّم بعض المحققين التفسير العقلي الاجتهادي إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ التفسير العقلي الاجتهادي التفريطي؛ أي الجمود على الأدلّة الكلامية في تفسير القرآن.

2 ـ التفسير العقلي الاجتهادي المتطرف؛ أي التفسير العقلي الذي يستخدم التأويلات البعيدة.

3 ـ التفسير العقلي الاجتهادي المعتدل (الوسط بين الإفراط والتفريط) وهذا هو القسم المقبول، وفيه يُستخدم المنهج الأُصولي ويُعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، وتُحمل المتشابهات على المُحكمات، ويُستعان بالسنّة الصحيحة لاستنباط الأحكام الإلهيّة، وفي حالة وجود إشكال معيّن في

(1) سورة الفجر، الآية: 22.

(2) أنظر: سورة الأنفال، الآيات: 3 ـ 13 و. . .

(3) سورة الأنبياء، الآية: 22.

فهم بعض الآيات المتشابهة فإنّهُ يُستخدم أسلوب التأويل[1].

ملاحظة: أُشير في هذا القسم إلى مسألة رئيسة وهي الإفراط في استخدام العقل في التفسير، فأحياناً يخرج بعض المفسّرين عن حدّ الاعتدال، ويقوم بتأويل آيات القرآن على أساس الأدلة غير القطعية متغاضياً عن ظهور الآية، وهذه المسألة تحدث كثيراً في الآيات المتعلقة بالمواضيع الغيبيّة، وغير المحسوسة والمعجزات، وقد يؤدي هذا إلى الوقوع في التفسير بالرأي، كما فعل رشيد رضا في تفسير المنار، عند تناوله قصة بقرة بني إسرائيل، وضرب بَدنِ المقتولِ بجزء منها وإحيائه وتعيين القاتل[2] حيث قال: المقصود من «الإحياء» في هذه الآية هو معناه المجازي، فمعنى إحياء الموتى هو حفظ الدماء الّتي كانت عُرضة لأن تُسفك، بسبب الخلاف في قتل تلك النفس[3].

وكذلك بالنسبة إلى معجزات عيسى (ع) بخصوص إحياء الأموات وخلق الطير[4]. فقد قبل (المفسِّر) إمكانية هذه المعجزات وأنكر وقوعها[5].

في حين نرىٰ أنّ ظاهر آيات سورة البقرة، هو الإحياء الواقعي للمقتول، وليس هناك ما يدعو إلى حمل ذلك على المعنى المجازي وكذلك فإنَّ ظاهر آيات سورة آل عمران، هو قيام عيسى (ع) بهذه

---

(1) السيد محمد علي إيازي، **المفسّرون حياتهم ومنهجهم**، 41.

(2) سورة البقرة، الآيات: 67 ـ 73 ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

(3) **المنار**، ج1، ص347.

(4) ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: الآية 49].

(5) **المنار**، ج3، ص311.

المعجزات، وفي الحقيقة: إنّ المعجزة هي خرق للعادة، وهي شيء غير مألوف عند العقل، ولكن ليس خلافه، ولا تعتبر محالاً في نظره.

ومن هذا الباب أيضاً قالوا: لا يوجد دليل عقلي على وجود «الملائكة» و «الجنّ»[1]. وإنّ الجنّ هو الميكروب الذي يؤثر على بدن الإنسان بطريقة غير محسوسة[2].

ملاحظة: لقد اعتبُر التفسير العقلي بمعنىٰ التفسير الاجتهادي، وعدَّد وظائف العقل واستخدام قوة التعقل في تفسير القرآن.

بحث تعارض العقل مع النقل

إنّ موضوع تعارض العقل مع الدين من المباحث الجديدة في علم الكلام، وإنّ دراسة جميع أبعاد هذه المسألة خارج عن نطاق هذا الموضوع، ومن هنا، فإننا نشير إلى هذا المبحث باختصار وبقدر الحاجة. فتعارض العقل والنقل يقع تحت بحث التعارض بين العقل والدين ويُبحث من جهتين:

الأُولى: تعارض العقل مع القرآن.

الثانية: تعارض العقل مع الروايات.

وكل مورد من هذين الموردين يمكن أنْ يقع على صورتين:

1 - التعارض الابتدائي والظاهري؛ أي تعارض آية، أو رواية مع حكم العقل في النظر الابتدائي. وهذا النوع من التعارض

---

(1) أحمد مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، ج29، ص94.

(2) أنظر: **المنار**، ج8، ص364؛ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، 631 - 649.

يرتفع بعد التأمل والتدقيق في هذه المسألة، وفي الواقع، فإنّ كثيراً من التعارضات المتوهمة في خصوص العقل والقرآن، والعقل والروايات، هي من هذا الصنف[1].

2 ـ التعارض المستقر والواقعي؛ أي تعارض بعض آيات القرآن، أو الروايات مع أحكام العقل، تعارضاً جدّياً لا يقبل الجمع. وفي هذه الصورة يُطرَح بحث تعارض العقل والدين، وطرق حل هذا التعارض، ولدراسة هذا المبحث لا بدّ من دراسة احتمالات علاقة العلم بالدين بصورة مختصرة.

علاقة العقل والدّين

يمكن تصور ثلاثة احتمالات في العلاقة بين أحكام العقل والدّين وهي:

أ ـ المسائل الّتي يقبلها العقل؛ أي الأحكام (الأوامر والنواهي)، والمسائل الّتي تتضمنها الآيات والروايات، والّتي يقبلها العقل السليم. بل إنّ عقل الإنسان يحكم بهذه الأحكام نفسها لو تُرك وحده، مثل التعاليم الصحيّة في الإسلام، إدانة الظلم ومدح العدل فهذه الأحكام تتطابق مع حكم العقل.

ب ـ المسائل الّتي يرفضها العقل؛ أي المسائل الموجودة في الدين والّتي تخالف العقل السليم والصريح، وفي هذه الموارد نعتقد بأنّه لا توجد مثل هذه الأحكام في الأديان الإلٰهية؛ لأنَّ الدين وخصوصاً الإسلام هو دين مطابق للعقل والفطرة. والله سبحانه وتعالىٰ حكيم وهو سيد العقلاء، لا يمكن أنْ يصدر منه أمر مخالف للعقل.

---

(1) ذكر الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي كثيراً من هذه الموارد في كتاب: **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، ص497 ـ 719.

ومن جانب آخر ـ كما أوضحنا سابقاً ـ فإنّ العقل نفسه حجّة باطنيّة كما أنّ الأنبياء حجّة ظاهرية على الناس، فالتعارض الواقعي بين أحكام العقل القطعية والدين من المحالات؛ لأنّ تعارض القطعي مع القطعي ليس معقولاً؛ فالحقيقة واحدة، وتعارض حكمين قطعيين ينتهي إلى التناقض[1]. فإذا ما لاحظنا في مورد من الموارد وجود تعارض بين الأحكام القطعية للعقل وبين ظاهر رواية أو آية، فهنا يوجد احتمالان:

الأوّل: الخطأ في مقدمات حكم العقل، أي أنه مبني على مقدمات خاطئة.

الثاني: إذا ثبتت قطعية حكم العقل، فهذا يعني أنّ ظاهر الآية أو الرواية ليس مراداً للشارع، فمثلاً: إذا دلّت الرواية على خلاف حكم العقل القطعي كاستحالة اجتماع النقيضين، فلا بدّ من التصرف في ظاهر هذه الرواية وحملها على خلاف هذا الظاهر بالقرينة العقلية؛ لأنّ فهمنا للآية أو الرواية كان خاطئاً، كما في ظاهر الآية ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾، فإنه يتعارض مع حكم العقل بعدم كون الله جسماً، فلا بدّ من تأويل ظاهر الآية وتفسير ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ هنا بمعنى قدرة الله.

ج ـ المسائل الّتي هي فوق مستوىٰ العقل؛ أي الأحكام والمسائل الموجودة في الآيات أو الروايات، والّتي لا يمكن إدراكها بالنسبة إلى معظم عقول البشر، بل تعتبر فوق مستوىٰ العقل، ورغم أنّ العقل لا يحكم بضدّ هذه المسائل، ولكن لا يوجد دليل على قبولها أيضاً. مثلاً: وجود الله من المسائل الّتي يثبتها ويقبلها العقل، أمّا

---

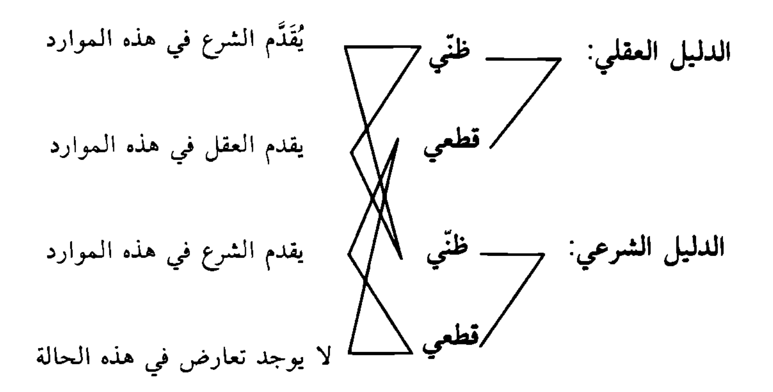
(1) في هذا المورد أُنظر: للذهبي، **التفسير والمفسّرون**، ج1، 286؛ **روح المعاني**، ج9، ص104؛ **در آمدي بر تفسير علمي قرآن** للكاتب، ص96 ـ 99.

حقيقة الذات الإلٰهية فلا يمكن للعقل إدراكها، فهي إذن من المسائل الّتي تكون فوق مستوى العقل، وكذلك الكثير من الأحكام التعبديّة الشرعيّة الّتي ثبت وجودها في الدين، والّتي لا يمكن إدراك وجهها.

(وأمثلة ذلك كثيرة في الأحكام الواجبة، أو المحرّمة في الفقه، مثلاً: صلاة الظهر أربع ركعات وصلاة المغرب ثلاث ركعات، فالعقل لا يدرك ملاك هذه المسائل ودليلها، وفي الوقت نفسه لا يوجد دليل على استحالتها، أو عدم جوازها).

ملاحظة: هناك من علماء المسلمين من يقول في مباحث أُصول الفقه إنّهُ: «كلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع، وبالعكس»؛ أي أنَّ كل ما يقبله العقل السليم يقبله الشرع، وعكس هذه القاعدة صحيح أيضاً؛ لأنّه لا يوجد لدينا أحكام مضادّة للعقل، وإنّ الأحكام العقلية المقبولة يدركها العقل، وإنّ الأنبياء (ع) جاؤوا لبيان الأحكام والجزئيات الّتي يعجز عقل الإنسان عن إدراكها، أو يحتاج إلى نضج أكثر لإدراكها، وهي الأحكام الّتي تكون فوق المستوىٰ العقلي الفعلي للبشر.

وبعبارة أُخرى، يمكن تصور التعارض الظاهري بين الأحكام العقلية والدين على أربع صور:



فإذا ما ظهر تعارض في الحالة الرابعة؛ فإمّا أنْ تكون مقدمات الدليل خاطئة، أو أنَّ ظاهر الدليل، غير مراد (والخطأ في الفهم).

ملاحظة (1): إنّ الدليل العقلي الظني لا ينفي الاحتمال المخالف، ويحتمل الخطأ، ولهذا السبب، لا يمكن رفع اليد عن الظهور الظنّي للآية أو الرواية؛ لأنّ الشرع والعُقلاء قَبِلوا حجّية الظواهر؛ ولهذا السبب، فإنّ الدليل العقلي الظني لا حجيّة له هنا.

ملاحظة (2): إذا صدر عن العقل حكم، فلا بد أنْ يكون قطعياً جزمياً وكلياً، أمّا مقصودنا من الأحكام العقلية الظنّية (مع التسامح قليلاً)، فهو التصديقات النظرية الّتي تثبت بالظن وتفتقد اليقين القطعي؛ أي أنها ليست كالبديهيات العقلية الّتي لا تحتاج إلى دليل.

معايير التفسير العقلي والاجتهادي

لكي يكون التفسير العقلي والاجتهادي معتبراً، لا بدّ من توفرة على الشروط العامة والخاصة التالية:

أ ـ الشروط العامة للمفسّر والتفسير المعتبر[1]؛ مثل معرفة: قواعد العربية، اللغة، علوم القرآن، الخبرة في التفسير والاطّلاع على آراء المفسّرين، الاطّلاع على علوم الفقه، الأُصول، التاريخ، الجغرافية (خصوصاً جزيرة العرب)، والمعرفة اللّازمة بالعلوم النقلية والعقلية والتجريبية[2].

ب ـ الشروط الخاصة للتفسير العقلي والاجتهادي:

(1) للاطلاع على الشروط الكاملة للمفسّر، والآراء الّتي قيلت في ذلك، يراجع: **در آمدي بر تفسير علمي قرآن**، القسم الأوّل، شرائط المفسّر.

(2) المصدر نفسه.

1 ـ قدرة المفسِّر على الاجتهاد في التفسير، مع أخذ العلوم الّتي اكتسبها، والاستعداد الموجود لديه بنظر الاعتبار.

2 ـ الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية (من جملتها الروايات التفسيرية المعتبرة)، قبل التدبّر والتفكّر والاستنباط.

3 ـ الاجتناب عن تحميل القرآن الآراءَ والنظرياتِ المستخرجة من غير القرآن، على القرآن، دون أن تكون هناك مناسبة لفظيّة، أو معنوية مع ظاهر الآية[1].

4 ـ الاستفادة من البراهين العقلية القطعية، كقرائن عقلية في التفسير.

ملاحظة: قد يستفاد في تفسير القرآن من نوعين من الأدلّة:

الأوّل: الدليل العقلي القطعي الذي يقطع به الإنسان قطعاً منطقياً؛ أي يكون القطع معتمداً على أساس مبادىء البرهان، وهذا القطع يكون معتبراً وحجّة في تفسير القرآن.

الثاني: الدليل اليقيني الذي يقطع به الإنسان قطعاً ذاتياً؛ أي الذي يكون مقنعاً للشخص نفسه، ويؤدي إلى اليقين الذاتي، ولا يستند على أساس من مبادىء البرهان. وهذا القطع يفتقر إلى المبادىء الفكرية، ولا يقبل الانتقال إلى الغير، ولا يكون معتبراً في التفسير[2].

5 ـ المفسّر الذي يريد أنْ يُفسِّر القرآن على أساس العقل البرهاني، لا بدّ أن يكون ملِمّاً إلماماً كافياً بالبراهين العقلية، وأنْ يعرف المقدمات العقلية والمنطقيّة، وأنْ يراعي شروط البرهان والمغالطة.

---

(1) انظر: عميد الزنجاني، **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص333.

(2) للاطلاع أكثر على هذين النوعين من القطع، انظر: تفسير تسنيم، ج1، ص212.

6 ـ لا بدّ للمفسّر كذلك أنْ يعلم موارد تعارض التفسير العقلي والنقلي، وطرق حل ذلك التعارض، وكذلك مسألة توهم التعارض بين العقل والدين[1].

ملاحظة: اتّضح خلال هذا العرض، أنّ عدم مراعاة الشرائط المذكورة في التفسير العقلي والاجتهادي، غالباً ما يؤدي إلى التفسير بالرأي المحرّم شرعاً.

التعريف ببعض التفاسير العقلية والاجتهادية

علىٰ أساس التقسيم السابق للتفسير العقلي، وهو استخدام العقل البرهاني في التفسير، واستخدام قوة العقل في التفسير الاجتهادي، فإنّ التفاسير العقلية والاجتهادية، قد تستفيد من أحد الأقسام المذكورة سابقاً، أو من القسمين معاً. أما أهم التفاسير العقليّة والاجتهادية فهي:

1 ـ تفسير ***التبيان***، الشيخ الطوسي (385 ـ 460هـ)، 10 مجلدات.

---

(1) ذكر الشيخ عبد الرحمن العك ضوابط التفسير العقلي بالنحو التالي:
أ ـ معرفة التعارض بين التفسير العقلي، والنقلي وقانون الترجيح في التفسير العقلي.
ب ـ معرفة وجوه تعارض الآيات.
جـ ـ معرفة التعارض بين الآية والحديث.
د ـ معرفة الاختلاف والتناقض.
هـ ـ معرفة موهم الاختلاف والتناقض.
و ـ معرفة الأسباب الموهمة للاختلاف.
ز ـ معرفة علم المبهمات.
ح ـ بيان وجوه الخفاء في معاني النظم القرآني. **أصول التفسير وقواعده**، ص190.

2 ـ **مجمع البيان**، الطبرسي (ت548هـ)، 10 مجلدات.

3 ـ **الميزان في تفسير الميزان**، العلاّمة الطباطبائي، 20 مجلداً.

4 ـ **تفسير (الأمثل) نمونه**، آية الله مكارم الشيرازي، 27 مجلداً.

5 ـ تفسير أبي السعود، المسمىٰ **(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)**، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت951هـ)، 9 مجلدات.

6 ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت1270هـ)، 30 مجلداً.

7 ـ **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، فخر الدين الرازي، 30 مجلداً.

8 ـ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، البيضاوي.

9 ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل**، الخازن.

10 ـ **البحر المحيط**، أبو حيّان.

11 ـ **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النيشابوري.

12 ـ **تفسير الجلالين**، جلال المحلّي وجلال السيوطي.

13 ـ **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير**، للخطيب الشربيني[1].

---

(1) التفاسير من (5 ـ 14) ذكرها الذهبي في كتابه **التفسير والمفسّرون**، ج1، ص289.

بحوث جديدة

1 ـ اذكر نماذج من التفسير العقلي والاجتهادي في الأحاديث التفسيرية للنبي (ص).

2 ـ اذكر نماذج من التفسير العقلي والاجتهادي في الأحاديث التفسيرية لأهل البيت (ع).

3 ـ ناقش علاقة التفسير العقلي ببحث إمكان فهم القرآن.

4 ـ قارن بين آراء علماء المعتزلة والأشاعرة في خصوص العقل والتفسير العقلي.

5 ـ ناقش النزعة العقلانية في التفسير عند المفسّرين في مصر، أمثال: محمد عبده، ورشيد رضا مع النقد.

6 ـ ما مقدار استفادة العلاّمة الطباطبائي من المنهج العقلي في تفسير الميزان؟

7 ـ عدّد الضوابط الّتي ذكرها عبد الرحمن العك في خصوص التفسير العقلي، مع المناقشة والنقد.

8 ـ اذكر البراهين العقلية الموجودة في آيات القرآن، مع التحليل.

9 ـ اذكر نماذج من التفسير الاجتهادي والعقلي الإفراطي والتفريطي في تفسير الفخر الرازي، والمنار، وتفاسير الفلاسفة، مع النقد والتحليل.

10 ـ اذكر آيات من القرآن لم يرد في شأنها روايات تفسيرية، ولا بدّ من استخدام منهج التفسير العقلي والاجتهادي في تفسيرها، مع النقد والتحليل.

11 ـ ناقش دور التفسير العقلي والاجتهادي في إعجاز القرآن.

12 ـ اذكر نماذج من التعارض المدّعىٰ بين العقل والقرآن، مع الردّ.

13ـ بيّن أدلة الأخباريين والأشاعرة في مخالفة التفسير العقلي والاجتهادي مع النقد.

14 ـ وضّح أنواع التفسير الاجتهادي (من أقسام التفسير العقلي)، واذكر استخداماته في التفسير.

15 ـ ما المقصود من الاستفادة من العقل البرهاني في التفسير؟ بيّن ذلك مع ذكر مثال.

16 ـ وضّح أنواع التفسير العقلي والاجتهادي (الإفراطي، التفريطي، المعتدل)، مع ذكر مثال.

17 ـ هل يمكن تعارض العقل مع النقل، وَضّح ذلك؟

18 ـ اذكر الأقسام الاحتمالية لعلاقة العقل مع الدّين.

19 ـ ماذا نفعل عند التعارض الظاهري للأحكام الدينية والعقلية؟ اذكر أقسام التعارض الأربعة؟

20 ـ اذكر أربعة معايير خاصة للتفسير العقلي والاجتهادي.

21 ـ اذكر أربعة تفاسير للشيعة، وأربعة تفاسير للسنّة على الأقل، استخدمت المنهج العقلي والاجتهادي في التفسير.

الخلاصة

من خلال البحث والتحليل السابق توصلنا إلى النتائج التالية:

1 ـ استدل الموافقون على التفسير العقلي والاجتهادي بأدلة مقنعة من القرآن (الترغيب بالتفكر والتدبّر)، الروايات (حجيّة العقل)، سيرة النبي (ص) وأهل البيت (ع)، سيرة الصحابة

ومفسّري المسلمين، بناء العقلاء، قلّة الروايات التفسيرية، وجود بعض الآيات الغامضة في القرآن.

2 ـ استدل المعارضون لاستخدام التفسير العقلي، والاجتهادي ببعض الأحاديث (يدلّ ظاهرها على خروج العقل عن مجال التفسير)، وكذلك روايات منع التفسير بالرأي. وقد أُجيب علىٰ ذلك بأنّ هذه الأحاديث ضعيفة، وأنّ المقصود بها هو نفي منهج المخالفين لأهل البيت (ع) الذين يستخدمون التفسير بالرأي.

3 ـ التفسير العقلي قد يستخدم بأحد معانيه في التفسير الاجتهادي (مُقابل التفسير النقلي)، والذي يشمل عدة أنواع، مثل الجمع بين الآيات والروايات، وفهم مقاصد الآيات، وما شابه ذلك.

4 ـ قد يستخدم التفسير العقلي بمعنىٰ الاستفادة من العقل البرهاني في التفسير، والذي ذكرنا أنواعهُ في الاستفادة من القرائن العقلية القطعية في تفسير الآيات والاستفادة من البراهين في فهم أفضل لآيات التوحيد.

5 ـ قسّم بعض المحقّقين التفسير العقلي إلى ثلاثة أنواع: تفريطي، إفراطي، ومعتدل.

6 ـ قسّم بعض المحقّقين التفسير العقلي على أساس استخداماته وموضوعاته (أمثال: إظهار المعاني المعقولة، استنباط الأسرار القرآنية، استخراج المقاصد والعبر من القصص، و...).

7 ـ ناقشنا تعارض العقل والنقل بقسميه: التعارض الابتدائي الظاهري، والتعارض المستقر؛ وقلنا بعدم وجود النوع الثاني في الدين، أمّا النوع الأوّل فيمكن ارتفاعه بقليل من التأمل والتدقيق.

8 ـ يوجد هناك ثلاثة احتمالات في علاقة الدين والعقل: فقد تكون المطالب الدينيّة مقبولة عند العقل، أو مرفوضة، أو أنها فوق مستوىٰ العقل، وقلنا إن النوع الثاني لا وجود له في الدين.

مصادر إضافية للمطالعة

1 ـ ***التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب***، آية الله معرفة، ج1، ج2.

2 ـ ***المفسّرون حياتهم ومنهجهم***، السيد محمد علي أيازي.

3 ـ ***التفسير والمفسّرون***، الذهبي.

4 ـ ***أُصول التفسير وقواعده***، الشيخ خالد عبد الرحمن العك.

5 ـ ***العقل البشري في تفسير القرآن***، آية الله الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني.

6 ـ ***منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير***، الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.

7 ـ ***الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان***، علي الأوسي.

8
منهج التفسير العلمي (1)

الأهداف التعليميَّة

الهدف الأساسي:

معرفة منهج التفسير العلمي الصحيح، واستخدامه في القرآن.

الأهداف الثانوية:

1) معرفة تاريخ التفسير العلمي، وأسباب تطوره.
2) معرفة أقسام التفسير العلمي.
3) الاطلاع على أدلة الموافقين والمخالفين للتفسير العلمي ونقدها.
4) معرفة معايير التفسير العلمي المُعتبر، لتجنب تحميل النظريات العلميَّة على القرآن.

المقدمة

يُعتبر موضوع القرآن والعلوم الجديدة، من أهم الدراسات

الشائعة في العصر الحاضر، حيثُ شغلَ أذهان كثير من مفسريّ السنّة والشيعة، بل حتى علماء غير المسلمين. فمن جانب برزت الأبحاث المتعلقة بماهيّة العلم التجريبي، وعلاقتها بالقرآن، وحدود كل منهما، والتعارض الأولي بينهما، إضافة إلى اهتمام العلماء والناس بمثل هذهِ الدراسات من جانب آخر، والأمثلة الكثيرة والمتنوعة الموجودة في القرآن، (ألف آية تقريباً)، كل تلكُ الأسباب مجتمعة، أوجدت منهجاً جديداً في التفسير باسم «التفسير العلمي». بالإضافة إلىٰ وجوب تحقيق بعض المقدمات للدخول في هذا البحث، فمثلاً: هل توجد جميع العلوم البشريّة في القرآن؟ ما الهدف من وجود الإشارات العلمية في القرآن؟.

إنّ بحث تلك الأُمور كلها قد يستغرق عدّة مجلدات[1]، ولضيق الوقت سوف نُجمل البحث فيها، ويمكن للمحققين الرجوع إلىٰ المصادر المُفصّلة في هذا الصدد.

المصطلحات الأساسيَّة

قبل الدخول في البحث، لا بدّ من الإحاطة ببعض المصطلاحات:

1 ـ **التفسير**: تقدّم توضيح معنىٰ التفسير في المباحث السابقة.

2 ـ **المنهج**: هو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصّة في تفسير آيات القرآن، حيثُ يقوم بتوضيح معاني الآيات

---

(1) يوجد هناك 200 كتاب تقريباً، تناولت بحث التفسير العلمي والإعجاز بصورة مُباشرة، أو غير مُباشرة، انظر كتاب: **در آمدي بر تفسير علمي قرآن**؛ كتابشناسي تفسير علمي؛ وقد صدر لنا كتابان في هذا الشأن: **در آمدي بر تفسير علمي قرآن** في 550ص **وپژوهشى در إعجاز علمي قرآن** في 600ص.

ومراميها، ويُعطي نتائج مُحدَّدة. فمنهج التفسير العلمي: هو الاستفادة من العلوم التجريبية لتفسير الإشارات العلميّة لآيات القُرآن[1].

3 ـ **العلم**: المقصود من العلم في عنوان «التفسير العلمي»، هو استخدام العلوم التجريبيّة experimental sciences والّتي تُقسم إلى قسمين: العلوم الطبيعيَّة natural sciences (الفيزياء، الكيمياء...)، والعلوم الإنسانية humanities sciences (علم الاجتماع وعلم النفس و...).

لمحة سريعة حول العلم: بسبب الاستخدام الواسع لهذهِ الكلمة في منهج التفسير العلمي، لا بدّ من ذكر بعض المسائل المتعلقة بالعلم بصورة إجماليّة:

أ ـ المعنى الاصطلاحي للعلم

المعنىٰ اللغوي لكلمة العلم هو الإدراك والمعرفة[2]، وهُناك معانٍ اصطلاحية مُختلفة منها:

---

(1) تناولنا الفرق بين الاتجاه (اللون)، والمنهج في الدرس الأوّل. وهُناك من الباحثين من يعتبر التفسير العلمي جزءاً من الاتجاهات، وسوف يتبين في البحوث الآتية أنّ التفسير العلمي لهُ منهج خاص، واستخدام في كثير من الآيات، كبقيّة المناهج التفسيريّة، واستفاد منهُ كثيرون من المفسرين، وإنْ كان بعض المفسرين (مثل الطنطاوي في تفسيره الجواهر) قد توسّع في استعمال هذا الاتجاه، ولم يستخدمه كمنهج إلا قليلاً، ولعلَّ هذا هو السبب الذي دعا البعض إلى اعتبار التفسير العلمي نوعاً من أنواع المناهج.

(2) عرّف المناطقة العلم بأنّهُ: حصول صورة الشيء عند العقل، كما ذكر ذلك المرحوم المظفَّر في مقدمة كتابه المنطق. أمّا الفلاسفة فقسّموه إلى علم حصولي وحضوري. وبحثُنا هُنا هو في المعنىٰ الأوّل، وإن كان فلاسفة الغرب لهم رأي آخر في هذا المجال، سوف نشير إليه خلال البحث.

1 ـ الاعتقاد اليقيني المُطابق للواقع في مقابل الجهل البسيط والمُركب.

2 ـ العلم هو مجموعة القضايا الّتي يوجد بينها مُناسبة ما، وإن كانت القضايا شخصيَّة، كعلم التاريخ (العلم بالحوادث الخاصّة) وعلم الرجال و...

3 ـ العلم هو مجموعة القضايا الكُليّة الّتي تدور حول محور خاص، والّتي تقبل الصدق والانطباق على مصاديق مُتعددة، وإن كانت اعتباريَّة، كعلم اللُغة.

4 ـ هو مجموعة القضايا الحقيقيَّة (غير الاعتبارية) الّتي تدور حول محور خاص...

5 ـ العلم هو مجموعة القضايا الحقيقيّة القابلة للإثبات، عن طريق التجربة والحس، وهذا ما يقصدُهُ أنصار الفلسفة الوضعيَّة عند الإطلاق، وهو الاصطلاح الرائج في هذا العصر، وعلىٰ أساسه لا يعتبرون العلوم والمعارف غير التجريبيّة من أقسام العلم، وعلىٰ هذا التقسيم يقع العلم في مقابل الفلسفة[1]، ورغم أنّهُ لا إشكال في وضع اصطلاح خاص، ولكن استخدام الاصطلاح الأخير إنما كان بسبب الرؤية الخاصة، عند المدرسة الوضعية[2]، التي تحصر المعرفة الحقيقية والواقعية للإنسان بالأُمور الحسّية والتجريبية الحسّية، وترى أن التفكير في ما وراء الطبيعة يُعتبر لغواً وعديم الفائدة[3].

---

(1) العلم في نظر هؤلاء مطابق لكلمة Science.

(2) Positivisme مدرسة قام بتأسيسها أوغست كُنت (Auguste - Conte ١٧٩٨ ـ ١٨٥٧م) ولها جذور في فلسفة (هيوم) الحسيَّة الّتي تحصر المعرفة بالتجربة.

(3) مصباح اليزدي، **آموزش فلسفه**، ج1، ص61 بتلخيص.

6 ـ جاءَ في بعض الروايات الإسلامية، أنّ العلم هو نورٌ يقذفُهُ اللهُ في قلب الإنسان، وهذا النوع من العلم النوراني خارج عن كلامنا؛ لأنّ كلامنا في العلوم الظاهريّة.

وما نقصدُهُ من العلم في التفسير العلمي، هو المعنىٰ الخاص (العلوم الّتي تقبل التجربة الحسيَّة كما يقول به الوضعيون) فالعلم بمعنىٰ الفلسفة والإلٰهيات خارج عن دائرة بحثنا؛ لأنّ المفسرين أكثر ما ينظرون إلىٰ هذهِ العلوم.

ب ـ أقسام العلوم

صنَّفَ العُلماءُ العلومَ إلىٰ أنواعٍ مُختلفة؛ فالفارابي قسَّمها إلىٰ خمسة أنواع:

1 ـ علم اللسان. 2 ـ المنطق. 3 ـ التعاليم. 4 ـ العلوم الطبيعيَّة والإلهيَّة. 5 ـ العلوم المدنيَّة والفقه والكلام[1].

أمّا فلاسفة الإسلام فإنّ أغلبهم قسّم العلوم إلى فرعين: نظريّة، وعمليّة، والنظرية إلى ثلاثة أقسام: الإلهيات، الطبيعيَّات، الرياضيّات، والعمليَّة إلى: الأخلاق، سياسة المُدن، وتدبير المنزل.

وهُناك من صنَّفَ العلم على أساس أنواع القوىٰ:

1 ـ قوة الحافظة (التاريخ). 2 ـ قوة الخيال (الفن). 3 ـ قوة العقل (الفلسفة).

وآخر تقسيم للعلوم، هو التقسيم على أساس منهج البحث:

1 ـ العلوم التجريبية الّتي تَستخدم التجربة أساساً للبحث وتشمل:

1 ـ العلوم الطبيعيَّة (مثل: علم الفيزياء وعلم الكيمياء).

---

(1) الفارابي، **إحصاء العلوم**، ص111 ـ 120.

2 ـ العلوم الإنسانيَّة (مثل: علم الاجتماع، وعلم النفس).

2 ـ العلوم العقليَّة الّتي تستخدم العقل للاستدلال، كالفلسفة والرياضيّات والمنطق.

3 ـ العلوم النقليَّة الّتي تستخدم المنهج النقلي، كالتاريخ واللُّغة.

4 ـ العلم الشّهودي الذي يستخدم منهج الشهود، كالعلوم الإلهيَّة للأنبياء والعُرفاء.

ومقصودنا من العلم في منهج التفسير العلمي هو: العلوم التجريبية في التقسيم الأَخير.

ج ـ قطعيَّة وظنيَّة العلم التجريبي

إن العلوم التجريبية هي حصيلة البحوث والتجارب البشريَّة المُتراكمة خلال القرون. فحتىٰ النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، كانت هذه العلوم تُقسم إلى قسمين: نظريات علميَّة غير ثابتة، وقوانين علميَّة؛ وبتكرار المُشاهدة، واستمرار التجارب، تتحول النظريات إلى قوانين ثابتة[1]. وبعد ظهور النظريات الجديدة في فلسفة العلم، تبيَّن أنّ العلوم الطبيعية لا يمكن أن ترقىٰ إلى مستوىٰ القانون القطعي الثابت، بأيّ حال من الأحوال، وأنّها ليست إلا أُسطورة مفيدة، تُستخدم في مجال الطبيعة والحياة. فعند تأسيس

(1) توجد إشكالات مُتعددة علىٰ الاستقراء الناقص في العلوم راجع: الدكتور علي أكبر سپاسي، **مباني فلسفه**، ص210 ـ 244؛ وإيان باربور، **علم ودين**، ترجمة خرمشاهي، ص3، 213، 214؛ الشهيد الصدر، **الأسس المنطقيّة للاستقراء**، ص135، 383 ـ 400؛ الكاتب، **درآمدي بر تفسير علمي قرآن**، ص185 ـ 200.

نظرية علميَّة لا بدّ أنْ نصطدم بالمشكلة الّتي يُراد حَلّها، وبعد ذلك نقوم بتخمين طريقة لحل هذه المُشكلة، وفي المرحلة الثالثة نقوم باستنتاج قضايا قابلة للمُشاهدة والتجربة من تلك الطريقة، وبعد ذلك نسعىٰ إلى إبطال هذهِ القضايا، فإذا لَمْ تبطُل فسوف تبقىٰ في ميدان العلم، إلى أنْ تحل محلها نظريَّة أفضل[1]. ولذلك فلا يوجد قانون علمي ثابت، في مثل هذهِ الفلسفة العلميّة[2].

ملاحظة: قضايا العلوم التجريبيّة ليست قطعيّة، بمعنىٰ (القطع العلمي)؛ أي ليست ثابتة ومُطابقة للواقع بالضرورة، ولكن قد تكون ثابتة وقطعيّة بمعنىٰ (القطع الذاتي)؛ أي قد تصبح القضايا العلميَّة كالبديهيّة عن مشاهدة، أو بواسطة القرائن الأُخرىٰ.

كما هو الحال في «حركة الأرض» الّتي أصبحت في عصرنا الحاضر من البديهيَّات.

فالإنسان قد يصل إلى القطع في قضيَّة علميَّة أحياناً عن طريق القرائن الخارجيَّة، أو العقليّة. وسوف يتبيَّن في البحوث الآتية أنّ هناك فرقاً بين العلوم القطعية والنظريات الظنيَّة، وأنّ الاستفادة من

---

(1) ترجع هذهِ النظرية إلى بوبر (ت1993م). انظر: **حدسها وإبطالها ومنطق اكتشافات**، تأليف بوبر، ترجمة أحمد آرام؛ الكاتب، **در آمدي بر تفسير علمي**، ص200 ـ 204.

(2) للشهيد الصدر منهج مُستقل في دراسة الدليل الاستقرائي الذي يستخدمهُ علماء الطبيعة، أسماهُ «المذهب الذاتي للمعرفة»، يختلف عن المذهب العقلي الأرسطي. والمذهب التجريبي يتلخص بإمكان تحصيل اليقين عن طريق الدليل الاستقرائي، على أساس نظرية الاحتمال، وذلك بتراكم القيم الاحتماليَّة لقضيَّة ما، إلى أن يصل نقيضها قريباً من الصفر، وبذلك يمكن أن تتوالد المعرفة ذاتياً، وقد طُبّق هذا المنهج على مسائل مُتعددة في العقيدة والأصول والحديث. انظر: **الأُسس المنطقية للاستقراء**، «المترجم».

النوع الثاني غير صحيحة؛ لأنّ النظريات الظنيّة لا يمكن الاعتماد عليها في التفسير، لأنّهُ قد يُعتمد عليها مئات السنين ثم يتبيَّن عدم صحتها[1].

تعريف منهج التفسير العلمي

لقد أشرنا سابقاً إلى معاني بعض الاصطلاحات مثل: المنهج، والتفسير، والآن نبيِّن بعض التعاريف الاصطلاحية الّتي ذكرها المفسرون والعلماء بالنسبة إلى «منهج التفسير العلمي».

1 ـ العلاّمة الطباطبائي

قال عند تناوله طريقة المتكلمين والفلاسفة والأشخاص الذين يحاولون التوفيقَ بين القرآن والعلوم الجديدة، وأخْذَ ما يوافق مذهبهم وتأويلَ الآيات المُخالفة: «إنّ هذا الطريق في البحث أحرىٰ به أنْ يُسمىٰ تطبيقاً لا تفسيراً»[2].

مُناقشة وتحليل

أ ـ أشار العلاّمة إلى قسم خاص من أقسام التفسير العلمي فقط، وهو حمل النظريات العلميَّة، وتطبيقها على القرآن، وهو ما يؤدي إلى التفسير بالرأي الممنوع.

ب ـ استفاد العلاّمة من اكتشافات العلوم في مواضع مُتعددة من

---

(1) مثلاً نظرية بطليموس (القرن الثاني الميلادي) الذي كان يعتقد بأن الأرضَ مركز الكون، والشمس والكواكب تدور حولها، فقد ظلت هذه النظرية مقبولة مدَّة أربعة عشر قرناً إلىٰ أنْ حلّت محلّها نظريّة كبلر وكوبرنيكوس وغاليلو في دوران الأرض حول الشمس.

(2) **الميزان**، ج1، ص7، 8.

تفسيره[1]، ولهذا فهو لا يرفض جميع أنواع التفسير العلمي.

2 ـ آية الله معرفة

قال: «إنّ هذا اللون من التفسير يرمي إلى جعل القرآن مُشتملاً على إشارات عابرة، إلى كثير من أسرار الطبيعة الّتي كشف عنها العلم الحديث» ثم أضاف: «وكان من أثر هذهِ النزعة التفسيريّة الخاصّة، الّتي تسلطت على قلوب أصحابها، أنْ أَخرج لنا المشغوفون بها كثيراً، من الكتب والرسائل الّتي يحاول أصحابها فيها أن يُحمِّلوا القرآن كثيراً من علوم الأرض والسماء، وأنْ يجعلوه دالّاً عليها بطريق التصريح، أو التلميح، اعتقاداً منهم أنّ هذا بيان لناحية من أهم نواحي صدقه، وإعجازه، وصلاحيته للبقاء»[2].

مُناقشة وتحليل

أ ـ أشار إلى قسم خاص من أقسام التفسير، وهو تطبيق العلوم علىٰ القرآن، ولم يُشر إلى الأقسام الأُخرىٰ.

ب ـ أشار إلى أحد نتائج التفسير العلمي، وهو إثبات الإعجاز العلمي للقرآن.

3 ـ الدكتور الذهبي

قال في هذا اللون من ألوان التفسير: «نُريدُ بالتفسير العلمي: التفسير الذي يُحكِّم الاصطلاحات العلميّة في عبارات القُرآن، ويجتهد في استخراج مُختلف العلوم والآراء الفلسفية منها»[3].

---

(1) أنظر: **الميزان**، ج14، ص279 [الأنبياء: 30]؛ ج18، ص382 [الذاريات: 47].

(2) **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص443.

(3) **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص474.

المناقشة

أ ـ اعتبر التفسير العلمي أعمّ من التفسير الفلسفي، مع أنّهما يختلفان حسب تعريف المشهور، فالمقصود هُنا هو العلوم التجريبية في قبال العلوم العقليَّة.

ب ـ أشار إلى قسمين من أقسام التفسير وهما: «تحميل النظريات على القرآن» و «استخراج العلوم من القرآن» في حين يوجد قسم ثالث هو «استخدام العلوم في فهم القرآن».

4 ـ الأستاذ أمين الخولي

قال في هذا الشأن: «هو تفسير يذهب قائلهُ إلى استخراج جملة العلوم القديمة والحديثة من القرآن، ويرىٰ في القرآن ميداناً يتّسع للعلم الفلسفي والإنساني في الطب، والتشريح، والجراحة، والفلك، والنجوم، والهيئة، وخلايا الجسم، وأُصول الصناعات ومُختلف المعادن، فيجعل القرآن مستوفياً بآياته لهذه الحيثيات، ويُحكِّم الاصطلاحات العلميّة في القرآن، ويجتهد في استخراج هذهِ العلوم»[1].

المُناقشة

اقتصر على القسم الأوّل والثاني من أقسام التفسير العلمي، ولم يُشر إلى القسم الثالث في التفسير، وهو استخدام العلوم في فهم القرآن.

---

(1) أمين الخولي، **مناهج التجديد**، ص287؛ محمد علي أيازي، **المفسرون حياتهم ومنهجهم**، ص93.

5 ـ الأستاذ عبد الرحمن العك

عرَّف التفسير العلمي بما يلي:

«هذا النوع من التفسير يقوم أصلاً على شرح وإيضاح الإشارات القُرآنية الّتي تُشير إلى عظيم خلق الله تعالىٰ، وكبير تدبيره وتقديره»[1].

المُناقشة

أ ـ يُعتبر هذا التعريف أقرب إلى المقصود الأصلي للتفسير العلمي نوعاً ما؛ حيثُ استبعدَ استخراج وتحميل العلوم على القرآن.

ب ـ لم يُشر إلى نوعيَّة العلوم المُستخدمة في التفسير، هل هي القطعيَّة؟ أم الظنيَّة؟

6 ـ الدكتور فهد الرومي والدكتور رفيعي

كتبا في تعريف التفسير العلمي:

هو اجتهاد المُفسِّر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، علىٰ وجه يظهر به إعجاز القرآن، ويدلُ علىٰ مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان[2]. وقد اختار الدكتور رفيعي هذا التعريف بعد ذكر التعاريف المختلفة ونقدها[3].

النتيجة

يظهر أنّ الاختلاف في التعريف جاء نتيجةً لوجود أنواع وأقسام

---

(1) عبد الرحمن العك، **أُصول التفسير وقواعده**، ص217.

(2) فهد الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، ج2، ص549.

(3) ناصر رفيعي محمدي، **تفسير علمى قرآن**، ج1، ص140.

مُختلفة للتفسير العلمي، فقد تأتي بعنوان استخراج العلوم من القرآن، وأُخرى تحميل بعض المطالب العلميّة على القرآن. أمّا مقصودنا هنا فهو استخدام العلوم في فهم أفضل لآيات القرآن؛ أي الاستفادة من العلوم التجريبيّة القطعيَّة، كوسائل للتفسير، وتوضيح الإشارات العلميَّة في القرآن، علماً أنّه يجب أنْ تُراعى جميع الضوابط والمعايير للتفسير الصحيح لكي لا يقع أيّ تحميل أو استخراج للعلوم من القرآن[1].

نشأة التفسير العلمي

عندما أشرقت شمس الإسلام في شبه الجزيرة العربيّة، كان عدد الذين يُجيدون القراءة والكتابة لا يتجاوز أصابع اليد، فقد كان القرآن مُعجزة في كلِّ شيء، فهو الذي دعا الناس إلى العلم والمعرفة، وأيقظهم من الجهل والغفلة، بدعوتهم إلى التفكّر والتعمّق في آيات الله، وفي خلق السماوات والأرض و... وعندما بدأ المسلمون بالفتوحات الإسلاميّة في القرن الأوّل الهجري، تعرّفوا علىٰ أفكار جديدة، وأديان مُختلفة، وبدأ التبادل الثقافي بين الإسلام والحضارات الأُخرى، كالرّوم، واليونان، وإيران، وقد ترجم المسلمون كثيراً من العلوم في عهد هارون الرشيد والمأمون، كالطبّ، والرياضيات، والنجوم، والعلوم الطبيعيَّة، والفلسفة، وأخذوا علوماً كثيرة من اليونان... وأضافوا عليها، وخلال عدّة قرون أوصلوا هذهِ العلوم إلى أقصىٰ تطورها، وصنّفوا أفضل الكتب في القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ ففي مجال الطب مثلاً: (كتاب

---

(1) لمزيد من الاطّلاع يُراجع كتاب: الكاتب، **درآمدي بر تفسير علمي قرآن**، 274، 378.

القانون لابن سينا)، وفي الفلسفة (كتاب ***الشفاء*** لابن سينا)، وكذلك في الرياضيات والنجوم، حتى إن الغربيين أخذوا هذهِ العلوم من العرب مرة أُخرى، بعد أنْ كان أصلُها من اليونان، وذلك بعد أنْ نشَطَتَ حركة الترجمة في القرن الثاني عشر، وظلّت نظريات ابن سينا، وابن رشد حاكمة في الجامعات الأوروبية مئات السنين.

وقد سعى علماء المسلمين في القرون الأُولىٰ إلى رفع التعارض الظاهري بين الدين والعلم واختاروا طريقين لذلك:

أ ـ رفض الأفكار الباطلة لهذهِ العلوم، لأنّ كثيراً من المباني الفلسفية والعلمية اليونانية غير صحيحة، ومُعارضة للدين الإسلامي، وقد كُتبت عدّة مؤلفات في هذا الشأن، مثل كتاب: تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي.

ب ـ تطبيق آيات القرآن على العلوم اليونانية، لكي يُثبتوا صحة المطالب العلمية للقرآن وحقّانيّته، فقالوا بأنّ المقصود من السيّارات السبعة في علم النجوم اليوناني هو (السماوات السبع) في القرآن. ومن هنا نشأت وتطورت هذهِ الطريقة في التفسير والّتي لها جاذبية خاصة عند الشباب المثقف، ومرّت بمراحل مُختلفة نتيجة لعدة عوامل. ويمكن تقسيم التطور التاريخي للتفسير العلمي إلىٰ ثلاثة أدوار:

الأُول: ويبدأ من القرن الثاني إلى الخامس الهجري حيث بدأ بترجمة الآثار اليونانية إلى اللُغة العربيّة، وسعىٰ بعض علماء المسلمين إلى تطبيق بعض آيات القرآن على الهيئة البطليموسيَّة كابن سينا[1].

(1) هُناك بعض الإشارات العلمية في بعض الأحاديث الواردة عن أهل البيت (ع) في تفسير آيات القرآن كعدد المشارق والمغارب في سورة المعارج: 40، الشيخ =

الثاني: بدأ هذا الدور في القرن السادس، عندما قام بعض علماء المسلمين باستخراج جميع العلوم من القرآن لاعتقادهم بوجودها فيه، وكان رائد هذا الاتجاه (أبو حامد الغزالي). ولهذين النوعين من التفسير أنصار ومُخالفون في كُل عصر.

الدور الثالث: بَلَغَ التفسير العلمي أوجه في القرن الثامن عشر الميلادي إثر تقدّم العلوم في الغرب، وترجمت كتب مُختلفة في مجالات كثيرة كالفيزياء والكيمياء والطب. وقد ترك ذلك أثراً كبيراً على العالم الإسلامي، وخصوصاً في الهند، ومصر في القرن الأخير، حيثُ دعا بعض علماء المسلمين إلى تطبيق القرآن على العلوم الجديدة.

والجدير بالذكر أنّ بداية هذهِ المسألة نشأت في أُوروبا، عندما بدأ التعارض بين العلم والدين، ما أدّىٰ إلىٰ انسحاب «الكتاب المقدس» من الساحة، تاركاً المجال للأفكار الإلحادية لتشق طريقها في المجتمع، وكان صدىٰ هذهِ الأفكار، بالإضافة إلى التفوق التقني الغربي، سبباً في انجذاب الشباب المسلم إلى الثقافة الغربية، ما حدا بعلماء المسلمين إلى الدفاع عن القرآن؛ ليُثبتوا أنّهُ، ليس فقط، لا يوجد تعارض بين العلم والدين، بل لإثبات أن هذهِ المكتشفات، أكبر دليل على إعجاز القرآن، ولهذا استخدمت العلوم في سبيل فهم القرآن، وكُتبت تفاسير علميّة مُتعددة. وقد أفرط البعض تحت تأثير الثقافة الغربيّة، فوقع في التأويل، والتفسير بالرأي المذموم. ـ حيثُ

= الصدوق، معاني الأخبار، ص221، وأسماء بعض الكواكب في سورة التكوير: 15 ـ 16، مجمع البيان، ج1، ص677، و... ولكن هذا لا يُعتبر من التفسير العلمي الاصطلاحي، لأنّهُ لا يستفيد من الكشوفات العلميّة في التفسير بل يُعتبر جُزءاً من التفسير، الروائي، والأسرار العلمية لأهل البيت (ع).

لم تُنقَّح مباني هذا المنهج بصورة كاملة ـ ما أدّىٰ إلىٰ إلهاب مشاعر المسلمين، ووقوفهم موقفاً سلبياً من هذا النوع من التفسير، واعتباره شكلاً من أشكال التفسير بالرأي وهو ما حَمَل بعض علماء المسلمين في مصر والشام إلى أنْ يقفوا موقفاً مُنصفاً، ويُفرّقوا بين التفسير العلمي الصحيح، واستغلال البعض لهُ لأهداف خاصة.

النتيجة

تبيَّن مما سبق أنّ بداية هذا التفسير كانت في القرن الثاني للهجرة، ثمّ أخذ يشقُ طريقهُ بسرعة كمنهج من مناهج التفسير، واستخدمهُ كثيرون من المُفسّرين، وكانت بداية الاهتمام بهذا المنهج في العالم الإسلامي تعود إلىٰ القرن الأخير، حتىٰ إن بعض المُتخصصين بالعلوم أخذوا يُفسّرون الآيات بالعلوم التجريبيّة، وإنْ اختلفت أهداف كل منهما. ويمكن أنْ نُجمل أهم أسباب نشأة وشيوع هذا المنهج بما يلي:

1 ـ اهتمام القرآن بالعلم، فإنّ ذكر الأمثلة العلميّة، والحثّ على التفكّر في الآيات الإلٰهيّة في السماء والأرض والإنسان، أدّى إلى تطور العلوم والمعارف، ومقارنتها مع ما ورد في القرآن.

2 ـ ترجمة ونشر الآثار العلمية الطبيعيّة، والفلسفية اليونانية، والرومية، والإيرانية في أوساط المسلمين في القرن، الثاني الهجري.

3 ـ الاعتقاد بأنّ جميع العلوم موجودة في القرآن ويمكن استخراجها منه.

4 ـ الاهتمام بالعلوم الطبيعيّة، والاكتشافات الجديدة لإثبات إعجاز القرآن.

5 ـ انتصار المذهب الحسّي في أُوروبا، وتأثير ذلك على أفكار المسلمين، بالإضافة إلى وجود بعض المُنحرفين، وأصحاب الأفكار الالتقاطية الذين أفرطوا في تأويل آيات القرآن وفي تطبيقها على العلوم.

6 ـ شعور علماء المسلمين بوجوب الدفاع والوقوف أمام شُبهات الغرب، مثل تعارض العلم مع الدين، لإثبات عدم مخالفة القرآن للعلم.

آراء المفسّرين والعلماء حول التفسير العلمي

هُناك ثلاثة آراء حول هذه المسألة نشير إليها باختصار:

أوّلاً: الآراء المؤيدة للتفسير العلمي

نذكر هُنا أهم الشخصيات المؤيدة للتفسير العلمي من المُتخصصين بعلوم القرآن، والمفسّرين، والفلاسفة من الذّين استخدموا بعض أقسام التفسير العلمي، وهم:

1 ـ **الشيخ الرئيس ابن سينا** (370 ـ 428هـ): الطبيب والفيلسوف الشهير: قال في تفسير كلمة «العرش» في قوله تعالىٰ ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾[1] العرش هو فلك الأفلاك (الفلك التاسع في هيئة بطليموس)، أمّا «الملائكة» فهي الأفلاك الثمانية (القمر ـ الشمس ـ الزهرة ـ عطارد ـ زحل ـ المُشتري ـ المرّيخ ـ والفلك الثابت)[2].

---

(1) سورة الحاقة: الآية 17.

(2) راجع: **رسائل ابن سينا**، ص124 ـ 125، طبعة الهند، 1908؛ الذهبي، **التفسير المفسرون**، ج2، ص426.

2 ـ **أبو حامد الغزالي** (ت505هـ): يعتقد بوجود علوم كثيرة في القرآن، كما ذكر ذلك في كتابه إحياء علوم الدين، ونقل عن بعض العلماء أن القرآن يحوي سبعة وسبعين ألفاً ومائتي علم، فلكل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة، إذ لكل كلمة ظاهر، وباطن، وحدّ، ومطلع[1]. وذكر في كتاب جواهر القرآن أنّ كثيراً من العلوم كعلم الطب، والنجوم، وهيئة العالم، وبدن الحيوان وتشريح أعضائه، وعلم السّحْر والطلسمات وغير ذلك، يوجد لها أصل في القرآن، وضَرَبَ أمثِلةً عديدةً من آيات القرآن، وبيّن علاقتها بالعلوم الأُخرى[2].

3 ـ **الفخر الرازي** (م606هـ): طبّقَ بعض المسائل العلميّة علىٰ القرآن، فاستدَلَّ على سكون الأرض[3] بالآية الكريمة ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾[4] وناقش الآراء الفلكيّة القديمة لبطليموس، وقدماء الهند، والصين، وبابل، ومصر، والروم، والشام في تفسير الآية الكريمة (164) من سورة البقرة.

4 ـ **ابن أبي الفضل المرسي** (570 ـ 655هـ): يعتقد بأنّ القرآن يضمّ علوم الأوّلين والآخرين، وقد حاول استخراج علم الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة، والجبر، والمُقابلة من القرآن، واستشهد بآيات القرآن علىٰ وجود الخياطة،

---

(1) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج1، ص289 (باب 4 من أبواب آداب تلاوة القرآن).

(2) **جواهر القرآن**، الفصل الخامس، 25.

(3) **مفاتيح الغيب**، ج2، ص94.

(4) سورة البقرة: الآية 22.

والنجارة، والصيد، والحدادة، والزراعة و...[1].

5 ـ **بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي 1** (ت764هـ): صاحب كتاب **البرهان في علوم القرآن**، يرىٰ إمكانيّة استخراج جميع العلوم من القرآن، فيقول إنّ عمر عيسى (ع) ثلاث وثلاثون سنة استناداً إلى الآية الكريمة ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[2] الّتي تحتوي على ثلاثة وثلاثين حرفاً[3].

6 ـ **جلال الدين السّيوطي** (ت911هـ): صاحب كتاب **الإتقان في علوم القرآن**: يعتقد أيضاً بأنّ القرآن يشتمل على جميع العلوم، وضَرَب لذلك مثلاً من القرآن، فقال إنّ عمر النبي محمد (ص) ثلاث وستون سنة؛ لأنَّ الآية الكريمة ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ﴾[4] تقع في أواخر سورة المنافقين، وهي السورة الثالثة والستون في القرآن[5].

مُلاحظة: يعد أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ) ـ من أقطاب المعارضين لهذا النوع من التفسير، وسوف نذكر آراءه في الوقت المناسب ـ في هذا العصر.

7 ـ **العلاّمة المجلسي** (ت1111هـ): صاحب كتاب بحار الأنوار: تعرّض لهذا النوع من التفسير في بعض أجزاء كتابه، وذكر أنّه لا يوجد تعارض بين «السماوات السبعة» الموجودة في القرآن

---

(1) أنظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج2، ص478 ـ 482؛ أحمد عمر أبو حجر، **التفسير العلمي للقرآن**، 159.

(2) سورة مريم: الآيات 30 ـ 33.

(3) **البرهان في علوم القرآن**، ج2، ص181.

(4) سورة المُنافقون: الآية 11.

(5) أنظر: **الإتقان**، ج2، ص271 ـ 282؛ **والإكليل في استنباط التنزيل**، 2.

في الآية (29) من سورة البقرة، وما ثبت في علوم النجوم من الأفلاك التسعة؛ لأنَّ الفلك الثامن والتاسع في لُغة القرآن هو الكرسي والعرش[1].

8 ـ **الملّا صدرا الشيرازي** (ت1050هـ): الفيلسوف الشهير، أكّد على هذا الاحتمال في تفسيره[2]، وكذلك الملّا هادي السبزواري في شرح المنظومة[3].

9 ـ **السيد عبد الرحمٰن الكواكبي** (ت1320هـ): قام بتطبيق القرآن على العلوم التجريبيّة في موارد مُتعددة من كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، فاستدل على انفصال القمر عن الأرض (طبقاً للنظريات الحديثة) بالآية (41) من سورة الرعد والآية (1) من سورة القمر[4].

10 ـ السيد أحمد خان الهندي (1817 ـ 1898م) **والسيد أمير علي** (1265 ـ 1347هـ) من علماء الهند: أكّدا على الفوائد الاجتماعية والجسميّة لكلٍ من الصلاة والصيام، والزكاة، والحج، واعتبروا القوىٰ الطبيعيّة، كالماء والرياح والغيوم نوعاً من أنواع الملائكة، وأنكروا إمكان وقوع المعجزة وتأثير الدُعاء، وخالفهم السيد جمال الدين الأسدآبادي[5].

---

(1) **بحار الأنوار**، ج57، ص5.

(2) محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي، **تفسير القرآن الكريم**، ج2، ص289 ـ 293.

(3) **شرح المنظومة**، قسم الفلسفة، ص269.

(4) **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، ص43 ـ 46؛ بهاء الدين خرمشاهي، **تفسير وتفاسير جديد**، ص59 ـ 71؛ **تاريخ نهضتهاي ديني اسلامي معاصر**، ص143 ـ 146.

(5) بهاء الدين خرمشاهي، **تفسير وتفاسير جديد**؛ ص59 ـ 71؛ **تاريخ نهضتهاي ديني إسلامي معاصر**، ص143 ـ 146.

11 ـ **الطنطاوي** (ت1862م): بالغ في الاستفادة من العلوم في تفسيره ***الجواهر** في تفسير القرآن*، فقام باستخراج علم تحضير الأرواح بالاستناد إلى الآيات (67 ـ 72) من سورة البقرة، وكان يستفيد من المستجدّات العلمية خلال بحثه التفسيري[1].

12 ـ **عبد الرزاق نوفل الكاتب المصري المعروف**: لهُ مؤلفات كثيرة في التفسير العلمي منها: ***القرآن والعلم الحديث***، ***الله والعلم الحديث***، ***الإسلام والعلم الحديث***، ***بين الدين والعلم*** و...

13 ـ **السيد هبة الدين الشهرستاني** (1301 ـ 1368هـ): استدل على حركة الأرض في كتابهِ الإسلام والهيئة بالآية الكريمة ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾[2]، وكان يعتقد بأنّ تأييد وتصديق العلوم، والاكتشافات العلمية عن طريق الدين والعلماء، هو سبب من أسباب تقوية إيمان الناس[3].

14 ـ وهُناك بعض الكتّاب الإيرانيين المتأخرين الّذين كتبوا في هذا المجال منهم: آية الله الطالقاني في تفسيره ***پرتوي أز قرآن***، محمد تقي شريعتي في تفسيره ***نوين***، حُجة الإسلام اهتمام، في ***فلسفة الأحكام***، الدكتور پاك نژاد ***في أولين دانشگاه وآخرين پيامبر***، المهندس بازرگان في كتبه ***راه طي شده***، ***باد وباران در قرآن***، ***مطرات در إسلام*** و...

المُناقشة

يمكن تقسيم المفسرين المذكورين آنفاً إلى عدّة أقسام، حسب أهداف كُلٍ منهم:

---

(1) **الجواهر في تفسير القرآن**، ج1، ص84 ـ 89.

(2) سورة البقرة: الآية 22.

(3) الشهرستاني، **إسلام وهيئت**، ترجمة: خرمشاهي، 110.

1 ـ كان بعضهم يسعى إلى استخراج العلوم من القرآن، منهم الغزالي، المُرسي، الزركشي، السيوطي، الطنطاوي[1]؛ وعمدة أدلتهم أنّ القرآن يحتوي على جميع أنواع العلوم، ويمكن استخراجها عن طريق التأمل في الآيات بطريقة خاصة، وبالاستعانة بالعلوم المُختلفة[2].

2 ـ القسم الثاني يسعىٰ إلى تطبيق نظريات العلوم الظنيَّة على القرآن، كالفخر الرازي (استفاد من الآية 22 من سورة البقرة للتدليل على أنّ الأرض ساكنة)، المجلسي، الملّا صدرا الشيرازي، عبد الرحمٰن الكواكبي، عبد الرزاق نوفل[3].

وقام بعض هؤلاء بتحميل النظريات العلمية على القرآن، كما فعل الأستاذ عبد الرزاق نوفل في تفسير الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ قال: المقصود من النفس الواحدة، هو البروتون، وزوجها الإلكترون، وكلاهما يُشكّلان عنصر الذرّة، وقد اعتبر ذلك نوعاً من أنواع الإعجاز العلمي[4].

وهذا بلا شكّ من التفسير بالرأي الممنوع شرعاً؛ لأنّهُ بعيد عن الظاهر، وعن المعاني اللغوية والاصطلاحيّة المستخدمة في القرآن.

3 ـ وكان بعض هؤلاء بصدد إثبات الإعجاز العلمي للقرآن، مثل مصطفى صادق الرافعي (ت1938م) في كتابه ***إعجاز القُرآن***

---

(1) ذكرنا بعض الأمثلة سابقاً.

(2) ذكرنا بعض الأمثلة سابقاً.

(3) ذكرنا بعض الأمثلة سابقاً.

(4) القرآن والعلم الحديث، 156.

والبلاغة النبويّة[1]، فقد ادّعىٰ الإعجاز العلمي في الآيات الّتي تتطرق إلى الزوجية العامة، وزوجيّة النباتات[2].

4 ـ كان اهتمام بعضهم في إظهار أهميّة العلم في الإسلام كالطنطاوي، وهبة الدين الشهرستاني.

5 ـ وكان بعضهم يسعى ومن خلال الاستفادة من العلوم التجريبية لترويج أفكاره الانحرافية، وإنكار مُعجزات الأنبياء، كالسيد أحمد خان الهندي، وسيد أمير علي، أو توجيه بعض المعجزات، أمثال رشيد رضا (1865 ـ 1935م)، حيث فسَّر معنىٰ «الموت» في الآية (243) من سورة البقرة بالهزيمة، وضياع الاستقلال، و «الحياة» بالاستقلال، وعودة القوة لهم[3]، وأنّهُ ليس المقصود من الإحياء في قصّة إبراهيم في الآية (260) من سورة البقرة، الإحياء الحقيقي، بل بمعنىٰ التربية والاستئناس[4]، وبسبب وجود مثل هذهِ التفاسير، رفض العلاّمة الطباطبائي تطبيق القرآن على العلوم، وردّ هذا النوع من التفسير[5].

ثانياً: المعارضون للتفسير العلمي

1 ـ أنكر الفقيه المالكي الأندلسي أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ)

---

(1) بحثنا هذا الأمر في كتابنا: **پژوهشي در إعجاز علمي** قرآن (منشورات الكتاب المبين، 1380 هش) في مجلدين، وقد قبلنا ستة موارد فقط، تدلُ على الإعجاز العلمي من بين (300) آية ورفضنا الباقي.

(2) سبق أنْ عرضنا كلامهُ في تعريف التفسير العلمي. راجع: **الميزان**، ج1، ص7.

(3) المنار، ج2، ص458.

(4) المصدر نفسه، 55.

(5) سبق أنْ عرضنا كلامهُ في تعريف التفسير العلمي راجع: **الميزان**، ج1، ص7.

في كتابه ***الموافقات*** التفسير العلمي، وردَّ أدلتهم، وقال: «كان للعرب علوم في زمن نزول القرآن، كالنجوم، ومعرفة أوقات نزول المطر، وعلم: الطب، البلاغة، الفصاحة، الكهانة، الرمل، الجفر و... وقد قسّم الإسلام هذهِ العلوم إلى قسمين: علوم صحيحة وحقّة، وأضاف إليها إضافات كثيرة؛ وعلوم باطلة، مثل: (الكهانة والرمل و...)، وقد بيَّن منافع ومضار كل منهما، ثم جاء بأمثلة علىٰ كل مجموعة من القرآن»[1].

وقال بعد ذلك: «إنّ كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدَّ؛ فأضافوا إليه كلَّ علمٍ يُذكر للمُتقدمين والمُتأخرين، من علوم الطبيعيّات كالهندسة، وغيرها من الرياضيات، والمنطق وعلم الحروف، وهذا غير صحيح»، ثم استدل على ذلك فقال: «إنّهُ لم يدّعِ أحدٌ من السلف الصالح مثل هذهِ الدعوىٰ، وإنَّ القرآن، إنّما جاء لبيان أحكام الآخرة، وما يتعلق بها»[2].

ثمّ رفض أدلّة القائلين بالتفسير العلمي، الذين استدلّوا بالآية ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[3]، والآيـــة ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[4]، وقال: إنّ هذهِ الآيات ترتبط بحال التكليف والتعبّد، والمراد من الكتاب في الآية الثانية هو اللوح المحفوظ. وأمّا في يتعلق بفواتح السور، فقال: إنّ عدد الجمل (تطبيق القيم العددية للحروف الأبجدية

---

(1) **التفسير والمفسرون**، ج2، ص458، نقلاً عن **الموافقات**، ج2، ص69 ـ 76 بتلخيص.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص488 بتلخيص.

(3) سورة النحل: الآية 89.

(4) سورة الأنعام: الآية 38.

على القرآن) لم تثبت، وإنّ هذهِ المعارف مأخوذة من أهل الكتاب، وفواتح السور من المُتشابهات[1].

2 ـ **الشيخ محمود شلتوت** (1893 ـ 1964م) وهو من علماء الأزهر: شَنَّ حملة قوية على هذا النوع من التفسير، من خلال المقالات الّتي نشرها في مجلة «الرسالة» الصادرة سنة (1941م)، وقال: «إنّ هذهِ النظرة للقُرآن خاطئة من غير شك؛ لأنَّ الله سُبحانه لم ينزّل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وأنواع المعارف، وهي خاطئة من غير شك، لأنها تحمل أصحابها والمُغرمين بها على تأويل القُرآن، تأويلاً مُتكلفاً يتنافىٰ، مع الإعجاز، ولا يُسيغهُ الذوق السليم، وهي خاطئة لأنها تُعرِّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كُلِّ زمان ومكان. والعلوم لا تعرف الثبات، ولا القرار، ولا الرأي الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخُرافات، فلو طبّقنا القرآن على هذهِ المسائل العلميّة المتقلّبة لعرّضناه للتقلّب معها، وتحمّل تبعات الخطإ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً في الدفاع عنه»[2].

ثم ذكر خلال ذلك موارد من الأخطاء، في التفسير العلمي الذي يحاول استخراج بعض المسائل العجيبة من القرآن.

3 ـ **الدكتور الذهبي**: وهو من أساتذة علوم القرآن والحديث في جامعة الأزهر، وصاحب الكتاب المشهور ***التفسير والمفسرون***،

---

(1) المصدر نفسه، ص489.

(2) مجلة الرسالة، العددان 407 و 408، سنة 1941م نقلاً عن: أحمد عمر أبو حجر، **التفسير العلمي في الميزان**، : ص299 ـ 302.

ويُعتبر من العلماء المُتأخرين، فقد اقتفىٰ أثر الشاطبي في رفضه للتفسير العلمي، قال: «أمّا أنا فاعتقادي أنّ الحق مع الشاطبي، لأنّ الأدلّة الّتي ساقها لتصحيح مدّعاه أدلّة قوية، لا يعتريها الضعف، ولا يتطرق إليها الخلل؛ ولأَنّ ما أجاب به على أدلّة مُخالفيه أجوبة سديدة دامغة، لا تثبت أمامها حُججهم، ولا يبقىٰ معها مُدَّعاهم»[1]. ثم ذكر أدلّة أُخرى لتقوية قول الشاطبي، سنذكرها في بحث الأدلّة.

4 ـ هُناك بعض الشخصيات التي عارضت التفسير العلمي، أشار إليها بعض الكتاب وهي[2]:

1 ـ **الأُستاذ أَمين الخولي** (ت 1956م).

2 ـ **الأستاذ عباس محمود العقّاد** (ت 1964م).

3 ـ **الأستاذ محمد عزة دروزة** (ت1888م).

4 ـ **الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني**، مؤلف كتاب ***مناهل العرفان في علوم القرآن***.

وعند مُراجعة أدلّتهم، لم نجدهم قد أضافوا شيئاً إلى ما قالَهُ الشاطبي، بل كرَّروا أدلّته بأُسلوب آخر، ولهذا لم نذكرهم بالتفصيل. بالإضافة إلى ذلك لا يمكن اعتبار الأُستاذ عباس محمود العقاد من المعارضين؛ لأنّهُ استخدم التفسير العلمي في كتابَيْه: ***الإنسان في القرآن*** و***القرآن ونظريّة التطور***.

---

(1) **التفسير والمفسرون**، الطبعة الثانية، سنة 1976م (طبعة دار الكتب الحديثة، ج2، ص491 ـ 494، بتلخيص وتصرف في العبارة).

(2) **التفسير العلمي في الميزان**، مصدر سابق ص. 297

ثالثاً: القائلون بالتفصيل في التفسير العلمي

هناك عدد من العلماء قَبِل صنفاً خاصاً من التفسير العلمي، تحت شروط مُعيّنة، ورفض باقي الأقسام، منهم:

1 ـ **سيد قُطُب** (1906 ـ 1966م): صاحب تفسير ***في ظِلال القرآن***، اعترض علىٰ هذا اللون من التفسير، وقال: إنّي لأعجبُ من بساطة بعض الأفراد الّذين ينسبون إلى القرآن بعض الأشياء، وهو بريءٌ منها، ويحاولون استخراج جُزئيات العلوم الطبيَّة، والكيميائية، والنجوم و... وهم يظنّون أنهم يُعظّمون القرآن بذلك. ثمّ عدَّ نوعين من أنواع التفسير، وقَبِلَ الأوّل وردَّ الآخر[1]. ثم ضرب مثلاً على النوع غير الجائز، وذلك بتطبيق نظرية التطور على الآية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾[2]؛ وأمّا النوع الجائز فمثالهُ الآية الكريمة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[3]، حيث إنّ كل شيء في الوجود مخلوق بمقدار وتناسب دقيق، من شكل الأرض وبُعدها عن الشمس، والقمر، وحجم الشمس والقمر، وسرعة حركتهما والنسبة بينهما، ولا يمكن أنْ تكون كل هذهِ الأُمور صدفة من الصدف، وعلى هذا يمكن التوسّع في مفهوم هذهِ الآية بلا إشكال[4].

2 ـ **محمد مصطفىٰ المراغي** (1881 ـ 1945م): شيخ الأزهر،

---

(1) سيد قطب، **في ظِلال القرآن**، ج1، ص260.

(2) سورة المؤمنون: الآية 12.

(3) سورة الفرقان: الآية 2.

(4) أنظر: **في ظلال القرآن**، ج1، ص261 ـ 263.

وهو من علماء مصر والسودان الكبار لهُ، موقفان مُختلفان بالنسبة إلى التفسير العلمي.

قال في تقديمه لكتاب: **الإسلام والطب الحديث**، لعبد العزيز إسماعيل:

«لستُ أُريد من هذا أنْ أقول: إنّ الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم، جملة وتفصيلاً بالأسلوب التعليمي المعروف، وإنما أريد أنْ أقول إنّهُ أتى بأُصول عامّة لكلّ ما يهمّ الإنسان معرفته به، ليبلغ درجة الكمال جسداً وروحاً، وترك الباب مفتوحاً لأهل الذكر من المُشتغلين بالعلوم المختلفة، ليبينوا للناس جزئياتها، بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذي هم عائشون فيه» ثم قال: «يجب أن لا نجرّ الآية إلى العلوم كي نفسرها، ولا العلوم إلى الآية، ولكن إنْ اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة، فسرناها بها»[1].

وقد استخدم المراغي التفسير العلمي عدة مرّات، فقد فسَّرَ «العمد» في الآية ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾[2] بقوة الجاذبيَّة[3].

3 ـ **أحمد عمر أبو حجر**: صاحب كتاب ***التفسير العلمي في الميزان***: فقد أورد أدلّة الطرفين، واختار الرأي القائل بالتفصيل، وقال: «والذي تطمئن إليه النفس بعد النظر في وجهة نظر الفريقين، هو أنّ الذين يُنادون بإبعاد القرآن عن التفسير العلمي مُصيبون كُل الإصابة، إذا كان هذا التفسير

(1) مُقدمة الشيخ المراغي **لكتاب الإسلام والطب الحديث**، نقلاً عن: التفسير والمفسرون، ج2، 519.

(2) سورة لقمان: الآية 10.

(3) **الدروس الدينية**، ص61 ـ 64 نقلاً عن: **التفسير العلمي في الميزان**، 231.

قائماً على الظنّ والوهم، أو التعسف في التأويل. أمّا إذا كان مُستنداً إلى الصريح من القول، مُعتمداً على اليقين الثابت من العلم، فليس هُناك ما يمنع من الاستفادة بنور العلم في إيضاح حقائق القُرآن»[1] وقال في موضع آخر: «وإنّما نذهب المذهب الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، لأنّهُ ما دام القرآن كلام الله، والكون خلْق الله، فلا بدّ أنْ تنسجم آيات القرآن مع حقائق العلم»[2].

4 ـ **العلاّمة الطباطبائي** (ت1402هـ): وهو من الفلاسفة والمفسرين المعاصرين، وصاحب الميزان في تفسير القرآن، قال في هذا المجال: «وقد نشأ في هذهِ الأعصار مسلك جديد في التفسير، وذلك أنَّ قوماً من مُنتحلي الإسلام إثر توغّلهم في العلوم الطبيعية، وما يُشابهها المُبتنية على الحسّ والتجربة. . .، مالوا إلى مذهب الحسّيين من فلاسفة أوروبا سابقاً، أو إلى مذهب أصالة العمل (لا قيمة للإدراكات إلاّ إذا ترتب عليها عمل. . .). فذكروا: أنّ المعارف الدينية لا يمكن أنْ تُخالف الطريق الذي تُصدِّقهُ. . .، ولا بدّ من تأويل الآيات المخالفة لها، بل إنهم طبّقوا القوانين الماديّة حتى على المعاد، وقالوا إنّ الروح ماديّة ولها خواص ماديّة، وإن النبوّة نبوغ اجتماعي خاص تُبنىٰ قوانينه على الأفكار الصالحة، ثم ذكروا أنّهُ لا يمكن الاعتماد على الروايات؛ لاختلاطها، وأمّا الكتاب، فلا يجوز أن يُبنىٰ في تفسيره على الطريق العقلي (وهو ما قام به المفسرون السابقون) الذي

---

(1) **التفسير العلمي في الميزان**، دار قُتيبة، بيروت، 1991، ص. 113

(2) المصدر نفسه، ص118.

أبطلهُ العلم (حيث أن العلم أبطل المنهج العقلي) فلا بدّ أنْ يُفسَّر القُرآن بالعلم فقط».

ثم قال: «إنما الكلام في أنّ ما أوردهُ على مسالك السلف من المُفسرين (أن ذلك تطبيقاً وليس بتفسير) وارد بعينه على طريقتهم في التفسير»[1]. ومع هذا فقد استفاد العلاّمة من نتائج العلوم التجريبية في تفسير بعض الآيات القرآنية كما جاء في ذيل الآية ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾[2].

قال: «والمُراد أنّ للماء دخلاً تامّاً في وجود ذوي الحياة... وقد اتّضح ارتباط الحياة بالماء بالأبحاث العلميّة الحديثة»[3]. وقال في تفسير الآية الشريفة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾[4]: المراد من التوسعة في الآية هي «توسعة خلق السماء، كما تميل إليه الأبحاث الرياضيَّة اليوم»[5]. وسوف يتبين في البحوث الآتية أنّ موقف العلاّمة من التفسير العلمي يختلف حسب أنواعهِ، فهو من القائلين بالتفصيل.

5 ـ **آية الله مكارم الشيرازي**: صاحب تفسير الأمثل، وهو من المُعتدلين في موقفه من التفسير العلمي، فقبل بعض أنواعه، واستفاد منهُ عدة مرات لإثبات الإعجاز العلمي[6]، ورفض

---

(1) **الميزان**، ج1، ص7 ـ 8 بتلخيص.

(2) سورة الأنبياء: الآية 30.

(3) **الميزان**، ج14، ص279 (طبعة إسماعيليان).

(4) سورة الذاريات: الآية 47.

(5) **الميزان**، ج18، ص382.

(6) **تفسير نمونه** (بالفارسية)، ج1، ص131؛ ج11، ص410؛ ج12، ص275؛ ج15، ص568.

بعضاً آخر، واعتبره من أنواع التفسير بالرأي[1]؛ فقال في معرض حديثه عن التفسير العلمي: يُلاحظ أنَّ العلم قد دخل الميدان، وفُسِّرَ به القرآن، ونحنُ نؤكد هُنا بأنّ المقصود من العلوم هو العلوم القطعيّة، وليس الفرضيات المُتغيِّرة بتغيّر الزمان، فإنّهُ لا يمكن تطبيق القرآن الثابت على الفرضيات المُتغيِّرة، أما زوجية النباتات الّتي اكتُشفت في القرن السابع عشر الميلادي، وحركة الأرض حول نفسها، فهي حقائق علمية، وليست فرضيّات تقبل التغيير[2].

6 ـ **آية الله معرفة:** قال: إنّ الشريعة ليست علوماً طبيعيّة، والقرآن ليس كتاب علم، وقد بيّنت الإشارات العلمية بجانب المطالب الأصليّة (الحكمة، الهداية، التربيّة، الإرشاد و...) بصورة إجماليّة يُدركها الراسخون في العلم؛ لأنّهُ ليس بصدد بيان هذهِ المواضيع، فهي تُشير إلى عظمة العلم الإلٰهي غير المتناهية، فهو يعتقد بأنّ العلوم القطعيّة ضرورية لفهم القرآن، ولا يمكن الإحاطة بهذه الإشارات الموجودة في القرآن دون الاستفادة من نتائج هذهِ العلوم[3].

وبما أنّ العلوم غير قطعيّة، والقرآن قطعيّ، فلا بدّ أنْ نقوم بتطبيق العلوم على القرآن، وليس العكس، يعني قد نفهم مطلباً من بعض الآيات في ضوء الكشوف العلميّة، ولكن لا نقول إنّ الآية تؤكد هذه المسألة بصورة قطعيّة، فإذا قطع الشخص بهذا الأمر، فهو تحميل للقرآن، وغير جائز شرعاً[4]. فهو إذن، من القائلين بالتفصيل بين إسناد العلوم بصورة

---

(1) الأستاذ مكارم الشيرازي، **تفسير به رأي**، ص69 ـ 79.

(2) مجلة پيام قرآن، العدد التجريبي، ص48 (منشورات دار القرآن الكريم، قم).

(3) **التمهيد في علوم القرآن**، ج6، ص31 وما بعدها.

(4) **در آمدي بر تفسير علمي قرآن**، 340.

قطعيّة، وبين النسبة الاحتمالية. وقد جاءت مباحث الإعجاز العلمي والتفسير العلمي، في المُجلّد السادس من كتاب التمهيد.

7 - **آية الله السُبحاني**: يُعدّ من الأفراد المُعتدلين في تناوله التفسير العلمي إذ إنه في تناوله لشروط المُفسِّر يقول: الاطلاع على الآراء العلميّة لهُ دور كبير في تفتُّح ذهنية الإنسان، والحصول على فهم حيّ للقُرآن، (من شروط تفسير القرآن بالمعنى الواقعي). فقد أحرز البشر اليوم خطوات كبيرة في مجالات علميّة مُتعددة، كعلم طبقات الأرض، والكون، والحيوان، وكشف آفاق جديدة في علم الاجتماع، وعلم النفس.

صحيح أنّهُ لا يمكن القول: إنّ جميع هذهِ الآراء دقيقة، ولكن إدراك هذه العلوم سبب في قوة الفكر الفلسفي والعلمي للإنسان، وانفتاح ذهن المُفسِّر، ويعطيه قُدرة كاملة للاستفادة من القُرآن، وهذا لا يعني أنّنا نُفسِّر القُرآن بمُساعدة الفلسفة اليونانية، والإسلاميّة، والعلوم الجديدة القابلة للخطإ ونُطبّقها على القرآن؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى التفسير بالرأي الممنوع منهُ شرعاً وعقلاً[1].

وقد أشار إلى كثير من المسائل العلميّة مثل: الجاذبيّة العامّة، كرويّة الأرض، وحركتها، حركة الأجرام السماويّة، وزوجيّة النباتات في كتابه (برهان رسالت) لإثبات إعجاز القُرآن[2]. فهو وإنْ كان مُخالفاً لتطبيق العلوم على القرآن، لكنّهُ يؤكّد على لزوم الاستفادة من الكشوف العلميّة في تفسير القرآن (فهو إذن، من الموافقين على استخدام العلوم في فهم القرآن ظاهراً).

---

(1) الأستاذ سبحاني، **تفسير صحيح آيات مُشكلة قرآن**، تنظيم سيد هادي خسروشاهي، ص315.

(2) **برهان رسالت**، طهران، منشورات مكتبة الصدر، 1398هـ ص253 ـ 283.

9

منهج التفسير العلمي (2)

أدلة موافقي التفسير العلمي ومعارضيه

هُناك آراء مُتباينة ورؤىٰ مُختلفة حول التفسير العلمي، فمن المفسرين من قبله مُطلقاً، وهُناك من رفضه مُطلقاً، بينما فصّل آخرون بين أنواعه فقبلوا البعض ورفضوا البعض، وسبق أن أشرنا إلى بعض أدلّتهم، والآن نتناولها بشيء من التفصيل.

أ - أدلّة الموافقين

1 - إنّ استخدام العلوم في تفسير القرآن يؤدّي إلى فهم أفضل لآياته، ويُبيِّن إشاراته العلمية، فعندما يتحدث القرآن عن منافع الخمر ومضارهافي الآية الكريمة ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[1]، فإنّ الاكتشافات الطبيّة الحديثة توضّح مفهوم الآية، والمراد من المنافع والمضار فيها، حتى إنه يُشكل فهم

(1) سورة البقرة: الآية 219.

بعض الآيات دون الرجوع إلى العلوم، فنحنُ بحاجة ماسّة إلى الاكتشافات الطبيّة في «علم الأجنّة» ـ مثلاً ـ لفهم وتفسير الآيتين (12 ـ 14) من سؤرة المؤمنون، وكذلك الآية الخامسة من سورة الحج، لمعرفة مراحل خلق الإنسان، مثلما نحن بحاجة إلى «علم اللُّغة» لفهم ألفاظ القرآن.

ولا بدّ من الحذر من تحميل النظريات العلمية على القرآن، واستخراج العلوم منه، بل يجب استخدام العلوم التجريبيّة، كوسيلة ومصدر في خدمة التفسير.

2 ـ يُساهم التفسير العلمي في إثبات إعجاز القرآن، فعندما يُبيِّن القرآن بعض المسائل العلميِّة، قبل أربعة عشر قرناً، والتي لم تكن معروفة في ذلك الزمان ويعجز البشر عن الإتيان بمثل هذهِ المسائل، ثم تتبين صحتها بواسطة العلوم التجريبية بعد مرور عدة قرون، فهذا يعني أن القرآن مُعجزة إلٰهية، وليس كلاماً بشريّاً. فقد استُدل ببعض الآيات على الإعجاز العلمي للقرآن[1]، مثل: الزوجيّة العامّة للموجودات والنباتات[2]، قوّة الجاذبيّة[3]، حركة الشمس[4]، فلسفة حرمة شُرب الخمر[5]، مراحل خلق الإنسان[6]، تلقيح السحاب والنباتات[7] و. . .

(1) راجع: للكاتب، **پژوهشى در إعجاز علمي قرآن**.
(2) سورة يس: الآية 36.
(3) سورة الرعد: الآية 2؛ سورة لقمان: الآية 10.
(4) سورة يس: الآية 38.
(5) سورة البقرة: الآية 219.
(6) سورة الحج: الآية 5؛ سورة المؤمنون: الآيتان 12 ـ 14.
(7) سورة الحجر: الآية 22.

ملاحظة: لا بدّ من تمييز الموارد الصحيحة من غيرها؛ لأنّ هُناك من يقوم بتحميل العلوم غير القطعية على القرآن.

3 ـ التفسير العلمي يؤدي إلى إقبال غير المسلمين على القرآن، وخصوصاً من فئة الشباب، عندما تُثبت الكشوف العلميّة حقانيّة الإشارات المذكورة في القرآن، وهذا ما اعترف به بعض المنصفين في الغرب. فقد اعترف العالم «موريس بوكاي» في كتابه ***التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث*** بصدق، وإعجاز القرآن، ومُخالفة التوراة والإنجيل للكثير من المطالب العلميّة[1].

4 ـ اعتبر بعض الأفراد أنّ تقدم الفلسفة والعلوم التجربية في الغرب، دليل على بطلان منهج القدماء (المنهج العقلي الأرسطي)، ثم إنّه لا يمكن الاعتماد على الروايات في التفسير لاختلاطها بالإسرائيليات، ووجود الوضع، وكثرة الكذب، فلم يبقَ إلا التفسير العلمي؛ أي تفسير القرآن على ضوء النظريات، والفرضيات العلمية[2].

5 ـ لا بدّ من استخدام التفسير العلمي لرفع التعارض بين آيات

---

(1) The bible the quran and science. maurice bucaille.

تُرجم هذا الكتاب عدّة مرّات إلى الفارسية والعربية، فقد ترجمهُ إلى الفارسية الأستاذ حسن حبيبي بعنوان عهدين، قرآن وعلم (منشورات سلمان، ١٣٥٧هـ.ش)، وكذلك المهندس ذبيح الله دبير؛ باسم مُقايسه اي ميان توراة، إنجيل، قرآن وعلم (منشورات الثقافة الإسلامية، ١٣٦٥هـ.ش) أمّا إلى العربية فقد ترجم مرّتين: مرّة باسم التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث، والثانية باسم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.

(2) راجع: **الميزان**، ج1، ص7.

القُرآن والكشوف العلميّة؛ فمثلاً: كانت نظريّة «بطليموس» الّتي تقول بالأفلاك التسعة تعارض آيات القرآن في وجود سبع سماوات، فلا بدّ من تأويل العرش والكرسيّ بعنوان الفلك الثامن والتاسع لكي يرتفع التعارض بين ظاهر الآيات، والعلم في ذلك الزمن[1].

6 ـ قال بعض الكتّاب المصريين: كان الإعجاز القرآني في ذلك الزمان هو الإعجاز الأدبي، من خلال الألفاظ والجُمل البليغة وغيرها، والمُستخدمة في زمنهم، وقد تحدّاهم بأن يأتوا بسورة واحدة، ومع مرور أربعة عشر قرناً لم يستطع أي شخص أن يأتي بسورة من مثله. أمّا بالنسبة إلى الأقوام الآخرين فلا يثبت هذا النوع من الإعجاز في حقّهم؛ لأنهم لا يُدركونه، فلا بدّ من تفسير القرآن تفسيراً علمياً؛ لأنّ الإعجاز العلمي يؤدّي إلى إقناع غير المسلمين، وجذبهم إلى الإسلام[2].

7 ـ ادّعىٰ بعض العلماء اشتمال القرآن على جميع العلوم، واستدلّوا بالآية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[3]، لإثبات وجود هذِهِ العلوم كعلم الطب، والهندسة، والهيئة و...

مُناقشة أدلّة القائلين بالتفسير العلمي

1 ـ الدليل الرابع غير تام؛ لأن بطلان المنهج العقلي عن طريق

---

(1) ذكرنا هذا التفسير لابن سينا والمجلسي في البحوث السابقة.

(2) عبد الرزاق نوفل **القرآن والعلم الحديث**، (دار الكتاب العربي، 1973م ص26، (بتصرف).

(3) سورة النحل: الآية 89.

فلسفة الغرب قابل للمُناقشة، ولا يقبلهُ الكثيرون، ولو في بعض فروع المعرفة البشرية؛ لأنّهُ حتى المسائل العلمية الّتي أحرزت تقدّماً كبيراً نتيجةً لاستخدام المنهج التجريبي، كالفيزياء والكيمياء، هي بحاجة إلى الاستدلال العقلي[1] لتعميم قوانينها العلمية الّتي نَتَجتْ عن طريق الاستقراء الناقص. أمّا التجربة، فلها دور ثانوي، وكذلك، لا يمكن قبول قَولِهم بالنسبة إلى الروايات مُطلقاً؛ لأنّ الروايات على عدة أقسام:

أ ـ خبر الواحد الضعيف.

ب ـ خبر الواحد الصحيح.

جـ ـ خبر الواحد المقترن بقرينة، تورث اليقين، أو الاطمئنان.

د ـ الخبر المتواتر الموجب للاطمئنان.

ونحنُ نستفيد من القسمين الأخيرين في مجال التفسير، أمّا الأخبار الضعيفة والموضوعة، فليس لها أيّ دور في التفسير[2].

2 ـ أمّا بالنسبة إلى الدليل الخامس فنقول: إنّهُ لا يوجد أصلاً تعارض بين القرآن والعلوم القطعيّة[3]، ولا يمكن تجاهل الدليل القطعي في القرآن، إذا كانت العلوم ظنّية.

---

(1) أنظر: الكاتب، **در آمدي بر تفسير علمي**، ص185 ـ 200؛ **الأُسس المنطقية للاستقراء**، 135، 383 ـ 400؛ محمد رضا المظفر، **المنطق**، ص264.

(2) تعرضنا إلى الآراء حول دور الخبر الصحيح في التفسير في مبحث التفسير الروائي.

(3) أنظر: الكاتب، **در آمدي بر تفسير علمي**، بحث التفسير العلمي والتعارض بين العلم والدين، 391 ـ 412.

3 ـ أمّا الإشكال السادس، فإنّه يصدق في بعض الموارد؛ لأن كثيراً من غير العرب يمتلكون ثقافة أدبيّة كبيرة، ويمكن أن يُدركوا الإعجاز الأدبي للقرآن بتعلم آداب اللغة العربية.

4 ـ والدليل السابع غير تام أيضاً؛ لأنّ هُناك قرينة لبيَّة تدل على المراد من الآية ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1] فيكون المراد من كلمة تبيان هو:

أوّلاً: تبيان كُل شيء يَصبّ في الهدف الأصلي للقرآن، وهو الهداية. فإذا ألّف طبيب من الأطباء كتاباً، وقال إنّهُ يتضمن كل شيء، فهو لا يقصد، بالطبع، أنّهُ يشمل جميع العلوم من الفيزياء وغيرها، وإنما يقصد أنّهُ يتضمن جميع المسائل الّتي تتعلق بعلم الطب، وكذلك هُنا، فليس من هدف القرآن بيان المسائل الطبيّة، والفيزيائية، و. . . حتى يشمل جميع المعادلات والمسائل الجزئية للعلوم، بل تبيان كل شيء متعلق بهداية البشر[2]، وحتى الإشارات العلميَّة، فإنها تصب في الهدف الأصلي نفسه للقرآن.

ثانياً: ظهور هذهِ الآية والآيات الأُخرى تكذّب هذا الفهم، فنحن نعلم بالبداهة، أنّ جميع العلوم والمعادلات لا توجد في القرآن، ولهذا فقد أنكر بعض المفسرين هذا الظهور[3][4]، الذي يوهم وجود جميع العلوم.

---

(1) سورة النحل: الآية 89.

(2) الأُمور المتعلقة بهداية البشر غالباً ما تأتي بصورة كليّة، وتتعهد السنّة ببيان الجزئيات.

(3) راجع: **المنار**، ج7، ص395؛ الطنطاوي، **الجواهر**، ج8، ص130؛ **الميزان**، ج14، ص325؛ **نمونه**، ج11، ص381.

(4) جاء بحث هذهِ الآية، والآيات المشابهة (سورة الأنعام: 38، 59) والروايات المُتعلقة بها في كتاب **درآمدي بر تفسير علمي قرآن**، ص161 ـ 178 وبصورة مُفصلة.

5 ـ يعتبر الدليل الأوّل والثاني من أقوى الأدلّة، لإثبات ضرورة التفسير العلمي، ولكن، ليس بمعنى الاستغناء عن باقي المناهج، فكما نستخدم القرائن العقلية والنقلية في التفسير، فكذلك يمكن الاستفادة من القرائن العلمية.

6 ـ الدليل الثالث لا يمكن اعتباره دليلاً مستقلاً؛ لأنّهُ نتيجة الأوّل والثاني.

ب ـ أدلّة المعارضين

استند القائلون بعدم ضرورة التفسير العلمي، وعدم جدواه، إلى الأدلّة التالية:

1 ـ القرآن لم ينزل من أجل بيان مسائل العلوم، بل هو مُختص بالأحكام والمسائل التعبديّة، والآيات ظاهرة في ذلك، فالآيات: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[1]، و﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[2] المقصود منهما هو المسائل التعبدية، ومعنى الكتاب في الآية الثانية هو اللوح المحفوظ[3].

2 ـ يعتبر وجود جميع العلوم في القرآن من المسائل المهمة. ولا بدّ من الإشارة إليها من قبل الصحابة والتابعين إنْ صحَّت، وبما أنّهم لَمْ يدّعوا ذلك، فيثبت بطلان هذهِ الدعوى[4].

---

(1) سورة النحل: الآية 89.

(2) سورة الأنعام: الآية 38.

(3) ذكر الشاطبي والذهبي هذا الدليل؛ انظر: **الموافقات**، ج2، ص69 ـ 76؛ الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج2، ص489.

(4) المصدر نفسه، 488.

3 ـ من أهم الأدلّة على ردَّ التفسير العلمي، هو أنّ العلوم التجريبية غير قطعية، والنظريات غير ثابتة؛ فليس من الصحيح تفسير القرآن بها؛ لأنّها في تغيّر مُستمر، وهو ما يؤدّي إلى شك الناس في القرآن. فعندما قام بعض المفسرين بتطبيق القرآن على «الأفلاك التسعة» في الهيئة (البطليموسية) القديمة ثم تبيَّن خطأها بعد مدة من الزمن، ظنّ بعضهم أنّ القرآن يتعارض مع النظريات الفلكية الجديدة (الكوبرنيكيّة)، التي وقع الخصام بسببها في العصور الوسطى في الغرب بين علماء الطبيعة والقساوسة في مسألة التعارض بين العلم والدين، وأدّىٰ إلى نشوء المدارس الإلحاديّة، وبالتالي عدم تكرار هذه التجربة، لأنها تؤدي إلى نفس النتائج[1].

4 ـ يؤدّي التفسير العلمي في بعض الموارد إلى التفسير بالرأي المنهي عنهُ في الروايات، وذلك بسبب:

أ ـ فقدان التخصّص الكافي للأشخاص الذين يتصدون للتفسير، وعدم تَوفُّر الشروط الّتي لا بد من توفرها في المفسّر.

ب ـ يسعىٰ بعض الأشخاص وبالاستفادة من آيات القرآن إلىٰ ترويج نظرياتهم الخاصة، الّتي ربّما تكون إلحادية، وهذا ما يُعتبر أحد مصاديق التفسير بالرأي. فهناك من قام بتأويل آيات القرآن، وتطبيق الحقائق الغيبية القرآنية على الأُمور الماديّة، فقال مثلاً: إنّ المراد بالملائكة في القرآن هو الميكروبات الّتي كشف عنها العلم مؤخراً[2]،

---

(1) راجع: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج2، ص491 ـ 494.

(2) **دروس سنن الكائنات**، ص451 نقلاً عن: أحمد عمر أبو حجر، **التفسير العلمي في الميزان**، ص228.

وفي موضع آخر قام بعض الكتاب بتطبيق الآيات الّتي تتحدث عن قابيل وهابيل على المجتمع الشيوعي والإقطاعي، حتى تتماشىٰ مع النظرية الماركسية[1].

5 ـ يؤدي هذا النوع من التفسير إلى النزعة المادية (أصالة المادة ونفي وجود الله)؛ لأنّ بعض الجماعات المنحرفة، وبالاستفادة من هذا التفسير، تقوم بتسويق أفكارها الانحرافيّة، وجذب بعض الشباب البسطاء إلى الإلحاد، فالتفسير العلمي جِسرٌ بين الكفر والإسلام.

6 ـ من نتائج هذا التفسير، التأويل الفاسد؛ لأنَّ أصحابه يتجاوزون ظواهر الألفاظ، ويأوّلون الآيات بما يتناسب مع آرائهم ونظرياتهم، حتى يمكنهم نسبة هذهِ النظريات والآراء إلى القرآن[2]. ومن التأويلات الطريفة في هذا الشأن، قيام بعض المؤلفين بوضع كتاب حول نظرية التطور، للعالم الطبيعي «داروين»[3] فذكر جميع الآيات الّتي تؤيد هذهِ النظرية، وأوَّلَ جميع الآيات الّتي تخالفها، ومن جانب آخر، قام بعض الرافضين لهذه النظرية بعكس هذا العمل، فذكر

---

(1) مكارم الشيرازي، **تفسير به رأي**، ص78.

(2) تعتبر هذهِ التأويلات غير جائزة، وتحميلاً على القرآن، ونوعاً من التفسير بالرأي.

(3) تشارلز داروين (1809 ـ 1882م) عالم الطبيعة الإنكليزي، درس الطب والعلوم، وشغف بالتاريخ الطبيعي. وضع نظريتهُ المعروفة في التطور، والتي عُرفت باسم «الداروينية»، والّتي نشرها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي في كتابيه أصل الأنواع ـ 1859م وأصل الإنسان 1871م) وقد ظلّت هذهِ النظرية موضع نقد وتحوير، وإضافة وحذف مع كل تقدم علمي. (الموسوعة العربية الميسرة، ص529 ـ 774) «المترجم».

جميع الآيات المخالفة، وأوَّلَ الآيات المؤيّدة لنظرية التطور[1]. وقد ذكرنا نماذج من هذهِ التأويلات في البحوث السابقة، مثل: العرش والكرسيّ، وتطبيقه على الفَلَكَ الثامن والتاسع، وتأويل قصة إبراهيم التي قيل إن المراد منها، هو حياة وموت المجتمع[2]. ولعلَّ مقصود العلاَّمة الطباطبائي من إطلاق كلمة «التطبيق» على التفسير، هو هذا النوع من التحميل والتأويل لآيات القرآن[3].

7 ـ لا توجد ضابطة خاصّة للتفسير العلمي، لأنّه أمر ذوقيّ؛ فكلّ شخص يستطيع أنْ يُفسِّر القرآن طبْقاً لذوقه.

8 ـ إنّ استخدام التفسير العلمي، وذكر مسائل علمية كثيرة خلال هذا التفسير، يؤدّيان إلى ضياع الهدف الأصلي للقرآن، وهو التزكية والهداية، كما حدث في تفسير الطنطاوي، وبعبارة أُخرى، إنّ التفسير العلمي يؤدي إلى سوء الظن بالقرآن ووظيفته، ويُظَنّ (القرآن) أنَّهُ جاء لبيان المسائل العلميَّة[4].

9 ـ القرآن كتاب هداية ونور وبيان، واستخدام التفسير العلمي يعني الاحتياج إلى الغير في تفسيره. فبدلاً من أن يكون نوراً وهداية، فإنَّهُ سوف يكون تابعاً إلى الآخر في الهداية والبيان، وهذا الآخر الذي هو محل الاختلاف، لا يمكن أن يكون

---

(1) للاطلاع أكثر راجع: مسيح مهاجري، **نظرية تكامل أزديدگاه قرآن**؛ الأستاذ مشكيني، **تكامل در قرآن**؛ الدكتور يد الله سحابي، **خلقت إنسان در بيان قرآن**.

(2) راجع نظريات ابن سينا، والمجلسي ورشيد رضا في بحث الآراء حول التفسير العلمي.

(3) **الميزان**، ج1، ص6.

(4) **في ظلال القرآن**، ج1، ص261 ـ 263 (بتصرف).

ملجأً ووسيلة للنجاة عند الاختلاف؛ ولهذا فلا يمكن أن يكون مصدر هداية.

10 ـ التفسير العلمي يؤدّي إلى أنْ تصبح الحقائق القرآنية مجازاً، وهذا يعني ضياع معانيه الأصليَّة (عدم تفسير القرآن على أساس لُغة العرب)؛ وعندئذٍ لا يمكن أنْ يكون هذا التفسير صحيحاً. يقول الدكتور الذهبي في هذا الشأن: التفسير العلمي ليس معقولاً من الناحية اللغويّة، وذلك أن الألفاظ اللغوية لم تقف عند معنىً واحد من لدن استعمالها إلىٰ اليوم، بل تدرجت حياة الألفاظ وتدرجت دلالالتها، فكان لكثير من الألفاظ دلالات مختلفة، فهل يُعقل أن نتوسع في فهم ألفاظ القرآن ونجعلها تدلُ على معان جدت باصطلاح حادث. ولم تعرف للعرب الذين نزل القرآن عليهم؟ وهل يعقل أنّ الله تعالى إنّما أراد بهذِهِ الألفاظ القرآنية هذِهِ المعاني الّتي حدثت بعد نزول القرآن بأجيال... إنّ هذا الأمر لا يعقلهُ إلاّ من سفّه نفسه وأنكر عقلهُ[1].

11 ـ إنّ الاعتقاد بالتفسير العلمي يؤدّي إلى إنكار بلاغة القرآن؛ لأنّ البلاغة هي مُطابقة الكلام لمُقتضى الحال. فإذا قلنا بالتفسير العلمي، فهذا يعني أنّ الله يُخاطب أقواماً بكلام لا يفهمونهُ، ويجهلون معناه، ولم يُراع حال المخاطَب ومستواه الفكري، وهو إنكار لبلاغة القرآن[2].

12 ـ هُناك طرق كثيرة لإثبات إعجاز القرآن؛ فلا بدّ من صرف النظر عن هذِهِ الطريقة، مع كل تلك النتائج السلبيّة[3].

---

(1) التفسير والمفسرون، ج2، ص491 ـ 494 «بتصرف».

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

13 ـ إنّ التفسير العلمي يتنافى مع الإعجاز القرآني وتحدّيه للعرب؛ لأنّ المُخاطبين بالقرآن هم العرب، حيث إن أكثرهم لا يقرأون ولا يكتبون، فإذا قلنا إنّ القرآن جاء لبيان المسائل العلمية، فإنّ من المسلّم به أنّ المخاطبين يعجزون عن الإتيان بمثل هذه المسائل لجهلهم بها، وهذا ما يبطل التحدّي، لأنّهم لو كانوا يملكون وسائل التقدم العلمي فقد يأتون بمثل القرآن. فأصحاب هذا الرأي أرادوا أنْ يثبتوا إعجاز القرآن، ولم يشعروا بأن عملهم هذا يؤدي إلى إبطال تحدّيه.

مُناقشة أدلّة المُخالفين للتفسير العلمي

1 ـ بالنسبة إلى الدليل الأول نقول: إنَّهُ لا توجد منافاة بين أن يكون القرآن جاء لبيان مسائل الأحكام والأُمور الأُخروية، وكونه يحتوي على بعض المطالب العلمية الّتي اكتشفها العلم مؤخراً؛ بل إنّ ذلك دليل عظمة القرآن.

نعم، ليس الهدف الأصلي للقرآن، هو بيان العلوم، وذكر المعادلات الفيزيائية والكيميائية، وأمثال ذلك، ولكن يمكن أنْ يُقال إن القرآن يتضمن إشارات علمية استفاد منها في طول الأهداف التربوية، وثانياً: إذا جاء القرآن لبيان أحكام الآخرة فقط، فما هي فائدة ذكر الأمثلة العلمية؟ ألا تعتبر جزءاً من القرآن؟ وهل تحتاج إلى تفسير؟

أمّا بالنسبة إلى رأي الشاطبي حول عدم صحة استخراج كل العلوم من القرآن (قسم خاص من التفسير العلمي)، فإنَّهُ يُعتبر رأياً صحيحاً، ونحنُ نوافقه عليه.

2 ـ الدليل الثالث الذي يؤكد على وجود جميع العلوم في القرآن، ويمكن استخراجها منهُ مردود، وينظر إلى قسم خاص من أقسام التفسير العلمي (استخراج العلوم من القرآن).

3 ـ الدليل الثالث يصدق في بعض الموارد، وذلك إذا قمنا بتفسير القرآن طبقاً للنظريات العلمية غير الثابتة؛ لأنَّهُ يؤدّي إلى التعارض بين الدين والعلم، وبالتالي تزلزل عقائد الناس. أمّا إذا فسّرنا القرآن استناداً إلى حقائق العلوم فسوف يرتفع هذا الإشكال.

4 ـ الدليل الرابع والخامس يصدق بصورة جزئية أيضاً في ما إذا تورط بعض الأفراد في التفسير بالرأي، بسوء أو بحسن نية، أو عندما يُسيء أحد الأشخاص استخدام هذهِ الطريقة في التفسير، ولكن التفسير العلمي ليس هكذا دائماً، فإذا ما توفرت الشروط في أحد المفسرين وقام بتفسير ظاهر الآية الموافق مع المطلب العلمي القطعي، طبقاً للضوابط فإن ذلك يُساهم في توضيح مفهوم الآية، ولا يكون تفسيراً بالرأي. وبعبارة أُخرىٰ، إن هذا الإشكال يرجع إلى المُفسِّر، وليس إلىٰ المنهج التفسيري، أي إنه من الممكن أن يُبتلىٰ بالتفسير بالرأي أصحاب المنهج الروائي، أو تفسير القرآن بالقرآن، ولكن هذا الأمر يثبت خطأ المفسِّر، لا إدانة المنهج التفسيري.

5 ـ الدليل السادس يصدق بصورة جزئية كذلك في ما إذا قام بعض الأفراد بتأويل آيات القرآن من دون قرينة عقلية، أو نقلية، لترويج أفكارهم وتحميلها على القرآن. ولكن التفسير العلمي لا يؤدّي إلى التأويل الفاسد في كل الأحوال، فإنّ استخدام القرائن العلمية القطعية لا إشكال فيه فحسب، بل إنَّهُ يؤدّي إلى فهم القرآن فهماً صحيحاً، كما يكون التأويل صحيحاً باستخدام القرينة القطعيَّة[1].

(1) لمعرفة معاني التأويل وجوازه وعدم جوازه، انظر: الشيخ معرفة، **التفسير والمفسرون**؛ وللكاتب، **در آمدي بر تفسير علمي قرآن**، مبحث التأويل.

6 ـ الدليل السابع ليس صحيحاً أيضاً؛ لأنّ التفسير العلمي ليس أمراً ذوقياً، بل لهُ معايير وضوابط لا بدّ من توفرها لكي يكون مقبولاً، وإنّ الإقدام على التفسير بعد توفر الشرائط، هو أحد طرق التفسير الّتي يمكن أن تُبيِّن وتوضّح معاني ومقاصد القرآن.

7 ـ أمّا بالنسبة إلى الدليل الثامن المتعلّق بإفراط البعض في استخدام العلوم في التفسير وغفلتهم عن أهداف الهداية والتربية (الطنطاوي مثلاً)، نقول: إنّ هذا يرجع إلى المُفسِّر أيضاً، ولا ينسحب على منهج التفسير، إذ من الممكن بجانب تبيين هذهِ الأهداف، ذكرُ بعض المسائل والمطالب العلمية بصورة معتدلة.

8 ـ الدليل التاسع ليس كافياً في ردّ هذا التفسير؛ لأنَّهُ لا يوجد تنافٍ بين أن يكون القرآن نوراً وبياناً وهداية، وبين الاستعانة ببعض المسائل العلمية المختلفة كالنحو، والصرف، والأُصول ونتائج العلوم التجريبية. فحقيقة القرآن أنَّهُ واضح في نفسه، ونور، وبيان، ولكن يمكن الاستعانة بالعلوم المختلفة، لتكميل فهمنا للقرآن، وسد نقصنا فيه، وعلىٰ هذا، فنحن نستعين بالعلوم لفهم القرآن، والقرآن لا يحتاج إلى شيء.

9 ـ الدليل العاشر يصدق على بعض أنواع التفسير، كاستخراج العلوم من القرآن، وتطبيق العلوم على القرآن، كما صنع عبد الرزاق نوفل في تفسير النفس الواحدة والبروتون، وأخرج الآية عن معناها الظاهري واللغوي، وهذا الشيء لا يصدق على استخدام العلوم في فهم القرآن؛ أي عندما نقول إنّ معنى العَمَد في الآية: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾[1] هو المعنى

---

(1) سورة الرعد: الآية 2.

الظاهر، وإنّ قوة الجاذبية أحد مصاديقها، وكذلك تفسير معنى «الزوجيَّة» بالكشوف العلمية الجديدة، والابتعاد عن اعتبارها مجازاً، فلا شك في عدم وجود مشكلة في ذلك.

10 ـ أمّا بالنسبة إلى الدليل الحادي عشر فيمكن القول إنَّ القرآن لم ينزل لجيل خاص، بل إنّ كشف معانٍ ومصاديق جديدة للقرآن بمرور الزمن يكون دليلاً على عظمة القرآن وبلاغته؛ حيث إن كل شخص وكل جيل، يأخذ من القرآن بمقدار علمه وفهمه، ولكن يجب فهم ألفاظ القرآن على أساس لُغة العرب، إضافة إلى ذلك، فإنّ العرب في صدر الإسلام لم يكونوا يفهمون جميع آيات القرآن ومعانيه السامية، أَلَمْ يأتِ في الخبر أنّ أُناساً في آخر الزمان سوف يختصّون بفهم الآيات الأُولىٰ من سورة الحديد وسورة التوحيد؟ أَلَمْ يكن الصحابة يسألون الرسول (ص) وابن عباس عن تفسير بعض الألفاظ والآيات القرآنية؟

11 ـ وحول الدليل الثاني عشر نقول: إنَّهُ لا يوجد مانع من استحداث طريق آخر لإثبات إعجاز القرآن، بالإضافة إلى الطرق الأُخرى، ولا يوجد إشكال في ظهور أبعاد أُخرى للإعجاز مع تقدم العلم والمعرفة.

12 ـ أمّا بالنسبة إلى الدليل الأخير، فإنّه أشبه ما يكون بالمغالطة؛ لأنّ الإعجاز العلمي ما زال موجوداً حتى هذه الساعة، حيث وصل الإنسان إلى أقصى درجات التطور العلمي، ومع ذلك لم يستطع أيّ شخص أن يأتي بمثل القرآن. وثانياً إنّ جهل الناس بالعلوم القطعية لا يبطل الإعجاز العلمي، بل يكون دليلاً على إعجاز القرآن؛ لأنّ النبي (ص) جاء بمثل هذهِ العلوم الّتي يجهلها حتى العلماء في العصر الحاضر، وكلما تقدم العلم تتضح هذهِ المسائل العلمية في القرآن أكثر من ذي قبل.

النتيجة

يتبين ممّا تقدم أنّ جميع الأدلّة على إبطال التفسير العلمي، ترجع أمّا إلى رفض نوع خاص من أنواع التفسير، مثل: استخراج العلوم وتطبيقها على القرآن، أو من خلال سوء استفادة البعض من هذا المنهج في سبيل ترويج أفكارهم الخاصّة، والوقوع في التفسير بالرأي الذي ورد الروايات في المنع عنه، وهذا الإشكال يمكن أنْ يرجع إلى جميع المناهج التفسيرية وليس إلى التفسير العلمي فقط.

ج - أدلّة القائلين بالتفصيل

يرىٰ كثيرون من مُفسّري السُّنة والشيعة (وخصوصاً المتأخرين منهم)، التفصيلَ بين أشكال التفسير العلمي؛ لأنّ لهُ أقساماً وأنواعاً مُختلفة، بعضها صحيح ومُعتبر، والآخر غير صحيح وغير مُعتبر، ونحن نسعىٰ هُنا إلى إدغام هذهِ الآراء مع أدلّتها، وإيجاد التناسق في ما بينها:

1 - التفصيل بين التطبيق وغيره

رفض بعض المفسرين طريقة التطبيق، الّتي تعني انتخاب الآيات الّتي توافق رأي المُفسر، وتأويل الآيات المُخالفة، وهو ما يؤدّي إلى التفسير بالرأي. وأمّا إذا كان ظاهر الآية موافقاً للمسلمات العلمية فلا إشكال في ذلك، ويمكن نسبة هذا الرأي للسيد الطباطبائي[1]، والأستاذ مصباح اليزدي[2] والأستاذ السُبحاني[3].

---

(1) راجع: **الميزان**، ج1، ص7 - 8.

(2) آية الله مصباح، **معارف القرآن**، ص229.

(3) آية الله السبحاني، **تفسير صحيح آيات مُشكل قرآن**، تنظيم سيد هادي الخسر وشاهي، ص315.

2 ـ التفصيل بين استخدام العلوم القطعيّة وغير القطعيّة

في هذه الرؤية يمكن الاستفادة من العلوم القطعية، إذا كانت موافقة لظاهر الآية، أمّا إذا كانت العلوم غير قطعية كالنظريات غير الثابتة، والّتي يمكن أن تتغير بمرور الزمن، فلا بدّ من الابتعاد عنها في التفسير، لأنها تؤدّي إلى تشكيك الناس بالقرآن، ونستطيع أن نعتبر الأستاذ آية الله مكارم الشيرازي من أصحاب هذا الرأي؛ فقد استخدم هذا الرأي عدّة مرّات في تفسير نمونه[1] وأوصى به[2] في كتاب قرآن وآخرين پيامبر، فقال: توجد هنا آراء مُختلفة؛ فقد أفرط بعضهم في تطبيق النظريات العلمية على القرآن، وكانوا يظنّون أنَّهم يُقدّمون خدمة كبيرة للقرآن، فإنّ تطبيق النظريات العلمية غير الثابتة على القرآن اشتباه كبير، لا يؤدّي خدمة لا إلى القرآن، ولا إلى العلم، فإذا قمنا بتطبيق نظرية «بلاس» في نشوء المنظومة الشمسيّة على القرآن، فإن هذا يعتبر أمراً خاطئاً؛ فماذا نفعل إذا جاء يوم تبيَّن فيه خطأ هذهِ النظرية؟ (كما حدث مع الكثير من الفرضيات العلمية). وهناك من سلك طريق التفريط والتعصّب والجمود، فكان يعتقد بأنَّهُ لا يحق لنا تطبيق النظريات العلمية مهما كانت قطعية ومسلّمة، فأيُّ إشكال يرد على تطبيق العلوم القطعية على القرآن، كدوران الأرض حول نفسها، أو دوران الأرض حول الشمس، وكذا الزوجية والتلقيح في عالم النباتات وأمثالها و... خصوصاً إذا كانت الآيات صريحة في هذا الأمر، وهو ما يدلّ على عظمة هذا الكتاب الإلهي، ومن هنا تتبيّن حدود ومقدار التطبيق الجائز، وغير الجائز»[3]، ويُعتبر الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني من أنصار هذا الرأي كما جاء

(1) **تفسير نمونه**، ج1، ص131؛ ج11، ص410؛ ج12، ص275 و...

(2) **قرآن وآخرين پيامبر**، ص147، فما بعد.

(3) المصدر نفسه.

في كتابه *به سوى آفريدگار* (نحو الله)[1].

3 ـ التفصيل بين النسبة الاحتمالية والقطعيّة

يقول أصحاب هذا الرأي: إنّ العلوم التجريبيّة لا يمكن أنْ تكون قطعية؛ لأنّها استُنتِجت بالاستقراء الناقص، وحيثُ إنه ثبت في فلسفة العلم أنّ القطع في العلوم التجريبية لا يمكن أنْ يورث اليقين بالمعنى الأخص (الاطمئنان المطابق للواقع)، ولكنه يورث القطع الذاتي، ولذلك فلا يحقّ لنا نسبة هذهِ العلوم إلى الحقائق القطعيّة للقرآن، ونقول إنَّ القرآن يؤكد هذا الأمر حتماً، لأَنَّهُ من التفسير بالرأي، ولكن يمكن نسبة هذا المطلب إلى القرآن بصورة احتمالية، فإذا ما نسب أحدُ الأشخاص شيئاً ما إلى القرآن بصورة قطعيّة، فهو يُعتبر نوعاً من التحميل غير الجائز؛ لأَنَّهُ تطبيق وتفسير بالرأي؛ فلا بدّ إذن من عرض العلوم على القرآن، وليس العكس. ويمكن اعتبار آية الله الأستاذ محمد هادي معرفة من أنصار هذا الرأي. ولبيان هذا الأمر بصورة أكثر وضوحاً نقول: لقد توصّلنا بعد دراسة مبادئ قوانين العلوم التجريبيّة إلى أنّها قابلة للإبطال فقط، ولا يمكن أنْ تورث اليقين بالمعنىٰ الأخص (الاطمئنان المُطابق للواقع) في حين أنّ الوحي في نظر المؤمنين هو المُبيِّن لحقائق العالم، وهو مُنزّه عن كل اشتباه وخطأ.

4 ـ التفصيل بين تحميل النظريات على القرآن واستخدام العلوم في فهم القرآن

ذكر سيد قطب (1906 ـ 1966م) هذا الرأي، وقال: لأنّ المسائل العلمية صغيرة مُطلقة، وهي في معرض التغيير، فلا يمكن

---

(1) لطف الله الصافي، **به سوى آفريدگار**، ص85.

نسبتها إلى الحقائق القرآنية المُطلقة، ولكن يمكن الاستفادة من النظريات والحقائق العلمية من أجل فهم مداليل القرآن[1]، وقد ذكر أمثلة لكلا النوعين من التفسير.

5 ـ التفصيل بين التفسير الإفراطي وغير الإفراطي

قسّم الأستاذ رفيعي التفسير العلمي إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ استخدام العلوم في فهم القرآن.

2 ـ تحميل المطالب العلمية على القرآن.

3 ـ استخراج العلوم من القرآن[2].

ثم ذكر تقسيماً آخر، وهو التفسير الإفراطي، والتفسير المعتدل، وضَربَ أمثلة لكل نوع منها[3].

المُناقشة

أعتقدُ أنَّهُ لا يمكن الاستغناء عن أيّ نوع من الأنواع المذكورة، فكلّ من الأقسام المذكورة مكمّلة للأخرىٰ، وعدم الانتباه إلى هذا الأمر يؤدي إلى الوقوع في التفسير بالرأي.

أقسام التفسير العلمي من جهة الشكل والطريقة

ينقسم التفسير العلمي إلى أقسام وفروع مختلفة، بعضها يُعتبر من أنواع التفسير بالرأي، وبعضها الآخر يُعد من التفسير المُعتبر، ولذلك اختلف العلماء حول التفسير العلمي، تبعاً لأنواعه، فاعتبره

---

(1) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص260 وما بعدها، بتلخيص وتصرف.

(2) هذا ما اخترناه في كتاب **در آمدي بر تفسير علمي قرآن**، وسوف نتعرض لها في ما بعد بصورة مُفصّلة.

(3) **تفسير علمى قرآن**، ج1، ص145 ـ 146.

أصحاب الرأي الأوّل من التأويل الفاسد، وقَبِله الآخرون، واعتبروه أحد الطرق لإثبات حقانيّة القرآن، وسوف نتعرّض هنا إلى هذهِ الأقسام الفرعية بصورة مُفصّلة:

أ ـ استخراج كل العلوم من القرآن

سعى بعض القدماء المتبنين لهذا الرأي، (مثل: ابن أبي الفضل المرسي، والغزالي و...) إلى استخراج جميع العلوم من القرآن؛ لأنهم يعتقدون بأن القرآن مشتمل على جميع العلوم، فهم يذكرون الآيات الّتي توافق ـ ظاهراً ـ القوانين العلمية، ويأوّلون الآيات الّتي لا تتوافق معها؛ ولهذا حاولوا استخراج علم الهندسة، والحساب، والطب، والهيئة، والجبر والمُقابلة... من القرآن؛ فمثلاً: قالوا إنّ الآية: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1] تشير إلى علم الطب[2]، وإنّ الحروف المقطّعة في القرآن يمكن الاستفادة منها في استخراج علم الجبر[3]، وتنبأوا[4] بحدوث الزلزال في سنة 702هـ، استناداً إلى الآية ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، ومن الواضح أنّ هذا النوع من التفسير يؤدي إلى التأويل الفاسد، وذلك بالابتعاد عن ظواهر القرآن ومعانيه اللغوية، ولهذا السبب اعتبره كثيرون من المعارضين للتفسير العلمي لوناً من ألوان المجاز والتأويل غير الصحيح[5]. وقد ناقشنا هذا الرأي سابقاً، وقلنا إنّ هذا الكلام يفتقر إلى المبادئ الصحيحة، وقد أيّدنا الرافضين له.

---

(1) سورة الشعراء: الآية 80.

(2) أبو حامد الغزالي، **جواهر القرآن**، الفصل الخامس، ص27.

(3) **التفسير والمفسرون**، ج2، ص481، نقلاً عن ابن أبي الفضل المرسي.

(4) **البرهان في علوم القرآن**، ج2، ص181 ـ 182.

(5) راجع: **التفسير والمفسرون**، ج2، ص454 ـ 495.

ب ـ تطبيق النظريات العلمية على القرآن

انتشر هذا النوع من التفسير في القرن الأخير، وقد حاول أصحابه أنْ يُطِبّقوا الآيات على آرائهم في بعض القوانين والنظريات العلمية المسلَّمة عندهم، ويأولوا الآيات المخالفة، فقد جاء في تفسير الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1] أنّ المراد بالنفس هو البروتون والإلكترون، فيكون معنىٰ الآية حينئذٍ أنّ جميع الأشياء في الكون والحياة مخلوق من هذه الأجزاء السالبة والموجبة، ولم يُراعِ هذا التفسير حتىٰ المعنىٰ اللغوي والاصطلاحي لكلمة النفس[2]، وقد انتشر هذا النوع من التفسير في مصر وإيران، وأدّىٰ ببعض العلماء إلى أنْ ينظروا بسلبية إلى مطلق التفسير العلمي، واعتبروه من التفسير بالرأي، كما اعتبره العلامة الطباطبائي نوعاً من التطبيق[3]، وهو الحقّ؛ لأنّ المُفسّر لا بدّ أنْ يبتعد عن كل رأي مُسْبَق عند التفسير، حتى يمكنهُ أنْ يصل إلى نتائج صحيحة، وإلاّ فإنّه يؤدي إلى تحميل القرآن بعض النظريات المنتقاة من قبل المُفسر، وهي خطوة للوقوع في التفسير بالرأي الذي وعدت الروايات بأشد العذاب للذين يُمارسونه.

ج ـ استخدام العلوم لفهم وتبيين القرآن

في هذهِ الطريقة من التفسير لا بدّ من مراعاة الضوابط والشروط الّتي يلزم توفرها في المُفسِّر، فهو يسعى وبالاستفادة من العلوم القطعية (المؤيَّدة بالدليل النقلي)، والظواهر القرآنية (طبقاً لمعناها اللغوي) الموافقة للعلوم، إلى اكتشاف المعنىٰ المجهول للآية، وتقديمه للإنسان. وهذهِ الطريقة تُعدّ من أفضل الطرق؛ بل

---

(1) سورة الأعراف: الآية 189.

(2) عبد الرزاق نوفل، **القرآن والعلم الحديث**، 156.

(3) راجع: مقدمة تفسير الميزان، ج1، ص6 وما بعدها.

هي الطريقة الوحيدة الصحيحة في التفسير العلمي. وسوف نتعرض مُفصّلاً لضوابط هذا النوع من التفسير. ونؤكد هُنا ضرورة الابتعاد عن أيّ نوع من أنواع التفسير بالرأي، ولا بدّ من نسبة العلوم بصورة احتمالية إلى القرآن؛ لأنّ العلوم التجريبية ـ كما قلنا سابقاً ـ ليست قطعية بالقطع الموضوعي المُطابق للواقع، باعتبارها مُستخرجة بالاستقراء الناقص، فمثلاً كان المسلمونِ يفهمون انَّالحركة في الآية ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾[1] هي الحركة الحسّيّة الظاهرة بين المشرق والمغرب، في حين أنّ هذهِ الحركة هي حركة كاذبة لاشتباه حواسّنا في هذا الأمر، وأنّ الذي يتحرك هو الأرض، كما هو الحال عند ركوب القطار، فنرى أنّ البيوت تتحرك خلاف الواقع، ومع تقدم العلوم اتّضحَ أن الشمس تتحرك حركة انتقالية (واقعية)، بل إن جميع المنظومة الشمسية والمجرّات، هي في حالة حركة دائمة[2]. فيكون المقصود من الآية حينئذٍ هي الحركة الموضوعية (الانتقاليَّة)، بالإضافة إلى ذلك، فإنّ القرآن يطلق على حركة الشمس «الجريان»، وهو وصف دقيق للشمس الّتي تتكون من كتلة هائلة من الغازات بسبب الانفجارات النووية[3]، وتجري في الفضاء كجريان الماء، وليس مثل كتلة صلبة، وذلك وفق ما قرّرته النظريات الكونية الجديدة. هذه الطريقة في التفسير هي الطريقة الصحيحة، وهي الّتي تثبت الإعجاز العلمي للقرآن. كما أشار القرآن مثلاً، إلى زوجية النباتات، بل إلى زوجية جميع الموجودات منذ عشرة قرون، قبل أنْ يكتشفها العلم في القرن السابع عشر الميلادي[4].

(1) سورة يس: الآية 38.
(2) إريك ـ أوبلاكر، **فيزيك نوين**، ترجمة بهروز بيضائي، ص45 ـ 48 (فارسي).
(3) المصدر نفسه.
(4) سورة يس، الآية: 36.

ضوابط التفسير العلمي المُعتبر

هناك نوعان من الضوابط للتفسير العلمي: الضوابط العامة الّتي لا بدّ من وجودها في جميع أنواع المناهج التفسيرية، وضوابط خاصّة لا بدّ من توفرها في قسم خاص في المناهج.

أ ـ الضوابط العامة

1 ـ لا بدّ للمُفسّر من الاطلاع علىٰ جملة من العلوم منها: معرفة لُغة العرب، الاطلاع على شأن نزول الآية، معرفة تاريخ النبي (ص) وصدر الإسلام في الحدود المتعلقة بالآية، معرفة علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ، الاطلاع على الأحاديث وأُصول الفقه، معرفة الآراء الفلسفية والعلمية والاجتماعية والأخلاقية، تجنّب تقليد المفسرين، والابتعاد عن أيّ رأي مسبق، وتجنّب التطبيق وحمل الآراء على القرآن، والمعرفة بالتفاسير[1].

2 ـ مراعاة ضوابط التفسير المعتبر، مثل: اتباع الطريقة الصحيحة للتفسير، عدم مُنافاة التفسير مع السنة القطعيَّة، الابتعاد عن التأثر بالأفكار المُسبقة، عدم تعارض التفسير مع الآيات الأُخرىٰ وحكم العقل القطعي، والاستفادة من المصادر الصحيحة في التفسير[2].

3 ـ الابتعاد عن التفسير بالرأي وتقليد بقية المفسرين؛ أي لا بُدّ للمُفسر من أخذ القرائن العقلية والنقلية بنظر الاعتبار، قبل الإقدام على التفسير.

---

(1) راجع: **در آمدي بر تفسير علمي قرآن**، ص53 ـ 74.

(2) المصدر نفسه.

ب ـ الضوابط الخاصة في منهج التفسير العلمي

1 ـ التفسير العلمي بواسطة العلوم التجريبيّة:

سبق أن أوضحنا المقصود من قطعيّة العلوم التجريبيَّة، ونضيفُ هنا:

أوّلاً: يمكن تفسير القرآن على أساس العلوم التجريبيّة، إذا كانت قطعية ويقينية.

ثانياً: يمكن تفسير القرآن بالنظرية العلمية المقبولة عند العلماء، ولكن يجب عدم نسبتها إلى القرآن، نسبة قطعيّة.

ثالثاً: إذا كانت النظرية غير قطعية وغير مقبولة عند العلماء، لا يمكن نسبتها حينئذٍ إلى القرآن، لا بصورة قطعية، ولا بصورة احتمالية[1]؛ لأنّها في معرض التغيير، ولعل معظم إشكالات المُخالفين نابعة من هذا الأمر[2].

---

(1) توجد عدّة احتمالات بالنسبة إلى القضايا العلمية:

أ ـ القضية العلمية الّتي تورث اليقين المطابق للواقع، وذلك إذا كانت التجربة مصحوبة بالاستدلال العقلي (الوصول إلى مرحلة البداهة).

ب ـ القضية الّتي تورث الاطمئنان، ولكنها لا تنفي الاحتمال المخالف، وهي كأكثر القضايا التجريبية.

جـ ـ النظرية العلمية الظنّية الّتي لم تصل إلى مرحلة الثبوت بعد.

أما بالنسبة إلى الحالة الأُولىٰ، فيكون التفسير العلمي جائزاً؛ لأنّهُ لا يوجد تعارض أصلاً بين القرآن والقطع العلمي (الذي يرجع إلى القطع العقلي)، أما بالنسبة إلى الصورة الثانية، فلا إشكال في نسبة العلوم إلى القرآن بصورة احتمالية، حيثُ إنَّ ظاهر الآية ـ مثلاً ـ يؤيد الحركة الانتقالية للشمس؛ الحالة الآية لهذا المعنى، أمّا في الحالة الثالثة، فإنَّ التفسير به غير جائز؛ لأنَّ أكثر الإشكالات الواردة على هذا التفسير، مثل: (تطبيق العلوم على القرآن، واستخراج العلوم من القرآن، وشك الناس بالقرآن) تكون غير مُنتفية.

(2) محتوى هذه الضابطة أورده آية الله مكارم الشيرازي في كتاب: **قرآن وآخرين** =

2 ـ لا بدّ أنْ تكون دلالة ظاهر الآية واضحة بالنسبة إلى المطلب العلمي، خالية من التكلّف. وبعبارة أُخرى، لا بدّ أنْ نتجنب التوجيه غير المُبرّر، والتفسير المُخالف للظاهر[1].

3 ـ الاستفادة من المنهج الصحيح للتفسير؛ أي استخدام العلوم في فهم وتبيين القُرآن، والاجتناب عن كل الأنواع غير الصحيحة، مثل: استخراج العلوم من القرآن، وتحميل النظريات على القرآن.

ملاحظة (1): أوضحنا أقسام التفسير العلمي في المباحث السابقة.

ملاحظة (2): لا بدّ من مراعاة الاحتياط في التفسير العلمي، ولا يجب الجزم بصورة قطعية؛ أيّ لا بدّ للمفسر أنْ يتهم فهمه للقرآن باستمرار، وكذا المقدمات المستخدمة فيه؛ ولا بدّ أَنْ يتكلم بصورة احتمالية، وأنْ يتجنب تطبيق العلوم التجريبية على القرآن بصورة قطعيَّة.

ملاحظة (3): ذكر بعض المتخصصين في علوم القرآن والمفسرين مجموعة من المعايير للتفسير العلمي، هي:

1 ـ لا بدّ من أنْ يكون تفسير الآيات مطابقاً لمعنىٰ النظم القرآني.

2 ـ يجب أنْ لا نضع القرآن في معرض النظريات العلمية المتناقضة.

= **پيامبر**، ص147، ويوجد كذلك في كلمات كثير من القائلين بهذا النوع من التفسير.

(1) عبد الرحمن العك، **أُصول التفسير وقواعده**، ص224؛ عميد الزنجاني، **مباني وروش تفسير قرآن**، ص256.

3 ـ يجب أنْ يتجنب المفسِّر إثبات الإشارات العلمية للقرآن، بواسطة النظريات العلمية.

4 ـ لا بدّ أنْ تكون الآيات القرآنية هي الأصل، والمحور في التفسير، (وليس النظريات العلمية).

5 ـ أنْ يلتزم بالمعاني اللغوية ـ في اللغة العربية ـ للآيات.

6 ـ أنْ لا يُخالف التفسير العلمي المسائل الشرعية.

7 ـ أنْ يكون التفسير مُطابقاً للمفسَّر من غير زيادة ولا نقصان.

8 ـ مُراعاة الوحدة الموضوعية، والتوافق، والتناسب بين الآيات[1].

المُناقشة

بعض المعايير المذكورة هُنا يرجع إلى المعايير الثلاثة المذكورة سابقاً؛ فمثلاً المعايير رقم 1، 4، 7، 8 ترجع إلى المعيار الثاني، وأمّا بالنسبة إلى المعيارين رقم (2) فهو يرجعان إلى المعيار الأوّل. في حين أن المعيار رقم 5، 6 يرجع إلى الشرائط العامة للتفسير.

أما بالنسبة إلى المعيار رقم (3)؛ فإذا كان المقصود به هو النظريات العلمية والفرضيات غير الثابتة، فهو غير صحيح، وأمّا إذا كان المقصود به، العلوم التجريبية القطعيَّة، فيعتبر صحيحاً ومقبولاً.

خلاصة الدرسين الثامن والتاسع

1 ـ اتّضح ممّا سبق أنّ المقصود من «العلم» في التفسير العلمي، هو استخدام العلوم التجريبيّة الّتي تشمل العلوم الطبيعيّة

(1) عبد الرحمن العك، أُصول التفسير وقواعده، ص224.

والإنسانيّة، وأنّ مسائل هذه العلوم لا تتّسم بالقطع إلاّ في موارد محدودة.

2 ـ كانت بداية التفسير العلمي في القرن الرابع الهجري، كردّ فعل على العلوم الّتي تُرجمت من اليونان وبلاد فارس، ودخلت الساحة الفكرية للمسلمين، ثم استمرّت هذهِ الطريقة على شكل استخراج للعلوم من القرآن. وفي القرن الأخير ظهر على شكل تحميل للنظريات العلميَّة وتطبيقها على القرآن. وقد استفاد بعض المفسرين الكبار من استخدام العلوم التجريبيَّة، كمصدر ووسيلة في تفسير القرآن.

3 ـ انتشر التفسير العلمي في القرن الأخير، لأسباب مُتعددة منها: إثبات الإعجاز العلمي للقرآن، والدفاع عنه ضد الهجوم الثقافي الغربي.

4 ـ استدلّ الموافقون على التفسير العلمي بعدّة أدلّة، منها: استخدام العلوم في فهم وبيان الإشارات العلميَّة للآيات، وإثبات الإعجاز العلمي للقرآن، وزيادة إيمان الناس.

واستدل المخالفون بعدة أدلّة، منها: عدم وجود جميع العلوم البشريّة في القرآن، وعدم قطعيّة العلوم التجريبيّة؛ بل هي مجرّد نظريات قابلة للتغيير بمرور الزمن، يؤدي تغيُّرها إلى تزلزل عقائد الناس بالقرآن، فيما إذا فسّرنا القرآن بها، بالإضافة إلى أن التفسير العلمي يؤدي إلى التفسير بالرأي، والتأويل الماديّ غير الصحيح.

5 ـ إنّ هدف القرآن، هو هداية الناس، ولا يتضمّن جميع جزئيات العلوم، ولكنهُ يتضمن إشارات علميّة، يمكن تفسيرها وفهمها، بواسطة العلوم التجريبيّة بصورة أفضل.

6 ـ اتّضح أنّ التفسير العلمي على ثلاثة أقسام هي: استخراج

العلوم من القرآن، تحميل وتطبيق النظريات العلميّة على القرآن، استخدام العلوم في فهم وبيان الإشارات العلميّة لآيات القرآن، وأنّ القسم الصحيح والمعتبر من هذهِ الأقسام، هو القسم الثالث. أمّا القسمان الآخران فليسا بصحيحين، وأنّ معظم إشكالات المُخالفين ترجع إلى هذين القسمين.

7 ـ هُناك من يذهب إلى الرأي القائل بالتفصيل في موارد التفسير العلمي، فبعضهم فصَّل بين العلوم التجريبيّة القطعيّة، والفرضيات غير القطعيّة، أو بين التحميل والتطبيق، والاستفادة من العلوم في فهم أفضل للقرآن. وهُناك من فَصَّل بين نسبة العلوم بصورة قطعيّة، وبين النسبة الاحتماليَّة، وهُناك من قال بعدم الاستغناء عن جميع هذهِ الآراء القائلة بالتفصيل، إذ هي حسب رأيه مكمّلة للأُخرىٰ.

8 ـ معايير التفسير العلمي عبارة عن: الاستفادة من العلوم القطعيّة في التفسير، الاستفادة من الأنواع الصحيحة للتفسير العلمي، وضوح دلالة الآية علىٰ المبحث العلمي، وعدم تحميل الآية على المسألة العلمية (استخدام العلوم في فهم وبيان الآية).

الأسئلة

1 ـ اذكر ثلاثة تعاريف للعلم. وما المقصود من العلم في «التفسير العلمي»؟

2 ـ ما رأي العلماء في فلسفة العلم في النصف الثاني من القرن الأخير، بالنسبة إلى العلوم التجريبيّة؟

3 ـ ما تعريف منهج التفسير العلمي عند آية الله معرفة، والدكتور الذهبي؟ مع النقد.

4 ـ ما أسباب تطور التفسير العلمي في القرن الأخير؟

5 ـ كيف يكون التفسير العلمي للقرآن، عاملاً في تكامل فهمنا للقرآن، وتبيان آيات القرآن؟ وضِّح ذلك، مع ذكر مثال.

6 ـ اذكر ثلاثة آراء قائلة بالتفصيل في التفسير العلمي، وبيِّن كيف يكون أحدها مكمّلاً للآخر؟

7 ـ كيف تردُّ على المعارضين للتفسير العلمي الذين يقولون إنّ هذهِ الطريقة تؤدي إلى التأويل، والتفسير بالرأي؟

8 ـ كيف تردُّ على الذين يستدلّون بالآية: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، على وجود جميع العلوم البشرية في القرآن؟

9 ـ إذا كان الهدف الأساس للقرآن هو هداية الناس، فما هو دور الإشارات العلميَّة في القرآن؟

10 ـ أذكر أقسام التفسير العلمي، وما هو القسم الصحيح منها، ولماذا؟

11 ـ بيِّن المعايير العامّة والخاصّة للتفسير العلمي.

بحوث جديدة

1 ـ ناقش رأي المدرسة الوضعيّة، بالنسبة إلى ماهيَّة العلوم التجريبيَّة.

2 ـ بيِّن مراحل تشكيل النظريَّة العلميّة عند «پوپر» مع المناقشة.

3 ـ ما هو رأي «الشهيد الصدر» بالنسبة إلى الاستقراء في العلوم التجريبيّة؟

4 ـ بيِّن الاختلاف بين القطع الذاتي والقطع الموضوعي.

5 ـ بيِّن العلاقة بين التفسير العلمي، والإعجاز العلمي، بصورة كاملة، مع ذكر الآراء في هذا الصدد.

6 ـ ما تأثير حركة الترجمة (دار الحكمة) في نشوء التفسير العلمي؟ إبحث ذلك.

7 ـ ما دور السيد أحمد خان الهندي، والسيد أمير علي في التفسير العلمي في الهند؟ مع النقد والتحليل.

8 ـ ناقش منهج التفسير العلمي للطنطاوي في الجواهر.

9 ـ ناقش رأي عبد الرزاق نوفل في مجال التفسير العلمي.

10 ـ بيِّن رأي عبد الرحمٰن الكواكبي في مجال التفسير العلمي، مع النقد والتحليل.

11 ـ ناقش التفسير العلمي في القرآن، بالنسبة إلى الآيات التي تتناول المواضيع التالية: زوجيّة النباتات، لقاح السحاب، حرمة الخمر والدّم والميتة، قوة الجاذبيَّة، حركة الأرض والجبال، ومراحل خلق الإنسان. وما هي الأنواع الّتي تثبت الإعجاز العلمي للقرآن؟

12 ـ ما تفسير الآية: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾؟ ناقش دلالتها على الرأي القائل بإمكانية استخراج جميع العلوم من القرآن.

13 ـ بيِّن أقسام علاقة العلم والدين، وتحت أيِّ قسمٍ من هذهِ الأقسام، تكون علاقة القرآن والعلم.

14 ـ ماذا نفعل في حالة التعارض الظاهري بين القرآن، والعلوم التجريبيَّة؟ إبحث ذلك.

مصادر إضافة للمطالعة

1 ـ ***الأسس المنطقيّة للاستقراء***، الشهيد الصدر.

2 ـ ***التمهيد في علوم القرآن***، ج6، آية الله معرفة، مؤسسة النشر الإسلامي.

3 ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الزرقاني، دار الكتب العلميَّة.

4 ـ **أُصول التفسير وقواعده**، عبد الرحمٰن العك، دار النفائس.

5 ـ **مباني وروشهاي تفسيري**، عميد عباس الزنجاني.

6 ـ **تفسير علمى قرآن**، الدكتور ناصر رفيعي محمدّي، منشورات الثقافة العامة، 1379هـ.ش.

7 ـ **تفسير الجواهر**، الطنطاوي.

8 ـ **أولين دانشگاه وآخرين پيامبر**، الدكتور باك نجاد.

9 ـ **معارف قرآن**، الأستاذ مصباح اليزدي.

10 ـ **درآمدي بر تفسير علمي قرآن**، محمد علي الرضائي الأصفهاني، منشورات أسوة.

11 ـ **پژوهشى در إعجاز علمي قرآن**، محمد علي الرضائي الأصفهاني، منشورات الكتاب المُبين.

١٠

منهج التفسير الإشاري (1)

الأهداف التعليميَّة

1 ـ معرفة منهج التفسير الإشاري، وجذوره التاريخية.

2 ـ معرفة الأنواع الفرعية لهذا المنهج، مثل: التفسير الباطني، الرمزي، والشهودي و....

3 ـ الاطلاع علىٰ الآراء وأدلة المؤيِّدين والمعارضين لهذا المنهج.

المقدمة

المنهج الإشاري، هو أحد المناهج القديمة في التفسير، وقد عرف بأسماء متنوعة، مثل: التفسير الباطني، العرفاني، الصوفي، الشهودي، والرمزي، وكل من هذه الأسماء يشير إلى لون خاص من هذا التفسير. وهناك اختلاف كبير في وجهات النظر بين المفسّرين والباحثين، حول هذا المنهج وأنواعه. فهناك من ارتضىٰ بعض أقسامه واستفاد منه، ومنهم من رفضه وعدَّ من التأويل والباطن.

ولتوضيح هذه المسألة وتمييز المنهج الصحيح من غير الصحيح في التفسير الإشاري، لا بدّ من دراسته بصورة دقيقة. وتظهر أهمية دراسة هذا المنهج، من خلال اهتمام أئمة أهل البيت (ع) به، والإشارة إليه في أحاديثهم، وسوف نقوم في هذا الدرس بمناقشة التفسير الإشاري، وأنواعه ومعاييره مع ذكر بعض الأمثلة المتعددة.

المصطلاحات

أ - المنهج.

ب - التفسير.

وقد مر بيانهما.

ج - الإشاري.

1 - الإشارة لغةً هي العلامة والإيماء إلى أمر من الأُمور (من القول أو العمل أو الرأي)[1]. وقد وردت هذهِ الكلمة في القرآن؛ كما في الآية ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾[2]، أي اختيار شيء وإرجاعهم إليه.

2 - الإشارة في الاصطلاح تعني أن يستفاد شيء من الكلام، دون أن يكون موضوعاً له. والإشارة قد تكون حسّية، كما هو الحال في ألفاظ الإشارة مثل هذا، وقد تكون ذهنية كالإشارة إلى المعنىٰ في الكلام؛ بحيث لو أراد التصريح به، للزمه الكثير من الكلام، ثم إن الإشارة قد تكون ظاهرة، وقد تكون

---

(1) أنظر: **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج6، ص149، مادة «شور».

(2) سورة مريم: الآية 29.

خفيَّة[1].

ما المقصود من التفسير الإشاري؟

التفسير الإشاري يطلق على الإشارات الخفيَّة الموجودة في آيات القرآن، والّتي تعتمد على العبور من ظواهر القرآن إلى الأخذ بالباطن؛ أي استخراج وفهم، وتوضيح نكتة من الآية، لا توجد في ظواهر الآية إلا عن طريق دلالة الإشارة.

وبعبارة أُخرىٰ: الإشارة هي الدلالة الالتزامية للكلام[2]. وبسبب تعدد أنواع التفسير الإشاري، كالتفسير الرمزي، العرفاني، الصوفي، الباطني، والشهودي، فقد تنوعت التعاريف تبعاً لذلك، وسوف نأتي على بيانها، ونقدها في المباحث الآتية:

نبذة تاريخية

يرجع تأريخ بعض أقسام التفسير الإشاري، كالتفسير الباطني إلى صدر الإسلام، أي أنَّ جذور هذا المنهج توجد في أقوال وكلام النبي (ص) وأهل البيت (ع)، حيث روي عنهم: أنّ القرآن له ظاهر وباطن[3]. وقد أشارت بعض الأحاديث إلى باطن الآيات[4]، وروي عن الإمام الحسين (ع) والإمام الصادق (ع) في بعض الأحاديث: «إنّ كتاب الله (عز وجلّ) علىٰ أربعة أشياء: على العبارة والإشارة

---

(1) خالد عبد الرحمن العك، **أُصول التفسير وقواعده**، ص205 ـ 206.

(2) المصدر نفسه.

(3) أنظر: **بحار الأنوار**، ج92، ص95؛ **نهج البلاغة**، خ18؛ **كنز العمال**، ج1، ص2461.

(4) سيأتي ذكر بعض هذه الموارد في مبحث أنواع التفسير الإشاري (التفسير الباطني).

واللّطائف والحقائق؛ فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»[1].

وبسبب قبول جميع المسلمين بكون القرآن ذا باطن عميق، ومعانٍ دقيقة، ومشتملاً على الإشارات والكنايات، فقد أصبح الطريق مفتوحاً لهذا النوع من التفاسير، حتى إن ابن عربي كتب: فكما أنّ تنزيل أصل القرآن على النبي (ص)، كان من قبل الله، فإنّ تنزيل فهمه على قلوب المؤمنين، هو من قبل الحق تعالى[2].

وقد اهتم بعض العرفاء والصوفية، ببعض الأنواع من التفسير الإشاري مثل: التفسير الرمزي، والشهودي، والصوفي، والعرفاني فيما بعد، ودوّنوا كتباً عدَّة في هذا المجال، منها:

- ***تفسير التستري***، تأليف محمد بن سهل بن عبد الله التستري (200 ـ 283هـ)؛

- ***كشف الأسرار وعدّة الأبرار*** للميبدي (كان حياً في سنة 520هـ)،

- ***تفسير ابن عربي*** (560 ـ 638هـ).

وقد اعتبر العلاّمة الطباطبائي وآية الله معرفة، أنّ بداية هذا المنهج تعود إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين؛ أي إلى ما بعد ترجمة الكتب الفلسفية اليونانية إلى اللغة العربية[3].

وقد مرَّ هذا المنهج بتطورات كثيرة، وذهب كل مفسّر من

---

(1) **بحار الأنوار**، ج92، ص20، 103؛ ج78، ص278.

(2) **الفتوحات المكية**، ج1، ص279.

(3) **الميزان**، ج1، ص5، 7؛ **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص526، 527.

مفسّري المذاهب الإسلامية والصوفية والعرفاء إلى نوعٍ من أنواع هذا المنهج، ولهذا لا يمكن الحكم على الجميع، بحكمٍ واحد، والنظر إليهم نظرةً مُتساوية؛ لأن هُناك من إفراط ووقع في براثن التفسير بالرأي، وهُناك من راعى المعايير الصحيحة لاكتشاف باطن القرآن.

الآراء

لقد طُرحت آراء مختلفة حول منهج التفسير الإشاري، وتعريفه، وأقسامه، وأشار كل من كتب في هذا الموضوع إلى نوع، أو عدة أنواع من التفسير الإشاري. ونستعرض في ما يلي أهمّ الآراء الّتي قيلت حول هذا المنهج:

رأي الموافقين

أ - الإمام الخميني

يقول الإمام الخميني في هذا المجال: «ومن الحجب الأُخرىٰ، الحائلة دون الاستفادة من هذه الصحيفة الإلٰهية المقدسة، الاعتقاد بعدم تجاوز ما كتبه المفسّرون، أو فهموه من القرآن الكريم، وفي هذا الاعتقاد خلط بين التفكّر والتدبّر في الآيات الكريمة من جهة، وبين التفسير بالرأي المنهيّ عنه من جهة أخرىٰ. وبهذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة يُجرّد القرآن الكريم من كافة فنون الإفادة، ويصبح مهجوراً تماماً، والحال، أنّ الاستفادات الأخلاقية والإيمانية والعرفانية لا ترتبط بالتفسير أساساً، فما بالك بارتباطها بالتفسير بالرأي. . .».

ثم ضرب مثالاً لذلك من الآيات الّتي ذكرت اتّباع موسى (ع) للخضر، واستفادة التوحيد الأفعالي من الآية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾، ثم قال: «إلىٰ غير ذلك من الأُمور المستفادة من معاني الكلام الّتي لا ترتبط بالتفسير بأي وجه، فضلاً عن أن هناك كلاماً في التفسير بالرأي أيضاً، قد لا يكون مرتبطاً بآيات المعارف والعلوم العقليّة الموافقة للموازين البرهانية، والآيات الأخلاقية الّتي يؤدي العقل فيها دوراً معيناً؛ إذ إنَّ هذه التفاسير تطابق البرهان العقلي المتين، أو الاعتبارات العقلية الواضحة، بحيث، لو خالفها ظاهر الآيات لوجب صرف الآيات عن ظواهرها...»[1].

المناقشة

يعتقد الإمام الخميني الاستفادة العرفانية من الآيات ليست من التفسير، بل اعتبر ذلك من لوازم الكلام (قد يكون مقصوده البطون)، ولهذا فقد أشار إلى التفسير العرفاني الباطني الذي يعتمد على الضوابط، والعقل، والذي لا يفضي إلى التفسير بالرأي.

وسوف نشير في نهاية مبحث الأدلة إلى أنّ التفسير الإشاري الباطني يدخل تحت عنوان التفسير.

ب ـ الأستاذ حسن عباس زكي

دافع الأستاذ حسن عباس زكي عن الصوفية، وبرَّر التفسير الإشاري، وفرّق بينه وبين التفسير الباطني البعيد عن ظاهر القرآن، وقال: إن المفسّرين من علماء الشريعة يقفون عند ظاهر اللفظ، أمّا أهل التحقيق أو الصوفية، فإنّهم يقرّون هذا التفسير، ويرونه هو الأصل، ولكنهم لا يقولون إنّ هذا التفسير الظاهري هو المقصود

---

(1) الإمام الخميني، **پرواز در ملكوت**: مطبوع مع آداب الصلاة.

فقط؛ لأنّهُ تحديد لكلام الله غير المحدود، فهناك شيء فوق إدراك العقل، وهو القلب الذي يمتاز بذوق خاص، كالشخص الذي يأكل شيئاً لذيذاً، ولكنهُ لا يستطيع أن يصف ذلك الشيء للآخرين، فلغة القلب لا تحيط بها الألفاظ، وإنما يُعبَّر عنها بالإشارة. فالإشارة ترجمان لما يقع في القلوب من تجلّيات، ومشاهدات قلبية، وتلويح لما يفيضه الله على صفوته، وأحبائه من أسرار كلام الله، وكلام رسوله، ولكن معنى الآيات القرآنية لا يقتصر على هذهِ الإشارات القلبية وتفسير الصوفية، كما يقول الباطنية ويعدّون الشريعة باطلة، ولا يخضعون مقابل نصوص القرآن[1].

المناقشة

إنّ كلامه حول الجمع بين ظاهر القرآن وباطنه مقبول وجيّد، ولكنه لم يبيِّن كيف يمكن القبول بالشهود القلبي على أنّه من باطن القرآن، وما هي الضابطة والمعيار في ذلك. ويظهر أن الإشكال الرئيس الوارد على التفسير العرفاني، الصوفي، الإشاري، الرمزي، والباطني، يكمن في هذه النقطة بالأساس، وهذا ما سنتناوله في المباحث الآتية:

ج - التفتازاني

يُعَدُّ التفتازاني من مؤيِّدي هذا النوع من التفسير الإشاري (الصوفي)، فقد كتب يقول: «أمّا ما يذهب إليه بعض المحقّقين، من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفيّة إلى دقائق

(1) مقدمة تفسير القشيري، ج1، ص4 ـ 6.

تنكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان»[1].

رأي المعارضين للتفسير الإشاري

عميد الزنجاني

خصّص الزنجاني الفصل الثامن من كتابه: ***مباني وروشهاي تفسيري*** لهذا المنهج، وقسّمه إلى ثلاثة أقسام فرعية:

أ - التفسير الرمزي

ذهبت الصوفية والباطنية إلى أنّ الدين حرٌّ من القيود والظواهر الشرعية الجافّة، ولذلك فهم، ومن أجل إثبات آرائهم وتقوية مبانيهم الدينية والمذهبية اهتموا بمسألتين: الأُولى: باطن القرآن، والثانية: الأمثال والكنايات والإشارات الموجودة فيه، واستفادوا من هاتين المسألتين من أجل تأمين مقاصدهم الدينية، حيث قاموا بتبرير تعاليمهم العرفانية والذوقية، ومبانيهم المذهبية على أنها من التفسير الباطني.

ثم عدّ هذا المنهج من التفسير بالرأي، وذكر عدة أمثلة من تفسير ابن عربي[2]، ثم قام بتعريف جماعة «الباطنيّة» فقال: «إن الباطنية هي فرقة من فرق الشيعة تنكر ظواهر القرآن والشرع، ويعتقدون أن المقصود الحقيقي من القرآن هو الباطن، وكل من يتمسّك بظواهر القرآن، فإن مصيره الضلال، وقد اعتبروا ظواهر العبادات والجنة والنار و...، إشارات تحكي عن أسرار المذهب،

---

(1) خالد عبد الرحمن العك، **أُصول التفسير وقواعده**، ص215.

(2) **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص314 ـ 316.

حتى أنَّ أحد أصحاب الإمام الصادق (ع) وهو المفضّل ابن عمر كتب إلى الإمام (ع) يستفتيه في أمر الباطنية، فأجابه (ع) فقال: «كتبت تذكر أن قوماً أنا أعرفهم... وبلغك أنهم يزعمون أن الدين هو معرفة الرجال [أئمة الباطنية] وذكرت أنهم يزعمون أن الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والمشعر الحرام رجال... أُخبرك أنّه من كان يؤمن ويدين بهذه الصفة الّتي سألتني عنها فهو مشرك... وأُخبرك أن هذا القول كان من قومٍ سمعوا ما لم يعقلوه عن أهله»[1].

ب ـ التفسير الإشاري

أطلق بعض الكتاب مصطلح «التفسير الإشاري» على طريقة الصوفية في التفسير، الذين يرون أن ظواهر الآيات تشير إلى المعاني الّتي يقصدونها هم، وقد أخذوا هذا المصطلح من الرواية المشهورة الّتي تشير إلى أنّ الإشارة هي أحد وجوه القرآن[2]، ثم ذكر شروط التفسير الإشاري، وشكّك في دلالة التفسير الإشاري (مع فرض وجود الشرائط)، وذكر مثالاً لذلك[3].

ج ـ التفسير الشهودي

يعتمد التفسير الشهودي أو الإشراقي على مبادئ مدرسة الإشراق، والشهود، وقد وُجِد هذا النوع من التفسير في بعض الكتب والتفاسير. والشهود حالة روحية، وشعور داخلي وشخصي

---

(1) محمد بن الحسن الصفار، **بصائر الدرجات**، ص526؛ مقدمة تفسير البرهان، ص12؛ مباني وروشهاي تفسير قرآن، ص322.

(2) لقد ذكرنا هذه الرواية عن الإمام الحسين (ع)، والإمام الصادق (ع) في المبحث السابق.

(3) مباني وروشهاي تفسير قرآن، ص325، 326.

يظهر نتيجة ممارسة بعض الأفعال، أو الأذكار، أو التأمل في أمرٍ خاص، ويمكن عن طريق بعض مصاديقه الصحيحة الكشف عن بعض الواقع للإنسان. ثم قال: إن المكاشفة هي إحساس شخصي لا يقبل الانتقال إلى الغير، وليس هو حجة على الآخرين. وقال في الختام: إنّ إدراك الحقائق عن طريق المكاشفة والشهود لا يمكن أنْ يكون مصداقاً للتفسير، وإن كان حقاً ومقبولاً؛ لأن صحة التفسير تعتمد اعتماداً أساسياً على الدلالة اللفظية، في حين أن المكاشفة والشهود تعتمدان علىٰ أمر آخر[1].

المناقشة

يبدو أنّ فصل التفسير الإشاري عن التفسير الشهودي والرمزي مفيد، وصحيح مع البيان الذي ذكره، باعتبار أن المقصود من التفسير الرمزي، هو التفسير الصوفي النظري نفسه، والتفسير الشهودي هو الصوفي أو الفيضي، ولكنه لم يستدل بطريقة منهجيَّة على التفريق بين التفسير الإشاري والرمزي مع التوضيحات الّتي ذكرها؛ فهما في الحقيقة اسمان لمسمّىٰ واحد، وعلى كل حال، فهو لا يقبل جميع أقسام التفسير العرفاني والصوفي.

آراء القائلين بالتفصيل

أ - العلاّمة الطباطبائي

أشار العلاّمة الطباطبائي في مقدمة تفسير ***الميزان*** إلىٰ منهج التفسير الصوفي، فقال: «وأمّا المتصوفة فإنهم لاشتغالهم بالسير في باطن الخلقة واعتنائهم بشأن الآيات الأنفسيّة دون عالم الظواهر

---

(1) **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص327، 328 (بتلخيص).

وآياته الآفاقية، اقتصروا في بحثهم على التأويل ورفضوا التنزيل، فاستلزم ذلك اجتراء الناس على التأويل، وتلفيق جمل شعريَّة، والاستدلال من كل شيء على كل شيء، حتى آل الأمر إلى تفسير الآيات بحساب الجمّل، وردّ الكلمات إلى الزبر والبيّنات والحروف النورانيّة والظلمانية وغير ذلك»[1].

ثم انتقد هذه الطريقة فقال: «ومن الواضح أنّ القرآن لم ينزل هدىً للمتصوفة خاصة، ولا أن المخاطبين به هم أصحاب علم الأعداد والأوفاق والحروف، ولا أنّ معارفه مبنيّة على أساس حساب الجمّل الذي وضعه أهل التنجيم، بعد نقل النجوم من اليونانية، وغيرها إلى العربية». وأضاف: «نعم وردت روايات عن النبي (ص) وأئمة أهل البيت (ع) كقولهم: إنّ للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن، أو إلى سبعين بطناً، ولكنهم (ع) اعتبروا الظهر كما اعتبروا البطن، واعتنوا بأمر التنزيل، كما اعتنوا بشأن التأويل»[2].

المناقشة

ذكر العلاّمة عدة أنواع من التفسير الإشاري. الأوّل: تفسير الصوفية الذي يقوم على أساس التأويلات الّتي لا تمتلك أي دليل.

الثاني: التفسير الباطني الصحيح الذي يقوم على أساس الالتفات إلى ظاهر القرآن وباطنه.

ب ـ الشيخ معرفة

قال في مورد التفسير العرفاني (الرمزي والإشاري): «لأهل

---

(1) **الميزان**، ج1، ص7.

(2) المصدر نفسه.

العرفان الباطني تفاسير وضعت على أساس تأويل الظواهر، والأخذ ببواطن التعابير دون دلالاتها الظاهرة، اعتماداً على دلالة الرمز والإشارة في ما اصطلحوا عليه، واستفادة من عرض الكلام وجانبه وليس من صريح اللفظ وصميم صلبه. فقد فرضوا لظواهر التعبير بواطن حملوها حملاً على القرآن، استناداً إلى مجرّد الذوق العرفاني الخاص، وراء الفهم المتعارف العام»[1]. ثم ذكر تاريخ التفسير العرفاني، واعتبره من أنواع التفسير الصوفي، وأشار إلى مسألة التفسير الباطني فقال: «ونحن إذ نستنكر على هؤلاء تأويلاتهم غير المستندة، نرى أنّ للقرآن ظهراً وبطناً، كما جاء في حديث الرسول (ص)، وأسبغنا الكلام عنه، وكان «الظهر» عبارة عن المعاني المستفادة من تنزيل الآية، ومن ظاهر التعبير حسب الأُصول المقرّرة في باب التفهيم والتفهم. وأما «البطن» فهو عبارة عن المفهوم العام المستنبط من فحوىٰ الآية، وتأويلها إلى حيث تنطبق عليه من موارد مشابهة، حسب مرّ الدهور، وللتأويل ضوابط ذكرنا حدودها وشرائطها، وليس حسب الذوق المختلف حسب تنوع السلائق[2].

ثم أشار إلى التفسير الشهودي فقال: «إن التفسير الصوفي لا يعتمد على مقدمات علمية، ولا براهين منطقية، ولا يعلِّله سبب معقول، وإنما هو شيء حَسِبه قد أُفيض عليه، بسبب إشراقات نورية جاءته من محلّ أرفع. إنه يرى من مقامه الصوفي العرفاني أنه قد وصل إلى درجة الكشف والشهود، لتنكشف له المعاني من سجف العبارات، وتظهر له الإشارات القدسيّة، وينهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات القرآنية والسنّة النبوية»[3].

---

(1) **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص526.

(2) المصدر نفسه، ص527.

(3) المصدر نفسه، ص528 (بتلخيص).

ثم ذكر أنواع التفسير الباطني فقال: «قد ينوّع التفسير الصوفي إلىٰ نوعين: نظري وفيضي، حسب تنويع المتصوفة إلى تصوف نظري وعملي، ليكون التصوف النظري مبتنياً على البحث والدراسة. أمّا التصوف العملي فهو الذي يقوم على التقشّف والتزهّد، والتفاني في العبادة (الأذكار والأوراد)»[1].

ثم أرجع جذور التصوف النظري إلى اليونانيين، وتعاليمهم التي تبتعد عن روح القرآن، فهم يحاولون تحميل نظرياتهم وأبحاثهم على القرآن، وأما التفسير الفيضي، فهو تأويل الآيات على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات رمزية تظهر لأرباب السلوك والرياضة النفسية، من غير حجّة أو برهان»[2].

المناقشة

أشار الشيخ معرفة إلى عدة أقسام من التفسير الإشاري:

الأوّل: التفسير الصوفي الذي يقوم على أساس التأويل وباطن القرآن، والتصوف النظري دون دليل على هذه التأويلات.

الثاني: التفسير الصوفي الذي يقوم على أساس الكشف والشهود والتصوف العملي.

الثالث: التفسير الباطني الصحيح الذي يرتكز على أساس الضوابط الصحيحة للتأويل، واستخراج البطون.

ج - الدكتور الذهبي

قسّم الذهبي التفسير الإشاري إلى قسمين:

---

(1) المصدر نفسه، ص527.

(2) المصدر نفسه، ص538.

الأوّل: التفسير الصوفي النظري الذي يعتمد على مقدّمات علمية في ذهن الصوفي، ففي هذه الطريقة يعتقد المفسّر أنّه أدرك جميع مقصود الآية، وأنّه لا يوجد معنى آخر غير هذا التفسير الذي حمل الآية عليه. وقد اعتُبر «ابن عربي» من كبار أهل هذه الطريقة.

الثاني: التفسير الصوفي الفيضي، وهو الذي يعتمد على رياضة روحية، يأخذ بها الصوفي نفسه، حتى يصل إلىٰ درجة الكشف وتلقّي الإشارات القدسيّة. وفي هذه الطريقة، فإنّ المفسّر لا يرىٰ أنّ التفسير الصوفي الفيضي هو كلّ ما يُراد من الآية، بل يرىٰ أنّ هناك معنى آخر تحتمله الآية، هو المعنى الظاهري الذي يتبادر إلى الذهن لأوّل مرّة»[1].

د ـ الشيخ خالد عبد الرحمٰن العك

عرّف العك التفسير الإشاري بأنَّه: «تأويل آيات القرآن الكريم على غير ما يظهر منها، بمقتضى إشارات خفيّة، تظهر لأهل العلم والسلوك، تقوم على التطابق بينها وبين الظواهر المرادة من الآيات القرآنية، بوجه من الوجوه الشرعية»[2].

ثم بيّن معنى الإشارة وقسّمها إلى: إشارة حسّية وذهنيّة، كما قسّم التفسير الإشاري الذهني إلىٰ هذين القسمين:

الأوّل: الإشارات الخفيّة الّتي يدركها أهل التقوى والصلاح والعلم عند تلاوة القرآن الكريم؛ وهي معاني الأسرار القرآنية التي تنقدح في قلب المؤمن التقي الصالح العالم؛ فهو إما أنْ يبقيها بينه وبين ربّه تبارك وتعالى، وإما أنْ يُعلم بها، من غير أن يُلزم بها أحداً. . .

(1) الذهبي، **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص339.

(2) **أُصول التفسير وقواعده**، ص205.

الثاني: الإشارات الجليَّة الّتي تتضمنها الآيات الكونية في القرآن الكريم، والّتي تشير إشارات واضحة إلى كثير من العلوم الحديثة الاكتشاف، وفي هذا إعجاز للقرآن الكريم في هذا العصر أيّ عصر العلم»[1].

ثم تعرّض لشروط التفسير الإشاري[2]، مذكّراً بأنّ الأحكام الشرعية لا تؤخذ عن طريق التفسير الإشاري، لعدم قيام الدليل الواضح عليها، وما يستفاد منها، فهو في مجال الأخلاق، وسموّ النفس، وتقوية الإيمان، وتثبيت اليقين.

وفي الختام ميّز بين التفسير الإشاري والصوفي، فقال: «إنّ التفسير الإشاري الذي تقيّد به أصحابه بالشروط المذكورة، يغاير ويخالف المنهج الفلسفي النظري الصوفي في التفسيرات الإشارية الّتي خرجت عن حيّز التفسير المشروع». ثم بيّن التفسير الصوفي، فقال: «والصوفية يقولون بعلم (الإشارة) وهو علم ما في القرآن الكريم من أسرار، عن طريق العمل، به... والصوفية يقولون بأنّ تحت كل حرف من حروف القرآن كثيراً من الفهم، وهو مذخور لأهله، على قدر ما قُسم لهم من ذلك»[3]. وبعد ذلك ضرب عدة أمثلة لهذا المنهج في التفسير.

المناقشة

لقد أشار إلى ثلاثة أقسام من التفسير الإشاري:

الأوّل: التفسير الإشاري الخفيّ، وهو الأسرار القرآنية الّتي تنقدح في قلوب المتقين.

---

(1) المصدر نفسه، ص206، 209.

(2) سوف يأتي ذكر هذه الشروط في مبحث معايير التفسير الإشاري.

(3) **أُصول التفسير وقواعده**، ص210 ـ 211.

الثاني: التفسير الإشاري الجليّ، وهو الإشارات العلمية في القرآن للعلوم الجديدة.

الثالث: التفسير الإشاري بمعنى التفسير الفلسفي الصوفي الذي يقوم على أساس علم الإشارة وأسرار الحروف. ومن المؤكد أنّ القسم الثاني لا يُعد قسماً من أقسام التفسير الإشاري؛ بل هو منهج مستقل في تفسير القرآن، سبق أن تعرّضنا لهُ، تحت عنوان «منهج التفسير العلمي».

الخلاصة

1 - ترجع جذور التفسير الإشاري إلى صدر الإسلام، وذلك في مسألة «بطون القرآن» الّتي ورد ذكرها في الأحاديث، ثم تطور في القرنين الثاني والثالث الهجريين بين أهل العرفان والتصوّف، ومرّ بمراحل مختلفة، ونشأت أقسام متنوعة.

2 - من الموافقين على هذا المنهج: الإمام الخميني (قدّه)، الأستاذ حسن عباس زكي، التفتازاني.

3 - من المعارضين للتفسير الإشاري الأستاذ عميد الزنجاني الذي بيّن أقسام هذا المنهج، وهي: التفسير الرمزي، والإشاري، والشهودي، واعتبرها إمّا من التفسير بالرأي، أو أنها خارجة عن مجال التفسير.

4 - لقد وضع الشيخ محمد هادي معرفة، والسيد الطباطبائي حدّاً بين التفسير الباطني للصوفية، ومسألة البطون الّتي ورد ذكرها في الروايات؛ فرفضا القسم الأوّل وقَبِلا الثاني؛ لأنّه يتمتع بضوابط معينة.

5 ـ قسّم الشيخ معرفة والذهبي التفسير الإشاري إلى نوعين: تفسير صوفي نظري، وتفسير صوفي فيضي، ورفضا كلا القسمين.

6 ـ قسّم الشيخ خالد عبد الرحمن العك التفسير الإشاري إلى قسمين: خفيّ وجليّ، واعتبر الإشارات العلمية جزءاً من التفسير الإشاري، وبهذا يكون قد خلط بين التفسير الإشاري، ومنهج التفسير العلمي.

11

منهج التفسير الإشاري (2)

أقسام التفسير الإشاري ونماذجه

اتّضح لنا مما تقدم أنّ التفسير الإشاري ينقسم إلى أقسام مختلفة، تبعاً لاختلاف الآراء؛ فأحياناً يُقسم إلى تفسير إشاري نظري وفيضي، وأُخرىٰ إلى تفسير إشاري ورمزي وشهودي. وهناك من قسّم التفسير الإشاري إلى صوفي غير صحيح، وباطني صحيح[1].

ويظهر أن أفضل تقسيم لهذا المنهج، هو تقسيمه إلى قسمين أساسيين هما:

أ - منهج التفسير الإشاري الباطني غير الصحيح

وهنا يقوم المفسّر بتأويل آيات القرآن بالاستفادة من الشهود

---

(1) طرحنا هذه التقسيمات في الدرس السابق، وذكرت هُنا حسب الترتيب التالي: الذهبي، الأستاذ عميد الزنجاني، عبد الرحمن العك، آية الله معرفة، العلاّمة الطباطبائي.

الباطني، أو من خلال النظريات العرفانية، والمباني النظرية للتصوّف، المنافية لظواهر القرآن، وقواعد الاستنباط من الظاهر، دون مراعاة الضوابط المعروفة للوصول إلى الباطن، أو الاستفادة من القرائن النقلية، أو العقلية، ومن الواضح أنّ هذه الطريقة تنتهي إلى التفسير بالرأي.

ويمكن تقسيم هذه الطريقة إلىٰ عدة أنواع:

1 - منهج التفسير الإشاري الشهودي (الفيضي)

في هذه الطريقة يستفيد المفسّر من طريقة الكشف والشهود العرفاني، والتجليّات القلبية في تفسير القرآن، متجاوزاً حدود الظاهر. ويدّعي بعض المؤيدين لهذا المنهج أنهم يقبلون التفسير الظاهري أيضاً، بالإضافة إلى التفسير الإشاري الشهودي. وقد نسبت هذه الطريقة من التفسير إلى الصوفية والعرفاء.

مثال: ذكر التستري في تفسيره الباطني معنى «بسم الله» فقال:

الباء: بهاء الله، السّين: سناء الله، الميم: مجد الله، الله: هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرف مُكنّىٰ غيب من غيب إلى غيب، وسرّ من سرّ إلى سرّ...، الرحمٰن: اسم فيه خاصيّة من الحرف المكنّىٰ بين الألف واللاّم[1].

وقال القشيري النيشابوري في تفسير الآية: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾: «الأمر الظاهر بتطهير البيت، والإشارة من الآية إلى تطهير القلب... وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس والأغيار»[2]. وقد روي عن ابن عربي في تفسير الآيات المتعلقة بالكعبة، والبيت، والحج أنّه قال: «البيت هو

---

(1) **تفسير التستري**، ص3.

(2) **لطائف الإشارات**، ج1، ص136.

القلب، ومقام إبراهيم هو مقام الروح، والمصلىٰ هو المُشاهدة والمواصلة الإلٰهية؛ والمكان الآمن، هو صدر الإنسان؛ والطواف إشارة إلى الوصول إلى مقام القلب؛ والبيت المعمور قلب العالِم؛ والحجر الأسود هو الروح»[1].

وفي تفسير الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾[2].

قال: «فكأنّه قال: أُمرنا بقتال النفس، ومن يلينا من الكفار»[3].

المناقشة

هذا النوع من التفسير الإشاري يقوم على أساس الشهود، وهو حالة روحية وشعور داخلي يظهر داخل الإنسان على إثر الأذكار، والأفعال، أو التأمل في أمر خاص، ولا بدّ من الإشارة هنا إلى بعض النقاط:

أوّلاً: إنّ هذه الحالة يمكن أنْ تشتمل على مصاديق إلٰهية وشيطانية، ففي الحالة الأُولىٰ تكون هذهِ المصاديق صحيحة وصادقة، ويمكن أنْ تكشف الواقع للإنسان، ولكن من الصعب معرفة وتشخيص الحدود بين المكاشفات الشيطانية، والإلٰهية، بصورة دقيقة.

ثانياً: حتى لو كانت هذه المكاشفات صحيحة وصادقة، فهي

---

(1) التفسير المنسوب إلى ابن عربي، ج1، ص84 ـ 86.

(2) سورة التوبة: الآية 123.

(3) **فتاوى ابن الصلاح**، ص29، نقلاً عن: الذهبي، **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص386.

حجة على أصحابها فقط، ولا يمكن إلزام الآخرين بها؛ ولذلك لا يصحّ أنْ تكون هذه المكاشفات وسيلة لتفسير القرآن.

2 ـ منهج التفسير الإشاري النظري

وهنا يقوم المفسّر باستخدام المباني النظرية للعرفان النظري، أو التصوف النظري في تفسير آيات القرآن، متجاوزاً حدود الظاهر، دون وجود أي قرينة عقلية، أو نقلية على هذا التأويل؛ أي أنَّه لا يراعي ضوابط التأويل، والحصول على البطن، وفي بعض الأحيان يدّعي عدم وجود، غير هذا المعنى من التفسير (الإشاري النظري). وقد نسب هذا النوع من التفسير إلى الصوفية، وأهل العرفان النظري.

مثال: نُقل عن الصوفية في تفسير الآية ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾[1]. قال: نحن خلقناكم بإظهاركم بوجودنا، وظهورنا في صوركم»[2].

وذكر في تفسير الآية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[3]. قال: وهو معكم أينما كنتم لوجودكم به، وظهوره في مظاهركم»[4]. وفي سورة المزمّل ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾[5]، قال: «واذكر اسم ربّك الذي هو

---

(1) سورة الواقعة: الآية 57.

(2) التفسير المنسوب إلى ابن عربي، ج2، ص593 (هناك احتمال كبير بأنّ هذا التفسير هو نفس التفسير المعروف بتأويلات القاشاني، تأليف الشيخ كمال الدين أبي الغنايم عبد الرزاق بن جمال الدين الكاشي السمرقندي. انظر: الشيخ معرفة، التفسير والمفسّرون، ج2، ص574.

(3) سورة الحديد: الآية 4.

(4) التفسير المنسوب لابن عربي، ج2، ص599.

(5) سورة المزمّل: الآية 8.

أنت، أي اعرف نفسك واذكرها، ولا تنسها فينساك الله...»[1].

ومن الواضح أنّ هذه التفاسير تعتمد على نظرية وحدة الوجود الّتي يقبلها أكثر الصوفية والعرفاء.

وقد نقل عن الغزالي أيضاً في تفسير الآية ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قوله: من يريد إدراك الوحدانية الحقيقية، يجب عليه أنْ يطرح عن نفسه التفكير في الحياتين الدنيا والأُخرىٰ»[2].

المناقشة

أوّلاً: إنّ القرآن الكريم لم ينزل على الصوفية فقط، ليفهموا القرآن ويفسّروه عن طريق مبانيهم الخاصّة؛ بل نزل لعموم الناس، وظواهره واضحة يفهمها الجميع.

ثانياً: إنّ هذا النوع من التفسير يعتبر من التفسير بالرأي؛ لأنّه تحميل للمباني والآراء على القرآن.

ثالثاً: إنّ هذه الطريقة خارجة عن حدود الدلالة اللفظيّة للقرآن، وفي الحقيقة لا تعتبر جزءاً من التفسير؛ بل هي صياغة لآراء ومباني التصوف والعرفان النظري بقوالب قرآنية.

رابعاً: أدّت هذه الطريقة في التفسير إلى جرأة بعض الأشخاص على تأويل القرآن دون دليل، وهو غير جائز شرعاً.

3 ـ منهج التفسير الإشاري للباطنيّة

أنكر بعض الأشخاص ظواهر القرآن والشرع، وقالوا إنّ المقصود الحقيقي للقرآن هو الباطن فقط؛ بل ذهبوا إلى أكثر من

(1) التفسير المنسوب لابن عربي، ج2، ص720، 721.

(2) عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، ص214.

ذلك، فقالوا: إنّ ظواهر العبادات، والجنّة، والنار إشارات إلى أسرار المذهب، وأشخاص معينين.

مثال: قالوا إنّ المقصود من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والمسجد الحرام والمشعر الحرام أشخاص معينين (أئمة الباطنية) وإن معرفة الدين تكمن في معرفة ذلك الشخص[1].

المناقشة

إنّ هذا النوع من التفسير الإشاري يواجه نفس الإشكال السابق، مضافاً إلى أنّه سوف ينتهي بصاحبه إلى الشرك[2]؛ لأنهم يعتبرون أئمتهم باطن كل شيء، ما يؤدي إلى تأليههم بصورة تدريجية.

ب - منهج التفسير الباطني الصحيح

أشارت بعض الأحاديث الصادرة عن الرسول (ص) والأئمة (ع) إلى أن للقرآن ظاهراً وباطناً، بل بطوناً متعددة؛ وهذا ما دعا بعض المفسّرين إلى الاهتمام بباطن الآيات، بالإضافة إلى التفسير الظاهري استناداً إلى معايير وضوابط خاصّة، وقاموا بتشييد الأساس الصحيح للتفسير الباطني المعتبر. وقد أيَّد هذا النوع من التفسير الإشاري الصحيح كل من الإمام الخميني، والعلاّمة الطباطبائي، والشيخ معرفة[3]، لأنّه لا يتم فيه التأكيد على الإشراقات والشهودات القلبيّة والتأويلات الّتي لا تستند إلى أيّ دليل، ولا يقوم على أساس

---

(1) كما جاء في: **بصائر الدرجات**، ص526؛ مقدمة **البرهان في تفسير القرآن**، ص12 في حديث مفصل (جواب الإمام الصادق (ع) للمفضل).

(2) كما أشار إلى ذلك الحديث السابق.

(3) راجع بحث الآراء.

تحميل المباني النظرية على القرآن، ولا يسلك منهج الباطنية في التأويل. ولتوضيح هذه الطريقة الصحيحة للتفسير الإشاري الباطني لا بدّ من الإشارة إلى بعض الاصطلاحات مثل: التأويل، والبطن ومعاييرها بصورة سريعة؛ فنقول: إنّ ظاهر القرآن عبارة عن المعنى المستفاد من التنزيل، والذي يقوم على أساس القواعد العرفية للمحاورة والتفهيم والتفهم.

أما التأويل، فهو في الأصل «الرجوع»، وله معانٍ كثيرة في القرآن مثل: توجيه المتشابهات[1]، تعبير الرؤيا[2]، وعاقبة الأمر[3]، وتأتي كذلك بمعنىٰ البطن[4].

أمّا بالنسبة للبطن، فقد ذُكر لها معانٍ متعددة؛ ولكن ما نقصده هنا، هو المفهوم العام المأخوذ من فحوىٰ الآية التي نزلت في مورد خاص[5]؛ أي تجريد الآية النازلة في شخص معين، أو في ظروف مكانية وزمانية خاصة، عن هذه الظروف، وتأويلها بحيث تنطبق على الموارد المشابهة لها في كل زمان[6]. وسيأتي ذكر شرائط التأويل والحصول على البطون في مبحث المعايير، ومن أهمها رعاية المناسبة بين الظاهر والباطن، ومراعاة الدقّة في إلغاء الخصوصية وتنقيح المناط[7].

وهناك بحث مطوّل حول التأويل، والبطن، والآراء الّتي قيلت

---

(1) سورة آل عمران: الآية 7.

(2) سورة يوسف: الآيات: 6 21، 36.

(3) سورة الإسراء: الآية، 35.

(4) التفسير والمفسرون، ج1، ص20، 21.

(5) المصدر نفسه، ص21، 22.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص527.

(7) الشيخ محمد هاديمعرفة، **التفسير والمفسّرون**، ج1، ص24، 28.

حولهما، وهو بحاجة إلى توضيح أكثر، ولكنه خارج عن موضوع هذا الكتاب[1]. مثال: قال تعالىٰ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]. فقد جاء عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: من حرْقٍ أو غرَقٍ ـ ثم سكت ـ ثم قال: تأويلها الأعظم أنْ دعاها فاستجاب له».

وفي الكافي عن الباقر (ع) قال: «من حرْقٍ أو غرَقٍ، قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى، قال: تأويلها الأعظم»[3].

إنّ ظاهر الآية المتقدمة يتحدث عن قتل وإحياء الإنسان، فقتل وإحياء أحدهم، يعني قتل وإحياء جميع البشر، أما تأويلها (البطن)، فهو أهم وأعظم، ويأتي ذلك عن طريق إلغاء الخصوصية (قتل وإحياء الجسم المادي) والحصول على قاعدة كلية تشمل كل أنواع الإحياء؛ فإذا ما نجا الإنسان من الضلال، وهُدي إلى صراط مستقيم، فإنّ روحه سوف تحيا بروح الإيمان، والاستجابة لدعوة الحق؛ ومثل هذا العمل يعتبر إحياءً لجميع البشر.

مثال آخر

كتب الإمام الخميني (قدّه) في مورد الاستفادة العرفانية والأخلاقية من آيات القرآن، فقال: فلو أنّ شخصاً قرأ وتأمّل في

---

(1) للمزيد من الاطلاع انظر: المصدر نفسه ص20 وما بعدها؛ ولكاتب السطور، **درآمدي بر تفسير علمي قرآن**، بحث التأويل؛ الدكتور شاكر، **مباني وروشهاي تفسيرى**.

(2) سورة المائدة: الآية 32.

(3) **الصافي**، ج2، ص31 (ذكرنا هذه الرواية في مبحث استخدام الروايات في التفسير، وقد كررناها لأجل أهميتها، ومناسبتها للموضوع).

المحاورة الّتي جرت بين موسى والخضر، وطبيعة التعامل في ما بينهما، وقيام موسى بشدّ رحاله ـ مع سموّ مقام نبوّته ـ طلباً لعلم لم يكن عنده، وكيفيّة عرضه حاجته على الخضر، بالنحو الوارد في الآية الكريمة: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1]، وجواب الخضر، واعتذارات موسى المتكررة، ثم استفاد من ذلك كله عظمة مقام العلم، وبعض آداب تعامل المتعلّم مع المعلّم الّتي قد يصل ما ورد منها في تلك الآيات ما يقرب من العشرين أدباً. . .، ثم قال: إنّ الكثير من استفادات القرآن هي من هذا القبيل[2].

مثال ثالث

ورد في قصة يوسف (ع) أن إخوته ـ وفي سبيل إحكام خطتهم لإبعاد يوسف عن أبيه ـ قالوا لأبيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[3]. ظاهر هذه الآية يحكي عن حياة يوسف، ومكر إخوته لإبعاده عن أبيه، في حين أنّ هناك عبرة يمكن استخلاصها من هذهِ القصة وهي: أنّ المخالفين لطريق الهداية، يحاولون أنْ يسرقوا أولادكم بحجة اللعب والقضايا المادية؛ فلا بدّ أنْ تحذروا من ذلك. وهذه المسألة يمكن تطبيقها في كل وقت، بعد إلغاء الخصوصيات الزمانية والمكانية والأفراد المذكورين في القصة، واستخراج قاعدة كلّية، وعبرة تصلح للجميع، ويمكن أنْ نجد لهذه القصة مصاديق كثيرة في الوقت الحاضر، فالمستعمرون، وعن طريق استخدام طرق متعددة، من اللعب، يسعون إلى فصل جيل الشباب

---

(1) سورة الكهف: الآية 66.

(2) **پرواز در ملكوت** مطبوع مع آداب الصلاة، ج2، ص114.

(3) سورة يوسف: الآية 12.

عن أمّتهم، وإلقائهم في التيه والضياع. نعم؛ فالقرآن لم يقصّ علينا القَصص لكي نتسلّىٰ بها، ولم يسردها لكي تبقىٰ روايات تاريخية لا تصلح إلا للنقل التأريخي فقط، بل قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]. فهذا القَصص عبرة؛ أي لا بدّ من العبور من ظاهر الألفاظ إلى ما ورائها والوصول إلى الباطن، واستخراج القواعد الكلية للحياة في كل زمان؛ وفي هذا الإطار روى الإمام الرضا (ع) عن أبيه: «أنّ رجلاً سأل أبا عبد الله (ع): ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراسة إلاّ غضاضة؟ فقال: لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غضّ إلى يوم القيامة»[2].

إنّ طراوة القرآن وحلاوته تكمن في خلوده؛ لأنّ الله لم يجعله لزمان خاص؛ بل هو خالد إلى يوم القيامة، وهو غضّ طري عند كل قوم، وفي كل زمان. فقد جاء تشبيه القرآن في بعض الأحاديث بجريان الشمس والقمر، وإنّه لو كان مخصوصاً بقوم من الأقوام لمات القرآن بموتهم[3].

وهذا المعنى نفسهُ ورَدَ، في حديث الإمام السجّاد (ع) وفيه أن الإشارات القرآنية هي للخواص[4]، وذلك هو سر خلود القرآن لتجدُّد

---

(1) سورة يوسف: الآية 111.

(2) **بحار الأنوار**، ج62، ص15.

(3) عن النبي (ص) قال: «ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضىٰ ومنه ما لم يكن (القرآن) يجري كما تجري الشمس والقمر» (الصفار، **بصائر الدرجات**، 195)، وقد سُئل الإمام الباقر (ع) عن الحديث السابق، فقال: «لو أن الآية إذا نزلت في قوم، ثم مات أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء» (تفسير **العياشي**، ج1، ص110).

(4) لقد مرّ هذا الحديث في بحث «نبذة تاريخية».

معانيه في كل زمان، وانطباقه على كل قوم، وهذا المعنى يكون عن طريق التفسير الإشاري الباطني واستخراج البطن والتأويل الصحيح على أساس الضوابط المعتبرة، حيث يمكن الاستفادة من الإشارات والتعاليم القرآنية في كل زمان، وتطبيقها على الحياة المعاصرة الجديدة، والحصول على أجوبة الحاجات المعنوية، والفكرية، والاجتماعية، والأخلاقية للبشر.

مراحل الحصول على البطن وتأويل الآيات

إنّ المراحل الصحيحة لإدراك البطون (المعاني الخفية) عبارة عن:

1 ـ البحث عن هدف الآية.

2 ـ موازنة ذلك الهدف مع الخصوصيات المذكورة في متن الآية.

3 ـ إبقاء ما له علاقة بالهدف، وحذف ما ليس له علاقة به.

4 ـ استخراج مفهوم كلي من متن الآية، يصبّ ضمن هدف الآية، وحذف الخصوصيات المذكورة في الآية، وتطبيق الآية على الموارد المشابهة في كل مكان وزمان.

5 ـ إنّ هذا المعيار يكون صحيحاً في ما إذا شكّل مورد نزول الآية أحد مصاديق المفهوم العام. وأمّا إذا لم تكن هناك مناسبة قريبة بين ظاهر التنزيل والمفهوم العام، فإنّ مثل هذا الاستنباط يكون من قبيل التأويل الباطل، والتفسير بالرأي[1]. ولكي يتضح المطلب بصورة تامّة لا بدّ من مُراجعة الأمثلة المتقدمة.

---

(1) استفدنا هذه المسألة من المباحث المنشورة تحت عنوان «**التأويل والبطن**»، للشيخ محمد هادي معرفة.

معايير التفسير الإشاري الصحيح

من خلال ملاحظة الآراء السابقة، فإنّ العلماء والمفسّرين يشترطون في التفسير الإشاري الضوابط والشروط التالية:

أ ـ الالتفات إلى ظاهر الآية وباطنها في آنٍ واحد؛ أي لا يجوز إغفال ظاهر الآية في التفسير، فعلى المفسّر أن لا يدّعي أنَّ تفسيرهُ (المعنىٰ الإشاري)، هو المراد الوحيد للآية. وهذه الضابطة تستفاد من كلام العلاّمة الطباطبائي، والشيخ معرفة، والأستاذ حسن عباس زكي[1].

ب ـ رعاية المناسبة القريبة بين ظاهر الكلام وباطنه؛ أي ينبغي أنْ لا تكون الدلالة الباطنية أجنبية عن الظواهر، لا مُناسبة بينها وبين اللفظ؛ فإذا كان معنىٰ التأويل، هو المفهوم المنتزع من الكلام، فلا بد أنْ تكون هُناك مناسبة لفظية تستدعي هذا الانتزاع[2]، كما مرّ في مثال (الموت والحياة)، فإنّ هناك مناسبة بين حياة الجسم والحياة المعنوية (الهداية).

ج ـ مراعاة النظم والدقّة في إلغاء الخصوصية حتى يمكن انتزاع المفهوم العام من الكلام، كما هو الحال في قانون «السبر والتقسيم» في علم المنطق، و«تنقيح المناط» الذي يستفيد منه الفقهاء في الحصول على الملاك القطعي للأحكام الشرعية في علم أُصول الفقه، بحيث تدور الأحكام مداره نفياً أو إثباتاً، والملاك، هو عموم فحوى الكلام، وليس خصوص العنوان الوارد في لسان الدليل، وقد ذكر

---

(1) أنظر: **الميزان**، ج1، ص7؛ **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص527؛ **مقدمة تفسير القشيري**، ج1، ص4 ـ 6.

(2) الشيخ معرفة، **التفسير والمفسرون**، ج1، ص28.

الشيخ معرفة هذين الشرطين للتأويل الصحيح[1].

د ـ عدم منافاة التفسير الإشاري للأدلة القطعية، والآيات المحكمة في القرآن.

هـ ـ الاستفادة من القرائن المعتبرة العقلية والنقلية (الآيات والروايات)؛ أي قد يستفيد التفسير الإشاري في بعض الأحيان من منهج التفسير العقلي والاجتهادي، أو من منهج التفسير الروائي للحصول على بطن الآية ومعناها.

و ـ استخراج مفهوم عام وقاعدة كليّة من الآية، بحيث تكون الآية أحد مصاديق هذا المفهوم.

فإذا تحققت هذه الشروط في التفسير الإشاري، فسوف يكون صحيحاً ومعتبراً.

ملاحظة: ذكر بعض المحقّقين شروطاً أُخرىٰ للتفسير الإشاري؛ فقد وضع الزرقاني ثلاثة شروط لقبول التفسير الإشاري، وهي:

1 ـ أن لا يتنافىٰ مع ما يظهر من معنىٰ النظم القرآني الكريم.

2 ـ أن لا يُدّعىٰ أنّه هو المراد وحده دون الظاهر.

3 ـ أن يتأيّد بالشواهد والقرائن المعتبرة الخارجية[2].

أمّا الشيخ عبد الرحمن العك فقد ذكر شروطاً أُخرىٰ، إضافة إلى ما ذكره الزرقاني، وهي:

1 ـ أنْ يكون له شاهد شرعي يؤيده.

2 ـ أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص28.

(2) **مناهل العرفان**، ج2، ص80.

(3) **أُصول التفسير وقواعده**، ص208.

المناقشة

إذا كان المقصود من الشواهد الشرعية هو الآيات والروايات؛ فالنتيجة، أنّ التفسير سوف يكون منحصراً بالتفسير المأثور فقط، ونحن رفضنا هذا الرأي في مبحث التفسير العقلي. وقد ذكر الزرقاني وعبد الرحمن العك شروطاً أُخرىٰ، أشرنا إليها في بحث الضوابط.

استعراض سريع لأدلة الموافقين والمخالفين للتفسير الإشاري

لقد أشرنا إلى هذا البحث خلال عرض الآراء. والآن نأتي إلى الخلاصة والمناقشة النهائية لأدلّتهم:

أ - أدلّة المخالفين

1 - أ: إنّ التفسير الإشاري للصوفية لا يعتمد على مقدمات علمية وبراهين منطقية، وأسباب معقولة؛ بل يعتمد على الكشف والشهود الشخصي الذي لا يكون إلاّ توهّمات وتخيّلات[1].

2 - أ: لا يتفق التفسير الإشاري الصوفي مع روح القرآن، وتعاليم الإسلام، ويعتبر تحميلاً للقرآن، ونوعاً من أنواع التفسير بالرأي[2].

3 - أ: استفاد شيوخ الصوفية من هذا المنهج لتأمين مقاصدهم المذهبيّة، وتوجيه تعاليمهم العرفانية، والذوقية، ومبانيهم المذهبيّة بقوالب قرآنية، وهذا هو التفسير بالرأي بعينه[3].

---

(1) الشيخ معرفة، **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص528، 536.

(2) المصدر نفسه، 537، 538.

(3) عميد الزنجاني، **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص316.

4 ـ أ: إنّ منهج التفسير الرمزي بعيد عن حدود التفسير، ودرك معاني ومقاصد القرآن، ويتطابق مع معنىٰ التأويل بصورة تامة؛ لأنّه خارج عن حدود الدلالة اللفظية ومناسباتها؛ ولأن هذه التأويلات لا تعتمد على منبع الوحي وعلوم الرسالة؛ فإنّها تعتبر من مصاديق التأويل الباطل[1].

5 ـ أ: المكاشفة والشهود ليستا حجّة في المقام، لأنهما إحساس شخصي لا يقبل الانتقال إلى الغير، وحتى لو سلمنا بحجّيتهما فلا يمكن أنْ تكونا مصداقاً للوصول إلى معاني ومقاصد آيات القرآن؛ لأنّ من شروط التفسير الاعتماد على الدلالة اللفظية، في حين أنّ المكاشفة والشهود يعتمدان على شيء آخر[2].

6 ـ أ: إنّ سبب انحراف منهج التفسير الفلسفي والصوفي يرجع إلى اعتماده على الفكر الفلسفي اليوناني؛ حيث اعتمد أصحابه في تفسيراتهم الإشارية على منهج الفيثاغوريين، والأفلاطونيين، والرواقيين، والغنوصيين الذين يسلكون منهج التفسير الرمزي الباطني في الكثير من الظواهر الكونية[3].

ب ـ أدلّة الموافقين

1 ـ ب: إنّ التفسير الإشاري الصحيح، هو الاستفادة من بطن القرآن الذي جاء التصريح به في الأحاديث الواردة عن الرسول (ص) والأئمة (ع)[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص322 (بتلخيص).

(2) عميد الزنجاني، **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، ص328 (بتلخيص).

(3) عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، ص237، 238.

(4) استفدنا هذا المطلب من كلام العلاّمة الطباطبائي في **الميزان**، ج1، ص7، وآية الله معرفة في **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص537، والأستاذ حسن عباس زكي في مقدمة تفسير القشيري، ج1، ص4 ـ 6.

وهذا يعني أنّ هذا المنهج، هو أحد المناهج التفسيرية التي استخدمها النبي (ص) والأئمة (ع)، والاستمرار عليه، والاستفادة منه، يعتبران تمسّكاً بسنّتهم في التفسير.

2 ـ ب: إنّ الإشكالات الواردة على التفسير الباطني والإشاري سوف ترتفع في ما إذا توفرت فيه الضوابط والشروط الّتي ذكرها العلماء، وحينئذٍ يكون من المناهج الصحيحة والمعتبرة.

3 ـ ب: من الحجب الّتي تحول دون الاستفادة من القرآن، عدم الاستفادة منه في الحصول على المعارف العرفانية والأخلاقية (التفسير الإشاري الباطني)، وحينئذٍ يصبح القرآن مهجوراً[1].

4 ـ ب: إنّ التفسير الإشاري العرفاني لا يعتبر من التفسير بالرأي؛ لأنّه يستفيد من لوازم الكلام الّتي ليس لها علاقة بالتفسير، فضلاً عن التفسير بالرأي[2].

5 ـ ب: لقد دعانا القرآن الكريم إلى التفكر والتدبر في عدة آيات، والاستفادة من العبر الموجودة في قَصصه[3]. وهذا يعني أنّ وجود القَصص في القرآن ليس من أجل اللّهو والتسلّي، بل هو عبارة عن قواعد كلية مستخرجة من الآيات، يمكن تطبيقها على حياة البشر في كل زمان، ولهذا فقد وُصف القرآن في الأحاديث بأنّه غض طري في كل زمان، وأنّه يجري كما تجري الشمس والقمر، ولا يختص بقوم من الأقوام[4].

---

(1) پرواز در ملكوت مصدر سابق، ج2، ص112، 113.

(2) المصدر نفسه.

(3) سورة يوسف: الآية 111.

(4) لقد مرّ ذكر هذه الأحاديث في مبحث أقسام التفسير الإشاري (التفسير الباطني الصحيح)، انظر: **بحار الأنوار**، ج92، ص15؛ العياشي، ج1، ص110 و...

6 ـ ب: إنّ المعارضين للتفسير الإشاري يخلطون بين خطإ الأفراد والخطإ في منهج التفسير؛ لأن اشتباه الصوفية في تحميل مبانيهم النظرية واتّباعهم لليونانيين، أو خطإهم في المشاهدات الشخصية وتطبيقها على القرآن، وما ينجم عن ذلك من تفسير بالرأي (على فرض التسليم الكامل بهذا الكلام)، لا يكون دليلاً على ردّ منهج التفسير الباطني الإشاري؛ لأنّ خطأ الأشخاص لا ينسحب على خطأ المنهج.

المناقشة

مع أخذ التقسيمات المتنوعة للتفسير الإشاري بنظر الاعتبار، نلاحظ أنّ أكثر إشكالات وأدلّة المخالفين تتعلق بالتفسير الإشاري الباطني غير الصحيح. أمّا التفسير الإشاري الباطني الصحيح الذي يتمتع بالضوابط والشروط، والمدعوم بالأدلّة الّتي ذكرت سابقاً، فإنّه يمكن استخدامه كمنهج صحيح، ومعتبر للحصول على التأويل البطون في تفسير القرآن.

ملاحظة: لقد ورد في أدلة الموافقين والمعارضين للتفسير الإشاري الباطني، أنّ المعاني الباطنية والإشارية تُستفاد من لوازم الكلام؛ أي من باب البطن والتأويل، حيث يكون خارجاً عن مجال الدلالة اللفظية للآيات، فهو في الحقيقة ليس تفسيراً، ولا يمكن إطلاق لفظ التفسير على منهج التفسير الباطني.

ويمكن أنْ يُقال في توضيح هذه المسألة: إنَّ معنى التفسير الاصطلاحي، هو الكشف عن الإبهام في الجمل والكلمات القرآنية، وتوضيح مقاصد القرآن وأهدافه النهائية. فإذا ما أُخذ هذا التعريف معياراً، فسوف يكون الإشاري الباطني خارجاً عن مجال التفسير، ولكن يبدو أوّلاً: أنّ الفهم المتداول للتفسير في الوقت الحاضر

أوسع من هذا التعريف الاصطلاحي، وأنّ المفسّرين عادة ما يذكرون مباحث البطن والتأويل في تفاسيرهم، وعليه، فإنّ هذه البحوث تعتبر جزءاً من التفسير طبقاً لعرف المفسرين.

ثانياً: اتّضح لنا في ما سبق أنّ البطن لا بدّ أنْ يكون متناسباً وموافقاً للظاهر، فالتفسير الإشاري الباطني الصحيح والمقبول، هو الذي يتناسب مع دلالة اللفظ، وليس غريباً عنها، حتى يكون خارجاً عن مجال التفسير؛ أي يكون من لوازم الكلام الذي قد يأتي أحياناً لبيان أهداف الآية.

الخلاصة

1 ـ هناك تقسيمات متنوعة للتفسير الإشاري، والأفضل تقسيمه إلى قسمين: التفسير الإشاري الباطن الصحيح، وغير الصحيح.

2 ـ يعتمد التفسير الإشاري الباطني غير الصحيح على النظريات العرفانية، أو الشهود العرفاني، والأمر الذوقي، والذي لا يتمتع بأي ضابطة؛ مما ينتهي بالمفسِّر إلى الوقوع في التفسير بالرأي، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: تفسير إشاري شهودي (فيضي)، وتفسير إشاري نظري، وتفسير إشاري باطني.

3 ـ المقصود من منهج التفسير الإشاري الصحيح، هو الحصول على بطن القرآن، وتأويله على ضوء ضوابط ومعايير محدّدة، وإلغاء جميع الخصوصيات الزمانية والمكانية، واستخراج قاعدة كليّة، تنطبق على كل زمان، ومكان.

4 ـ مراحل الحصول على البطن عبارة عن: تعيين الهدف، إلغاء الخصوصية من الآية، إبقاء العناصر الدخيلة في هدف الآية، ثم استخراج مفهوم عام شامل للآية، ينطبق على كل زمان، ومكان.

5 ـ معايير التفسير الإشاري الصحيح عبارة عن: الالتفات إلى الظاهر والباطن معاً، رعاية المناسبة القريبة بين الظاهر والباطن، الدقّة في إلغاء الخصوصية من الكلام (رعاية شرائط تنقيح المناط)، عدم مخالفة التفسير الإشاري لمحكمات القرآن، والأدلّة العقلية، وانطباق البطن والمفهوم العام على مورد الآية.

6 ـ أدلّة المعارضين للتفسير الإشاري عبارة عن: عدم الاعتماد على الدليل والبرهان، مخالفته لروح القرآن، الانتهاء إلى التفسير بالرأي، خروجه عن حدود التفسير المصطلح، عدم حجيّة الشهود العرفاني في التفسير، اعتماد الصوفية على الفكر الفلسفي اليوناني. وقد بيّنّا أنّ أكثر هذه الأدلّة ترجع إلى التفسير الإشاري الباطني غير الصحيح.

7 ـ استدل الموافقون على هذا المنهج بأنّ التفسير الإشاري يعني الاستفادة من بطن القرآن؛ فمن الحجب الّتي تَحول دون الاستفادة من القرآن، عدم استخدام التفسير الإشاري، والذي يعني الاستفادة من لوازم الكلام (لا يعتبر من التفسير بالرأي). فالتفسير الإشاري هو نتيجة التدبّر والتفكّر في آيات القرآن، وأخذ العبر من قَصصه، وهو مورد تأييد الأحاديث، والمخالفون لهذا المنهج خلطوا بين خطإ الأفراد وخطإ المنهج.

التعريف ببعض التفاسير الإشارية

1 ـ ***تفسير القرآن العظيم***، أبو محمد سهل بن عبد الله التستري (200 ـ 283هـ).

2 ـ ***حقائق التفسير***، أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلَمي (330 ـ 412هـ).

3 ـ ***لطائف الإشارات***، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيشابوري (376 ـ 448هـ).

4 ـ ***كشف الأسرار وعدّة الأبرار*** (المعروف بتفسير الخواجة عبد الله الأنصاري)، تأليف رشيد الدين أبي الفضل بن أبي سعيد أحمد بن محمد بن محمود الميبدي (كان حيّاً في سنة 530هـ).

5 ـ تفسير الخواجة عبد الله الأنصاري، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد ابن علي بن محمد الأنصاري الهروي (396 ـ 481هـ).

6 ـ تفسير القرآن المنسوب لابن عربي، وهذا التفسير هو للشيخ كمال الدين أبي الغنائم عبد الرزاق بن جمال الدين الكاشي السمرقندي (ت730هـ).

7 ـ **عرائس البيان في حقائق القرآن**، أبو محمد الشيرازي (ت666هـ).

8 ـ **التأويلات النجميّة**، نجم الدين دايه (ت654هـ)، وعلاء الدولة السمناني (ت736هـ).

9 ـ تفسير شاه نعمة الله الكرماني (ت834.هـ).

10 ـ **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النيشابوري (أوائل القرن الثامن)[1].

---

(1) للاطلاع أكثر على هذه التفاسير والتفاسير الإشارية الأُخرىٰ: يراجع: الشيخ معرفة، **التفسير والمفسرون**، ج2، ص539 وما بعدها؛ الدكتور مؤدب، **روشهاي تفسير قرآن**، ص261 وما بعدها.

الأسئلة

1 ـ ما المعنى اللغوي والاصطلاحي للإشارة؟ وما تعريف التفسير الإشاري؟

2 ـ في أيّ زمن بدأ التفسير الإشاري، وما عوامل تطوره؟

3 ـ اذكر ثلاثة تفاسير إشارية يعود أحدها إلى القرن الثالث الهجري، مع ذكر المؤلفين.

4 ـ أوضح رأي الإمام الخميني (قدّه) في مورد التفسير العرفاني، مع ذكر المثال.

5 ـ أوضح رأي الأستاذ عميد الزنجاني في الاختلاف بين التفسير الإشاري، والرمزي، والشهودي، مع النقد.

6 ـ ما الرأي القائل بالفصل للعلاّمة الطباطبائي؛ وآية الله معرفة في مورد التفسير الإشاري؟

7 ـ هل يعتبر التفسير العلمي جزءاً من التفسير الإشاري؟، أوضح ذلك مع النقد.

8 ـ ما المقصود من التفسير الإشاري الفيضي؟ أوضح ذلك بالمثال، واذكر الإشكال الوارد عليه.

9 ـ ما المقصود من التفسير الإشاري للباطنية؟ وما الإشكال الذي يرد عليهم؟

10 ـ وضّح مراحل الحصول على بطن الآية (التأويل الصحيح) في التفسير الإشاري المعتبر، مع ذكر مثال قرآني.

11 ـ اذكر معايير التفسير الإشاري الصحيح، وبيِّن موردين منهما، مع ذكر مثال لكل منهما.

12 ـ ما علاقة التفسير الإشاري الباطني الصحيح وغير الصحيح، بالتفسير بالرأي؟ وضّح ذلك.

13 ـ لماذا يؤدّي عدم الاستفادة من التفسير الإشاري الصحيح (التفسير العرفاني) إلى مهجورية القرآن، ووجود الحجب الحائلة دون الاستفادة منه؟

14 ـ اذكر خمسة أدلّة على التفسير الإشاري الصحيح، مع النقد.

بحوث جديدة

1 ـ في أيّ زمن بدأ استخدام المصطلحات التالية: «الرمز»، «الشهود»، «الإشاري» في التفسير؟ وما هو السير التاريخي لها؟

2 ـ ما علاقة تطور التفسير الإشاري الصوفي مع ترجمة الآثار الفلسفية لليونانيين باللغة العربية؟ ناقش ذلك.

3 ـ ابحث مسألة الشهود العرفاني، وعيّن حدود معايير الشهود والإلهامات الإلٰهية والشيطانية.

4 ـ ناقش روايات بطون القرآن، واذكر معايير الحصول على البطن.

5 ـ من هم الصوفية والعرفاء؟ إذكر عقائدهم، وتاريخهم بصورة مختصرة، مع ذكر الاختلاف في ما بينهم.

6 ـ ما المقصود من العرفان النظري والعملي؟ وما هو الاختلاف في ما بينهما؟ وما هو دور كل منهما في التفسير؟

7 ـ إذكر التقسيمات المختلفة للتفسير الإشاري، مع النقد.

8 ـ ناقش المعاني المختلفة للتأويل، وعلاقته بالتفسير الإشاري.

9 ـ اذكر ضوابط إلغاء الخصوصية، وتنقيح المناط في علم المنطق والأصول، مع المناقشة، وطبّق ذلك على التفسير الإشاري.

10 ـ ما هي أقسام الدلالات اللفظية والالتزامية؟ وما علاقة كل منهما بالتفسير والتفسير، الإشاري؟ ناقش ذلك.

11 ـ ما المقصود من العبرة في القرآن؟ وما علاقتها مع الإشارات وبطون القرآن؟

مصادر إضافية للمطالعة

1 ـ **آداب الصلاة**، الإمام الخميني (قدّه).

2 ـ **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، عميد الزنجاني.

3 ـ **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، الشيخ معرفة.

4 ـ **روشهاي تفسير قرآن**، الدكتور سيد رضا مؤدب.

5 ـ **أُصول التفسير وقواعده**، الشيخ خالد عبد الرحمٰن العك.

6 ـ **منهج تفسيري أهل بيت (ع)، محمد الشريفاني** (رسالة ماجستير، معهد إعداد المعلمين، قم).

7 ـ **مباني وروشهاي تفسيري**، الدكتور شاكر.

8 ـ **مناهل العرفان**، الزرقاني.

9 ـ **التفسير والمفسّرون**، الدكتور الذهبي.

12

منهج التفسير بالرأي (1)

الأهداف التعليميَّة

الهدف الأساس: معرفة التفسير بالرأي، والاحتراز منه في التفسير.

الأهداف الفرعية:

1 ـ الاطلاع على تاريخ التفسير بالرأي.

2 ـ مناقشة روايات التفسير بالرأي. 3) معرفة أقسام ومصاديق التفسير بالرأي.

4 ـ الاطلاع على أدلة الموافقين والمخالفين للتفسير بالرأي.

5 ـ معرفة الآثار السلبية وأخطار التفسير بالرأي؛

6 ـ معرفة معايير التفسير بالرأي.

المقدمة

منهج التفسير بالرأي من المناهج المذمومة والمرفوضة في التفسير، وقد بحث ودراسة هذا المنهج بسبب ورود الأحاديث في ذمّه، والأخطار المترتّبة على المفسّر في حالة استخدامه؛ والّتي قد تؤدي به إلى الانحراف عن التفسير، وبالتالي يكون مصيره جهنّم، كما ورد في الروايات. ولهذا، فإنّ معرفة هذا المنهج التفسيري والاحتراز عن مصاديقه يحظيان بأهميّة خاصة عند المفسّرين.

والجدير بالذكر، أننا إذا أخذنا التفسير بمعناه العام (الصحيح والخاطىء)، فإنّ هذا المنهج (التفسير بالرأي) سوف يعدّ جزءاً من المناهج التفسيرية؛ أمّا إذا كان مقصودنا من التفسير، هو الصحيح فقط؛ فحينئذٍ يكون إطلاق اسم التفسير على التفسير بالرأي من باب المسامحة في التعبير؛ لأنّ هذا المنهج لا يكشف ولا يبيّن ـ في الحقيقة ـ المراد من آيات القرآن، بل يبيّن نظر ورأي المفسِّر؛ فحاصل هذا التفسير لا يكون «تفسيراً للقرآن». وهناك آراء متفاوتة بالنسبة للروايات بصورة مستقلة، وذكر الآراء الّتي قيلت حولها للخروج بتعريف جامع للتفسير بالرأي، بعد نقد وتحليل هذه الآراء.

المصطلاحات الأساسية

لا بد من الاطّلاع على معاني بعض الاصطلاحات المستخدمة في هذا الدرس.

1 ـ **التفسير**.

2 ـ **المنهج**[1].

---

(1) تقدمت الإشارة إلى معنى هذين الاصطلاحين.

3 ـ **الرأي**: الأصل في هذه الكلمة، هو النظر بكل وسيلة، ويشمل النظر بالعين، أو بالقلب، أو عن طريق الشهود الروحاني، أو بقوة الخيال[1].

وكلمة «الرأي» بمعنى: اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن[2]. ويرى بعض المفسّرين، أنّ القرآن والسنّة لم يستعملا «الرأي» بمعنى الإدراك العقلي[3]. فإذن يمكن أنْ يقال إنَّ معنى «الرأي»، هو العقيدة أو الرأي، والانطباع الشخصي الذي يتكون على أساس الظنّ.

4 ـ **الباء**: حرف «الباء» في كلمة «التفسير بالرأي» يمكن أنْ تكون على ثلاثة معانٍ:

أ ـ **باء السببيّة**: أي أي كل شيخ يفسّر القرآن بسبب رأيه؛ فإنّ مصيره جهنّم، (فالسبب الرئيسي للتفسير؛ هو النظر والرأي الشخصي نفسه، في مقابل الشخص الذي لا يكون باعثه الأساس للتفسير هو الرأي الشخصي، بل هو يسعىٰ للحصول على الحقائق من القرآن عن طريق التفسير، ولا يوجد لديه فرق بين أن يكون رأيه مطابقاً، أو مخالفاً للتفسير).

ب ـ **باء الاستعانة**، أي أنَّ كل شخص يفسّر القرآن بالاستعانة برأيه؛ فإنّ مصيره جهنّم (في مقابل الشخص الذي يقوم بتفسير القرآن بالقرائن العقلية والنقلية).

ج ـ **زائدة**، أي كل شخص يقول رأيه الشخصي بدل تفسير القرآن، ويجعل رأيه الشخصي مصداقاً للتفسير، (في مقابل الشخص

---

(1) مصطفوي، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج4، ص14.

(2) **مفردات الراغب الأصفهاني**، مادة رأي.

(3) مكارم الشيرازي، **تفسير به رأي**، ص22.

الذي يقوم بتفسير القرآن، ولا يجعل رأيه الشخصي بدل التفسير).

فالمعنى الأوّل والثاني يتّفق مع روايات التفسير؛ وأمّا المعنى الثاني (الاستعانة)، فهو أظهر المعاني[1].

وسوف نقوم بمناقشة هذه المعاني عند تحليل روايات التفسير بالرأي في المباحث الآتية.

الجذور التأريخية للتفسير بالرأي

لا يوجد تحديد دقيق لبداية هذا المنهج في التفسير؛ ولكن روي[2] عن النبي (ص) بعض الروايات في ذمّ هذه الطريقة في التفسير؛ ما يكشف عن أنّ هذا المنهج بدأ في زمن النبي (ص)؛ ولهذا فإنّه (ص) ذكر هذا التفسير وذمّ القائمين به، ولا يفهم من الروايات أن هذا العمل سوف يحدث في المستقبل، وأنّ النبي (ص) قد تنبّأ به ونهىٰ عنه.

ثم طرحت هذه المسألة أيضاً بعد وفاة النبي (ص) في زمان الأئمة (ع)، فصدرت عنهم روايات متعددة في ذم التفسير بالرأي[3]، بل روي عن الإمام علي (ع) أنّه خاطب بعض الأشخاص، ونهاهم عن هذا النوع من التفسير[4]. وفي الحقيقة، إنّ بعض هذه الأحاديث ينظر إلى بعض الذين فتحوا لهم مدارس في التفسير، توازي مدرسة

(1) أُنظر: كاتب السطور، در آمدي بر تفسير علمي قرآن، **ص109**؛ **عميد الزنجاني**، مباني وروشهاي تفسير قرآن، **228، 229**.

(2) أنظر: **أمالي الصدوق**، ص6، الحديث رقم 3؛ **سنن الترمذي**، ج4؛ كتاب تفسير القرآن، الحديث رقم 2960 ـ 2961؛ مقدمة **تفسير البرهان**، ص16.

(3) سوف يأتي ذكر هذه الروايات في ما بعد.

(4) **البرهان**، ج1، ص41.

أهل البيت (ع)[1]، ثم انتشر هذا المنهج في العصور التالية في بعض كتب التفسير؛ فمن المفسّرين والفرق، من قام باتّهام بعضهم البعض في استخدام هذا المنهج، كما اتّهم بعض الكتّاب الفخر الرازي (صاحب التفسير الكبير)، وإخوان الصفا، وبعض الصوفية، وأحياناً الأشاعرة والمعتزلة باستخدام التفسير بالرأي، لتأويلهم آيات القرآن، طبقاً لعقائدهم[2].

وقد بلغ هذا المنهج أقصى ما وصل إليه في العصر الحاضر، حيث سعىٰ بعض المنافقين - مع ظهور المدارس الإلحادية وبالاستفادة من الآيات القرآنية والتفسير بالرأي - أن يجذبوا شباب المسلمين إلى صفوفهم، وإخفاء مقاصدهم الإلحادية، تحت هذا الستار[3]، وقد أطلق الشهيد مطهري على هذا المنهج تسمية: «المادّية المغفّلة»، أو «المادّية المنافقة»[4]. وسوف نذكر بعض النماذج في الأبحاث الآتية.

الأدلّة

استدل كلا الفريقين (المخالفين والموافقين)، بعدة أدلّة على ما يدّعونه، فيما ذهب بعضهم إلى التفصيل، وسوف نذكر هُنا، أدلّة كل مجموعة من هذهِ المجاميع.

---

(1) الحر العاملي، **وسائل الشيعة**، 18، الباب 13، من أبواب صفات القاضي، الحديث 25.

(2) أنظر: الدكتور محمد زغلول، **التفسير بالرأي**، ص177 وما بعدها؛ عميد الزنجاني، **مباني وروشهاني تفسير قرآن**، ص223.

(3) أنظر: مكارم الشيرازي، **تفسير به رأي**، ص49 - 52.

(4) أنظر: الشهيد مطهري، مجموعة آثار، ج1، ص460؛ في كتاب علل گريش به ماديگري.

أدلّة المخالفين للتفسير بالرأي

أهم أدلّة المعارضين للتفسير بالرأي، عبارة عن:

أوّلاً: آيات القرآن

استدلوا بآيات متعدّدة أهمّها[1]، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[3].

التوضيح

أوّلاً: إنّ التفسير بالرأي كلام غير علمي، ينسب إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ المفسّر بالرأي لا يملك اليقين بالوصول إلى الواقع، وغاية ما يتوصل إليه هو الظنّ.

ثانياً: إنّ نسبة الكلام غير العلمي إلى الله حرام؛ للنهي عن ذلك في القرآن كما في الآيتين المتقدمتين؛ فالنتيجة هي حرمة التفسير بالرأي[4][5].

الجواب: ردَّ الطرف الآخر على هذا الاستدلال بما يلي: إنّ

---

(1) استدل الشيخ خالد عبد الرحمن العك في **أُصول التفسير وقواعده**، ص168، بالآية (44) من سورة النحل، ولكنه خلط بين التفسير بالرأي والتفسير العقلي، ولذلك ذكرنا هذه الآية في «منهج التفسير العقلي».

(2) سورة الأعراف: الآية 33.

(3) سورة الإسراء: الآية 36.

(4) يعتبر هذا الدليل من القياس المنطقي يتكون من صغرىٰ وكبرى.

(5) انظر: السيوطي، الاتقان، ج4، ص210؛ الزرقاني، مناهل العرفان، ج2، ص61؛ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص168.

صغرى القياس غير تامّة؛ لأنّ الظن الراجح يعتبر نوعاً من أنواع العلم، وكذلك الكبرى؛ لأن حرمة الظن ومنعه تكون بحيث يمكن الوصول إلى القطع العقلي والنقلي؛ أمّا في حالة عدم الوصول إلى القطع، فإنّ الظنّ يقوم مقامه؛ بل إن هناك دليلاً قطعياً على العمل بالظنّ[1] وهو الآية ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[2].

المناقشة

يبدو أنّ أدلّة الموافقين غير كافية؛ لأنّ الظن علىٰ نوعين:

الأوّل: الظن المعتبر كالخبر الواحد الموثق الذي يقوم مقام العلم (هُناك من اعتبرهُ من العلم العادي).

الثاني: الظنّ غير المعتبر كالخبر الضعيف المشمول بالنهي عن العمل بغير العلم والظن؛ أما التفسير بالرأي، فهو من موارد الظن غير المعتبر؛ لأنّ المفسِّر الذي لا يرجع إلى القرائن النقليّة أو العقليّة، أو يقوم بتحميل رأيه على القرآن، فهو في الحقيقة، يقوم ببيان ظنّه ورأيه الشخصي، ولا يعتبر علماً، والشارع لم يعتبره كذلك، ولا تشمله الآية (286) من سورة البقرة؛ لأنّ الشخص الذي يستخدم هذا المنهج لم يبذل جهده، ولم يقم بمراجعة القرائن العقلية والنقلية.

ثانياً: روايات المنع من التفسير بالرأي.

ثمّة روايات متعددة في مصادر الشيعة والسنّة، يمكن تقسيمها إلى عدة مجموعات:

---

(1) انظر: مناهل العرفان؛ أصول التفسير وقواعده، البحث المتقدم.

(2) سورة البقرة، الآية: 286.

أ ـ الروايات الّتي تدين وتذم التفسير بالرأي فقط، وتذكر مجازاتهم وهي:

1 ـ عن النبي (ص) أنّه قال: «من فسّر القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار»[1].

2 ـ عن النبي (ص) قال: «من قال في القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار»[2].

ملاحظة: لقد ورد الذم في هذه الروايات بصورة مطلقة.

3 ـ عن الصادق (ع) أنّه قال: «من فسّر برأيه آية من كتاب الله، فقد كفر»[3].

4 ـ في عيون أخبار الرضا (ع) للصدوق عن ابن المتوكل (محمد بن موسى ابن المتوكل)، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريّان ابن الصلت، عن علي بن موسىٰ الرضا (ع)، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (ع) قال: «قال رسول الله (ص)، قال الله جلّ جلاله: ما آمن بي مَنْ فسّر برأيه كلامي»[4].

ملاحظة: سند هذه الرواية صحيح ومعتبر[5].

---

(1) مقدمة **تفسير البرهان**، ص16؛ **الميزان**، ج3، ص75.

(2) **سنن الترمذي**، ج5، ص199؛ **تفسير القرطبي**، ج1، ص27؛ **كنز العمال**، ج2، ص10، والحديث حسن في سنن الترمذي.

(3) **تفسير البرهان**، ج1، ص19.

(4) الصدوق، **عيون أخبار الرضا** (ع)، ج1، ص116؛ **بحار الأنوار**، ج89، ص107؛ أمالي الصدوق، ص6، الحديث 3.

(5) محمد بن موسى ابن المتوكل ثقة (الخوئي، معجم رجال الحديث، ج17، ص284 ـ 285)، وعلي بن إبراهيم وأبوه وثاقتهم مشهورة عند رجال الحديث، والريّان بن الصلت، ثقة أيضاً (المصدر نفسه: ج7، ص209، 210).

ب ـ الروايات الّتي تعتبر التفسير بالرأي نوعاً من أنواع الكذب، والقول بغير علم:

1 ـ عن النبي (ص) قال: «من فسّر القرآن برأيه، فقد افترى على الله الكذب»[1].

2 ـ عن النبي (ص) قال: «من قال في القرآن بغير علمٍ، فليتبوأ مقعده من النار»[2].

ملاحظة: المقصود من هذا النوع من الأحاديث، هو أن التفسير بالرأي، هو قول بغير علم، ونسبة شيء إلى الله بغير علم، يعتبر نوعاً من أنواع الافتراء والكذب على الله.

3 ـ عن أمير المؤمنين (ع) قال لمدّعي التناقض في القرآن: «إيّاك أن تفسّر القرآن برأيك، حتى تفقهه عن العلماء، فإنه ربّ تنزيل يشبه كلام البشر، وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر»[3].

ج ـ الروايات الّتي تدين التفسير بالرأي من جهة كونه ضلالاً:
عن الباقر (ع) قال: «ويحك يا قتادة، إن كنت إنما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك، فقد هلكت وأهلكت»[4].

ملاحظة: الهلاك في هذه الأحاديث ليس بمعنى العذاب الأُخروي فقط، بل الهلاك الدينوي أيضاً؛ أي الضلال، لأنّ الهلاك يشمل السامع أيضاً، ولذلك، فإنّ هذا النوع من الأحاديث ـ التفسير بالرأي دون الاستفادة من القرائن العقلية والنقلية (أحاديث

---

(1) مقدمة تفسير البرهان، ص16.

(2) **الميزان**، ج3، ص75، نقلاً عن منية المريد.

(3) الصدوق، **التوحيد**، الباب 36، ص264 (طبعة بيروت).

(4) مقدمة **تفسير البرهان**، 16.

المعصومين (ع)) ـ يؤدي إلى هلاك وضلال المفسر والآخرين معاً، وقد ذُمّ من هذه الناحية.

د ـ الأحاديث الّتي تدين التفسير بالرأي، وإن كانت نتيجته صحيحة:

1 ـ عن الصادق (ع) أنّه قال: «من فسّر القرآن برأيه، إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ، فهو أبعد من السماء»[1].

2 ـ عن النبي (ص) قال: «من قال في القرآن برأيه، فأصاب، فقد أخطأ»[2].

مناقشة الأحاديث

يمكن مناقشة أحاديث ذم التفسير بالرأي من جهتين:

الأولىٰ: من جهة السند

كثير من هذه الأحاديث إما ضعيف أو مرسل إلا الحديث الوارد في الفقرة (أ/ 4)، فهو صحيح، والحديث في الفقرة (أ/ 2) عند أهل السنّة فهو حسن. وبسبب كثرة هذه الأحاديث في مصادر الفريقين، بل تواترها كما يرىٰ بعض المحقّقين الكبار[3]، والمتخصّصين في علوم القرآن[4]، والظاهر أن المقصود هو التواتر المعنوي، فسوف نغض النظر عن البحث السندي.

(1) مقدمة **تفسير البرهان**، 16، ويشبه هذا الحديث في ص28؛ بحار الأنوار: ج89، ص110.

(2) أبو داود السجستاني، **سنن الترمذي**، 4 كتاب تفسير القرآن، الحديث 2961.

(3) السيد الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، 269؛ الشيخ الأنصاري، **فرائد الأصول**، ج1، ص139.

(4) عميد الزنجاني، **مباني وروشهاني تفسير قرآن**، ص221.

الثانية: من جهة المتن

يمكن الحصول من مجموع هذه الأحاديث على النقاط التالية:

1 ـ إن التفسير بالرأي، يعتبر من الذنوب الكبيرة؛ لأنّه قد ورد الوعد عليه بالنار، ولهذا يعتبر من الأخطار الكبيرة.

2 ـ إنّ التفسير بالرأي هو «منهج خاطىء» في التفسير، وإنّ ذمّه وإدانته ليس من جهة النتائج الخاطئة المترتبة عليه، لأنّه حتىٰ مع صحة النتائج فهو مذموم وخاطىء أيضاً، كما ورد في الروايات. وبعبارة أُخرىٰ: إنّ المنهج نفسه له موضوعيّة في الحكم، وإذا كان المنهج خاطئاً (حتى وإنْ أدّىٰ إلى نتائج صحيحة في بعض الأحيان)، فهو مُدان ومذموم[1]. لأنّه في هذهِ الحالة، يكون قد نسب شيئاً إلى الله سبحانه وتعالى، دون أيّ حجّة ودليل؛ ولهذا السبب يكون المفسّر قد ارتكب خطأً (مفاد الأحاديث ب، د).

إنّ هذه المسألة هي من المسائل العقلائية، فإذا ما زعم أحد الأشخاص بأنّه طبيب وعالج أحد المرضى على هذا الأساس، وشُفي هذا المريض عن طريق الصدفة فسوف يلام من قِبَل العقلاء على هذا الفعل أيضاً، ولا يكافَأ على هذا العمل طبقاً للقوانين العقلائية للبشر، بل يُحكم عليه بالسّجن، بدلاً عن ذلك، لأنّه قد ارتكب جريمة باستخدامه المنهج الخاطىء (وإنْ وصل إلى الواقع صدفة).

---

(1) أشار العلاّمة الطباطبائي إلى هذه النقطة في مورد روايات التفسير بالرأي فقال: «فالتفسير المنهي عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف». (**الميزان**، ج3، ص76).

ملاحظة: وعكس هذه الحالة صحيح أيضاً، طبقاً لرأي العقلاء؛ فإذا ما قام أحد الأطباء بعملية جراحية خاطئة، وفق المنهج العلمي الصحيح، فإنّ هذا الخطأ يُغفر له، ويُتجاوز عنه، ولا يُلام عليه من قبل الآخرين؛ لأنّه أجرىٰ هذه العملية وفقاً للطريقة العلمية الصحيحة، وإنْ وقع هذا الخطأ اشتباهاً، وهذا خلاف ما إذا سلك منهجاً خاطئاً، أو لم يكن لديه التخصّص الكافي، وهذا ما تشير إليه الفقرة (د) من أحاديث التفسير بالرأي.

3 - إنّ المنع عن التفسير بالرأي يعتبر حكماً إرشادياً[1]، أي إنه غير مقبول عند العقلاء؛ لأنّه لا يحق للإنسان أنْ يُبدي رأيه في إحدى المسائل العلمية دون وجود التّخصص الكافي فيه، كما هو الحال بالنسبة إلى المثال السابق (الطبيب). ومثل هذه المسألة، تجري في التخصّصات الأُخرىٰ، فلا يُقبل فيها آراء غير المتخصّصين في ذلك المجال، بل يلامون على ذلك؛ لأنّ رواج مثل هذه الأُمور في المجتمع يؤدي إلى نتائج خاطئة، وعواقب وخيمة.

ولعل بعض أحاديث التفسير بالرأي، تشير إلى هذه المسألة أيضاً، كما جاء في أحاديث الفقرة (ج) أن هذا المنهج يؤدي إلى الهلاك. وفي أحاديث الفقرة (ب) الّتي اعتبرت التفسير بالرأي نوعاً من أنواع الكذب على الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ القول بغير علم بالنسبة للآيات، ونسبة ذلك إلى الله (المُراد من الآية، هو المطلب الفلاني) يعتبر نوعاً من الكذب، فتفسير القرآن عن طريق أفراد غير

(1) اعتبر الأستاذ عميد الزنجاني في كتابه: **مباني وروشهاني تفسير قرآن**، ص229، 230 أن المنع عن التفسير بالرأي يعتبر حكماً إرشادياً، وإنْ كنّا نختلف معه في توضيح هذه المسألة، وسوف نقوم ببيان هذا المطلب في بحث الآراء.

متخصّصين، يفتقدون إلى المعرفة يعتبر نوعاً من التفسير بالرأي.

4 ـ لقد أُضيف الضمير إلى الرأي «برأيه»، وهذا يعني أنّ كل شخص يقوم بتفسير القرآن على أساس الرأي الشخصي، فإنّ مصيره جهنّم، وليس التفسير بمطلق الرأي؛ أي إذا فسَّر الشخص القرآن على أساس رأيه الشخصي، فإنّ مصيرهُ جهنم، وهذا في الواقع يقوّي الرأي القائل بأن «الباء» في كلمة «برأيه» هي باء السببيّة، أيّ أن الباعث على تفسير القرآن هو النظر الشخصي.

5 ـ كما بيّنّا في البحوث السابقة في معنى «الباء» فإنها قد تكون بمعنى الاستعانة (الاستعانة بالرأي في تفسير القرآن) أو بمعنى السببيّة (القيام بالتفسير بسبب الرأي)، ولكن بالتدقيق في هذه الأحاديث، يتضح أن معنى الاستعانة هو أكثر تناسباً مع ظاهر الروايات؛ لأنّ لسان الروايات لا يشير إلى أنّ الشخص قام بالتفسير من أجل أسباب شخصية، بل إنّ لسانها يشير إلى قيام الشخص بتفسير القرآن بالاستعانة برأيه الخاص، وإنْ وصل إلى الواقع مصادفةً (ولكن منهجه خاطىء، لأنّه لم يستفد من القرائن العقلية والنقلية في التفسير). ويمكن أنْ يُسْتشم معنى السببيّة من بعض الأحاديث، (أمثال الروايات في الفقرة «ب»)؛ وذلك لأنّه لا يوجد كذب وافتراء دون قصد قبلي، وبواعث سيئة، ولا يمكن نفي ذلك بصورة تامّة.

6 ـ وهناك نقطة مهمة لا بدّ من الالتفات إليها، وهي أنّ القرآن قد أمرنا بالتدبّر والتعقّل من جانب، ومن جانب آخر جاء النهي عن التفسير بالرأي في روايات أُخرى، وعند مقارنة هذه الروايات مع آيات القرآن، يتضّح أنّه ليس المقصود بالرأي هنا، هو التفكر والتدبر في القرآن، بل هو إعمال النظر

والأذواق الشخصية، بالإضافة إلى الترويج لهذه الآراء، وعرضها على شكل تفسير؛ ولذلك جاء التأكيد في بعض الأحاديث على كلمتي: «التفسير»، و «قال»، وبعبارة أُخرى: إذا توصل المفسِّر إلى نتائج شخصية معيّنة عن طريق التفكر في آيات القرآن، ولم يعرض هذه النتائج على الآخرين، ولم ينسب ذلك إلى الله والقرآن، فإنّه لا يكون مصداقاً للتفسير بالرأي؛ وذلك لاحتفاظه بآرائه الشخصية إلى حين دراسة القرائن العقلية، والنقلية، ومراجعة مصادر التفسير، وآراء الآخرين، والاستفادة من القنوات الصحيحة للتفسير، وفي هذه الحالة يكون تفسيره تفسيراً صحيحاً. أمّا إذا نسب رأيه الشخصي الابتدائي إلى القرآن، دون مراجعة القرائن العقلية، والنقلية، ومصادر التفسير، ثم يقوم بعرض ذلك على أنّه تفسير للقرآن، فإنّه يكون مشمولاً بهذه الروايات. وبعبارة أوضح: إنّ مفاد روايات المنع من التفسير بالرأي، هو عدم جواز التعامل مع القرآن على أنّه كلام عادي[1]، كما نتعامل مع كتب اللغة، في تفسير الشعر، والمتون الأُخرى، بل لا بدّ من الاستفادة من المناهج والقنوات الخاصة والالتفات إلى القرائن العقلية، والنقلية في التفسير.

أدلة المؤيدين على التفسير بالرأي

استدل الموافقون على التفسير بالرأي بالأدلة التالية:

أ ـ الآيات القرآنية الّتي تحثّ الإنسان على التفكر والتدبّر،

---

(1) أشار العلاّمة الطباطبائي إلى هذه المسألة، فقال: إنما نهىٰ عن تفهم كلامه على نحو ما يتفهم كلام غيره. (**الميزان**، ج3، ص76).

كالآية ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[1]، والآية الّتي تشير إلى مسألة الاستنباط من القرآن وهي: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[2].

التوضيح: ورد الحثّ في هذه الآيات على التفكر والتدبّر في آيات القرآن، وأشارت الآية السابقة إلى أنّ أصحاب العقول والفهم يمكنهم الاستنباط من القرآن، والوصول إلى المطالب القرآنية عن طريق الاجتهاد والعقل[3]. نعم، فإنّه لا توجد موضوعية لنفس التدبّر والتفكّر، بل الهدف من ذلك هو الفهم والاستنباط والإدراك.

ولا معنى لأن يحثنا الله (سبحانه وتعالى) على استخدام العقل والتدبّر، ثم يقف حائلاً دون استعمال الاجتهاد والنظر والرأي.

المناقشة

أ ـ لقد خلط بين مورد التفسير بالرأي، مع التفسير العقلي والتدبّر وفهم القرآن، فما ورد في هذهِ الآيات، هو الترغيب والحث على التدبّر في فهم القرآن، وأنّه يجوز الاجتهاد والاستنباط من الآيات بعد مراجعة القرائن العقلية، والنقلية، والتدبّر فيها. أمّا بالنسبة إلى المفسّر بالرأي، فإنّه يعلن رأيه الشخصي قبل الرجوع إلى هذه القرائن، ويقوم بتحميل نظره الشخصي على الآيات. وكما مرّ سابقاً في روايات التفسير بالرأي، فإنّ المنع من التفسير بالرأي لا يعني المنع من التدّبر، والتفكّر في آيات القرآن.

---

(1) سورة النساء: الآية: 82. ورد هذا المضمون نفسه في سورة ص: الآية 29.

(2) سورة النساء: الآية 83.

(3) خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، ص169؛ الزرقاني، **مناهل العرفان**، ج2، 65 (نقل بالمضمون مع التصرف بالعبارة).

ب ـ إنّ المنع من التفسير بالرأي يعني عدم جواز الاجتهاد في التفسير؛ ما يؤدّي إلى تعطيل الكثير من الأحكام، وهذا الأمر باطل بالضرورة؛ لأنّ النبي (ص) لم يُفسِّر جميع الآيات، فلا بدّ للمجتهد من استنباط الأحكام من القرآن، وإذا ما أخطأ في ذلك فهو مأجور أيضاً[1].

المناقشة

إنّ الاجتهاد في الأحكام على قسمين: الاجتهاد قبل مراجعة القرائن العقلية والنقلية.

والثاني: الاجتهاد بعد مراجعة القرائن العقلية والنقلية، والأوّل ممنوع؛ لأنّه اجتهاد وفتوى بغير دليل، والآخر جائز لأنّه اجتهاد صحيح.

وكذلك الاجتهاد في التفسير، فإنّه ينقسم إلى هذين القسمين أيضاً، فيطلق على القسم الأوّل التفسير بالرأي، وعلى الثاني التفسير الاجتهادي الصحيح.

ج ـ لقد قرأ أصحاب النبي (ص) القرآن، واختلفوا في تفسيره، ولأن جميع أقوالهم الّتي اختلفوا فيها لم تؤخذ جميعها من النبي (ص) قطعاً، بل اعتمدوا فيها على آرائهم الشخصية، واجتهدوا في مقابل بعضهم البعض، فإنْ كان التفسير بالرأي حراماً، فهذا يعني أنّ الصحابة قد ارتكبوا الحرام[2].

---

(1) **أصول التفسير وقواعده**، ص169؛ **مناهل العرفان**، ج2، ص66.

(2) **الميزان**، ج3، ص76 وما بعدها. (بتلخيص مع التصرف قليلاً بالعبارة).

المناقشة

لا بد من الالتفات إلى نقاط عدة في مسألة اختلاف الصحابة في التفسير:

أوّلاً: يمكن أنْ يكون ذلك الاختلاف نتيجة لوصول أخبار مختلفة للصحابة عن الرسول (ص) (الشك هنا في طريق وصولها إليهم)، أو يكون ناشئاً عن اختلاف فهمهم لكلام رسول الله (ص).

ثانياً: يحتمل أنْ يكون تفسيرهم ناشئاً عن الاختلاف في فهم الآيات المتشابهة، أو الجمع بين الناسخ والمنسوخ، أو العامّ والخاصّ، وأمثال ذلك، وهذا أمر طبيعي ولا يعتبر من التفسير بالرأي.

ثالثاً: لم يثبت أنّ الصحابة قاموا بتفسير القرآن في كل الموارد دون مراجعة المعايير المعتبرة في التفسير، أو دون مراعاة القرائن العقلية، والنقلية، والالتفات إلى الآيات المُحكمة، حتى يصبح فعلهم مبرِّراً للتفسير بالرأي.

رابعاً: على فرض أنّ بعض الصحابة قد تورّط في التفسير بالرأي عن طريق الغفلة، أو السهو أو... فلا يوجد دليل على عصمتهم لكي يكون عملهم دليلاً على جواز التفسير بالرأي.

د ـ لقد دعا النبي (ص) لابن عباس فقال: «اللهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأويل». فإذا كان مقصود النبي (ص) من التأويل، هو رواية المسائل النقليّة والسمعيّة، فإنّ مثل هذا الأمر لا يختص بابن عباس، فيُعلم من ذلك أنّ التأويل يقع في مقابل الرواية والنقل، وهو التفسير الاجتهادي، والتفسير بالرأي[1].

---

(1) **أُصول التفسير وقواعده**، ص170؛ **مناهل العرفان**، ج2، ص65، 66.

المناقشة

توجد نقاط عدة جديرة بالملاحظة، بالنسبة إلى هذا الحديث علىٰ فرض صحته:

أوّلاً: إن التأويل ينقسم إلى عدة أقسام، كما هو الحال في التفسير، فأحياناً يكون مصحوباً بالقرائن العقلية والنقلية القطعية، وفي هذه الحالة يكون صحيحاً ومعتبراً، وأُخرى غير معتبر، إذا كان مجرداً عن الدليل.

ثانياً: لقد خلط هنا بين التفسير الاجتهادي (بعد مراجعة القرائن العقلية والنقلية)، والتفسير بالرأي، وقد تبيّن في ما سبق أنّهما ليسا بمعنى واحد.

النتيجة

من مجموع أدلّة المعارضين لهذا المنهج في التفسير، يتّضح أنّ هذه الأدلّة (المنع من التفسير بالرأي) قويّة ومقبولة، وأنّ هذا المنهج يعتبر منهجاً خاطئاً، وأن أدلة الموافقين ضعيفة لا تنهض لأن تكون أساساً للعمل بهذا المنهج كما مرّ سابقاً.

الخلاصة

استفدنا من خلال المباحث السابقة ما يلي:

1 ـ إنّ منهج التفسير بالرأي منهج مذموم، ولا بدّ من معرفته والاطلاع عليه للاجتناب عنه.

2 ـ إنّ معنى «الرأي» في منهج «التفسير بالرأي»، هو العقيدة والرأي والذوق الشخصي الذي ينبع من الظنّ، وإنّ هناك ثلاثة معانٍ للمراد من «الباء»، هي: باء السببية، والباء

الزائدة، وباء الاستعانة، وإنّ المعنىٰ الثالث هو الظاهر من الحديث.

3 ـ من مجموع الأحاديث يتّضح أنّ بداية هذا المنهج كانت في زمن الرسول (ص)، واستمر في زمن الأئمة (ع)، واتسع وتطور في العصر الحاضر مع ظهور المدارس الإلحادية.

4 ـ استدلّ المعارضون للتفسير بالرأي بالآيات الّتي تدلّ على منع نسبة غير العلم إلى الله، وهو استدلال مقبول.

5 ـ استدلّ المعارضون للتفسير بالرأي بالروايات الّتي تدلّ على منع التفسير بالرأي، والّتي تنقسم إلى أربعة أقسام.

6 ـ بعض روايات التفسير بالرأي تعتبر صحيحة عند علماء الرجال من الشيعة والسنّة؛ بل هناك من ذهب إلى تواتر هذه الروايات.

7 ـ يستفاد من روايات التفسير بالرأي ما يلي:

أ ـ إنّ التفسير بالرأي من الذنوب الكبيرة.

ب ـ إنّ التفسير بالرأي، هو منهج خاطىء في التفسير.

ج ـ إنّ المنع من التفسير بالرأي يكون في موارد إبراز النظر الشخصي للمفسّر، وليس مطلق النظر، ولهذا لا يُعتبر التدبّر والتفكّر في الآيات مصداقاً من مصاديق التفسير بالرأي.

د ـ إنّ المنع من التفسير بالرأي يعتبر حكماً إرشادياً، وهو مذموم وممنوع عند العقلاء.

8 ـ أدلة المؤيدين ليست تامّة، ولا تثبت هذا المنهج في التفسير.

13

منهج التفسر بالرأي (2)

الآراء حول التفسير بالرأي

لقد ذكر العلماء والمفسّرون آراء متباينة حول مفاد روايات التفسير بالرأي، وسنعرض لأهمها مع النقد والتحليل:

1 - العلاّمة الطباطبائي

قال في هذا المورد: «والحاصل أنّ المنهي عنه إنّما هو الاستقلال في تفسير القرآن، واعتماد المفسّر على نفسه من غير رجوع إلى غيره، ولازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه»[1]. ثم خَلُص إلى القول بأنّه لا بدّ من الاستعانة بنفس القرآن في مجال التفسير؛ لأنّ هذا الغير لا محالة، إمّا هو الكتاب أو السنّة، وكونه السنّة ينافي القرآن ونفس السنّة الآمرة بالرجوع إليه، وعرض الأخبار عليه، فلا يبقىٰ للرجوع إليه والاستمداد منه في

(1) **الميزان**، ج3، ص77.

تفسير القرآن إلا نفس القرآن[1].

وذكر في مكان آخر، أنّ المقصود من روايات المنع من التفسير بالرأي هو النهي عن المنهج والطريق، وليس المنع عن المكشوف. وبعبارة أُخرىٰ: إنّما نهىٰ (ع) عن تفهّم كلامه على نحو ما يُتفهم به كلام غيره[2]. ورغم أنّ ألفاظ القرآن عربية، رُوعي فيها جميع ما يُراعىٰ في الكلام العربي، ولكن الاختلاف جاء من جهة المراد، والمصداق الذي ينطبق عليه مفهوم الكلام، ثم ضرب مثلاً لذلك بصفات وأسماء الله تعالى الّتي تختلف مصاديقها مع المصاديق العادية[3].

المناقشة

أشار إلى أحد أقسام التفسير بالرأي (الاستقلال بالرأي دون مراجعة الآيات الأُخرىٰ في القرآن)، ولكن التفسير بالرأي لا ينحصر بهذا المعنىٰ فقط؛ فإذا ما قام أحد المفسّرين بتفسير آية دون مراجعة السنّة القطعية مثلاً؛ فإنّ مثل هذا التفسير سوف يكون داخلاً في مصاديق التفسير بالرأي أيضاً. وكذلك إذا أقدم أحد الأشخاص على التفسير دون وجود التخصص الكافي. ويمكن استفادة هذا المطلب من مجموع الأحاديث الواردة في الفقرة «ب» للتفسير بالرأي.

2 ـ الإمام الخميني والسيد الخوئي

فسّر السيد الخوئي أحاديث التفسير بالرأي فقال: «ويحتمل أنّ معنى التفسير بالرأي، الاستقلال في الفتوى، من غير مراجعة

---

(1) المصدر نفسه.

(2) **الميزان**، ج3، ص76.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص78 ـ 80.

الأئمة (ع) مع أنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسّك ولزوم الانتهاء إليهم، فإذا عمل الإنسان بالعموم أو الإطلاق الوارد في الكتاب ولم يأخذ التخصيص، أو التقييد الوارد عن الأئمة (ع)، كان هذا من التفسير بالرأي، وعلى الجملة حمْل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتّصلة والمنفصلة من الكتاب والسنّة، أو الدليل العقلي لا يعدّ من التفسير بالرأي[1].

وكذلك نُقل عن الإمام الخميني أنّه قال:

«فإنّ من المحتمل، بل من المظنون أنّ التفسير بالرأي يتعلق بآيات الأحكام الّتي لا تصلها الآراء والعقول، والّتي يجب أخذها بحالة التعبّد الصرف والانقياد التامّ من خزّان الوحي ومهابط ملائكة الله، كما هو الحال، مع أكثر الروايات الشريفة الواردة في هذا الباب، والّتي وردت لمواجهة فقهاء العامّة الذين أرادوا أنْ يفهموا دين الله بعقولهم وبالقياس»[2].

المناقشة

لقد جاء في هذين الرأيين (الرؤيتين) أنّ أحاديث التفسير بالرأي وردت في المجال الفقهي (الآيات الفقهية في القرآن)، في حين أن التفسير بالرأي لا ينحصر في هذه الموارد فقط؛ لأن لفظ القرآن والكتاب جاء في الروايات بصورة مطلقة، تشمل آيات الأحكام وغيرها. فإذا ما أقدم أحد الأشخاص على تفسير آية من الآيات المتعلقة بالعقائد دون مراجعة القرائن النقلية، والعقلية (أعم من

---

(1) **البيان**، ص287، 288.

(2) الإمام الخميني، **پرواز در ملكوت** مصدر سابق، ج2، ص115؛ أحمد الفهري، **نهضت زنان مسلمان**، 1359 هـ. ش.

الآيات، وروايات أهل البيت (ع))، فسوف يكون مشمولاً بحرمة التفسير بالرأي.

ملاحظة: من الأُمور اللافتة للنظر أنّ العلاّمة الطباطبائي اعتبر معنى التفسير بالرأي هو الاستمداد من غير القرآن في التفسير (وإنْ كان هذا الغير هو الروايات)، في حين اعتبر آية الله الخوئي أنّ معنى التفسير بالرأي هو عدم الاستفادة من الروايات في التفسير. وقد تناولنا هذه الآراء في مبحث تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الروائي.

3 ـ الشيخ الأنصاري

قال في مورد التفسير بالرأي:

«إنّ من المعلوم أنّ هذا لا يسمّىٰ تفسيراً، إذ التفسير هو كشف القناع، ولو سلّمنا كون مطلق حمْل اللفظ على معناه تفسيراً؛ ولكن الظاهر أن المراد بالرأي هو الاعتبار العقلي الظنّي الراجع إلى الاستحسان، فلا يشمل حمل ظواهر الكتاب على معانيها اللغوية والعرفية. وعلى هذا، فالمراد بالتفسير بالرأي: إمّا حمْل اللفظ على خلاف ظاهره، أو أحد احتمالين (إذا كان هناك احتمالان أو أكثر) من دون دليل لرجحان ذلك في نظره، أو حمْل اللفظ على المعنى اللغوي، والعرفي في بادىء الرأي، دون الأخذ بنظر الاعتبار القرائن النقلية والعقليّة»[1].

المناقشة

في الحقيقة، لا يعتبر كل حمْل للفظ على خلاف ظاهر الآية

---

(1) الأنصاري، فرائد الأصول، ج1، ص142، 143.

من التفسير بالرأي. فقد يكون مقصود الشيخ، هو فعل ذلك دون دليل، أو على أساس النظر الشخصي.

4 - آية الله معرفة

قسّم مفاد أحاديث التفسير بالرأي إلى نوعين، هما:

أ - أنْ يعمد قوم إلى آية قرآنية، فيحاولوا تطبيقها على ما قصدوه من رأي، أو عقيدة، أو مذهب، أو مسلك، تبريراً لما اختاروه في هذا السبيل ولم يقصدوا تفسير القرآن، وهذا هو المراد بقوله (ص): «فقد خرّ بوجهه أبعد من السماء» أو «فليتبوأ مقعده من النار».

ب - الاستبداد بالرأي في تفسير القرآن، مجانباً طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام، ولا سيّما كلامه تعالى، فإنّ للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل وطرقاً منها: مراجعة كلام السلف، الوقوف على الآثار الواردة حول الآيات، وملاحظة أسباب النزول، إلى غير ذلك من الشروط الّتي يجب توفرها في المفسّر؛ فالغفلة عن هذه الأُمور، والاعتماد على الفهم الخاص مخالفان لطريقة السلف والخلف في التفسير، ومن استبدّ برأيه هلك، ومن قال على الله بغير علم، فقد ضلّ سواء السبيل، ولهذا فإنّه قد أخطأ وإن أصاب الواقع، لأنّه أخطأ الطريق»[1].

5 - يرى القرطبي

إنّ أحاديث المنع من التفسير بالرأي يمكن أن تكون على معنيين:

أ - أنْ يكون له (المفسر) في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه

---

(1) **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، ج1، ص69، 70.

وهواه، ويفسّر القرآن طبقاً لهواه، ويستدلّ على رأيه بهذه الوسيلة، بحيث لو لم يكن عنده ذلك الرأي لما لاح له ذلك المعنى من القرآن.

ويمكن تصور هذا المعنى على صورتين: فتارة يكون مع العلم، وذلك عندما يحتج على تصحيح بدعته، ببعض آيات القرآن، وأُخرى يكون مع الجهل في ما، إذا كانت الآية محتملة لاحتمالين، فيميل برأيه إلى الوجه الذي يوافق غرضه.

ب ـ أنْ يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، دون الأخذ بنظر الاعتبار القرائن النقلية والأدبية[1].

6 ـ الذهبي

ذكر الصورتين (أ) و(ب) في كلام القرطبي وقسمهما إلى ستة أقسام، أربعة منها متعلقة بالصورة (أ) واثنان منها تابعان إلى (ب) وهي:

1 ـ أ) أنْ يكون المعنى الذي يقصده المفسّر صحيحاً، فيحاول أن يحمل عليه لفظ القرآن، دون وجود أيّ دلالة.

2 ـ أ) أنْ يكون المعنى الذي يقصده المفسّر صحيحاً؛ فيحاول سلب لفظ القرآن عن دلالته، ويحمله على ما يريده.

3 ـ أ) أنْ يكون المعنى الذي يقصده المفسّر خاطئاً؛ فيحمل لفظ القرآن على هذا المعنى.

4 ـ أ) أنْ يكون المعنى الذي يقصده المفسّر خاطئاً؛ فيحاول أن يسلب لفظ القرآن عن معناه الأصلي، ويحمله على المعنى المقصود.

---

(1) **تفسير القرطبي**، ج1، ص32 ـ 34.

أما بالنسبة للجهة الثانية فهي تقع على صورتين أيضاً:

1 ـ ب) أن يكون للآية معينان أو أكثر، وألفاظ الآية تحتمل المعنى الذي ذكره المفسر لغة ولكنه غير مراد.

2 ـ ب) أنْ يكون اللفظ موضوعاً لمعنى بعينه، ولكن المقصود معنى آخر (غير ما وضع له اللفظ، ويمكن فهمه من خلال القرينة)[1].

ثم قسّم التفسير بالرأي إلى قسمين: ممدوح ومذموم، واعتبر الممدوح مرادفاً للتفسير العقلي الذي يقع في قبال التفسير النقلي[2].

المناقشة

اتّضح لنا في ما سبق أنّ منهج التفسير بالرأي يختلف عن التفسير العقلي، وسوف نقوم بمناقشة هذه المسألة عندما نتناول كلام الزرقاني.

7 ـ الشيخ مكارم الشيرازي

قال في شأن التفسير بالرأي: «ففي كل مورد يتّخذ الإنسان عقيدة من العقائد، ويسعى إلى تلفيق الشواهد من القرآن، وأحاديث النبي (ص) وأهل البيت (ع)، وعندما لا يجد فيهما ما يؤيد عقيدته، يقوم بانتخاب بعض الآيات والروايات، ويفسّرها خلاف ظاهرها، دون وجود أي قرينة على ذلك، لكي توافق عقيدته، ورأيه الشخصي»[3].

---

(1) الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج1، ص281 ـ 284.

(2) المصدر نفسه، 284، 285.

(3) آية الله مكارم الشيرازي، **تفسير به رأي**، ص23.

وقال في مكان آخر: إنّ أحد معاني التفسير بالرأي، هو التسليم والقبول بالقواعد الأدبية واللغوية في فهم الجمل والكلمات القرآنية، ولكن يقع التحريف عند تطبيق الآية على مصاديقها، فيقوم باختيار بعض الموارد الّتي ليست من مصاديق الآية، على أساس الذوق والرأي الشخصي[1].

8 ـ الأستاذ عميد الزنجاني

قال في معنى التفسير بالرأي: «إنّ التفسير بالرأي، هو أن يكون محور الاستنباط فيه هو نظر ورأي المفسّر، حيث يكون حراً في فهم معاني الآيات ومقاصدها، وليس مقيّداً في حدود معيّنة، وهذه النظرية تقع مقابل التفسير النقلي تماماً»[2].

ثم ذكر روايات التفسير بالرأي، والمعاني الثلاثة للباء في «برأيه» واختار معنى الاستعانة، فقال: «إنّ المفسّر بالرأي يستعين برأيه الشخصي فقط في استخراج مقاصد القرآن، دون الالتفات إلى الطريق الطبيعي والجهات اللازمة، والاستمداد من المبادىء والمقدمات المقررة في التفسير»[3].

وفي الختام خلص إلى القول: إنّه بالرغم من أنّ أحاديث التفسير بالرأي ممنوعة شرعاً وعقلاً على جميع معاني «الباء» (الاستعانة، زائدة [جعل الرأي مصداقاً للتفسير]، والسببيّة) إلا أن المعنى الثاني، هو المقصود من روايات التفسير بالرأي[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص27.

(2) **مباني وروشهاني تفسيري**، ص249 (الطبعة الرابعة).

(3) المصدر نفسه، ص257.

(4) المصدر نفسه، ص257، 258.

9 ـ عبد الرحمن العك

بدأ البحث تحت عنوان «المنهج العقلي» ثم قال: وللعلماء تسمية للتفسير العقلي هي: «التفسير بالرأي».

ويطلق الرأي في اللغة على: الاعتقاد، العقل، التدبير، كما يطلق في الاصطلاح على الاجتهاد، ومنه أُطلق على «أهل الفقه» أصحاب الرأي. وعلى ما تقدم، فإنّ التفسير بالرأي: هو التفسير بالعقل والاجتهاد[1]. ثم ذكر أدلّة الموافقين والمخالفين، ثم خلص إلى القول بأنَّ: «الرأي قسمان: قسم جارٍ على موافقة كلام العرب ومناحيهم في القول، مع موافقة الكتاب والسنّة، ومراعاة سائر شروط التفسير، فهذا القسم جائز، لا شكّ فيه، وعليه يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي. وقسم غير جارٍ على قوانين العربية، وليس موافقاً للأدلة المرعية ولا مستوفياً لشروط التفسير وهذا هو مورد النهي ومحطّ الذمّ»[2].

المناقشة

ذهب الشيخ العك إلى أنّ التفسير بالرأي ينقسم إلى قسمين، وقد بحثنا هذا الرأي عند تناولنا لكلام الزرقاني. وهناك عدة نقاط في هذا الكلام جديرة بالتأمل:

أوّلاً: اعتبر التفسير بالرأي مرادفاً للتفسير العقلي، في حين أنّ هناك اختلافاً كبيراً بين التفسير بالرأي والتفسير العقلي الذي يستفيد من القرائن العقلية في فهم وتوضيح آيات القرآن (ذكرنا ذلك في

(1) خالد عبد الرحمن العك، **أُصول التفسير وقواعد**، ص167، وقد ذكر الدكتور محمد حمد زغلول رأياً مشابهاً في كتابه التفسير بالرأي، ص107.

(2) المصدر نفسه، 171.

مبحث التفسير العقلي)، بينما التفسير بالرأي هو الاستفادة من النظر والرأي الشخصي (وليس الدليل العقلي القطعي) في تفسير القرآن.

ثانياً: لم نجد في كتب اللغة أنّ معنى الرأي هو العقل والتدبير، وكذلك لم يذكر المصدر الذي استند إليه في ذلك، وكما مرّ سابقاً فإنّ بعض المفسّرين المعاصرين انكروا استخدام الرأي في معنى الإدراك العقلي.

10 ـ توصل الزرقاني بعد دراسة أدلة المؤيدين والمعارضين للتفسير بالرأي إلى أنّ الاختلاف لفظي وليس حقيقياً؛ أي أنّ الرأي علىٰ قسمين:

القسم الأوّل: هو التفسير بالرأي الجائز الموافق للكتاب والسنّة وكلام العرب، والذي يكون في ظل توفر شروط المفسّر، ولا بدّ أن نحمل كلام الموافقين على هذا القسم من التفسير بالرأي.

القسم الثاني: هو النظر والرأي الشخصي الذي لا يقوم على أساس قوانين اللغة العربية ولا يوافق الأدلّة الشرعية، ولا تتوفر في المفسّر شرائط التفسير، وهذا هو القسم الممنوع من التفسير، والذي يجب أنْ نحمل كلام المخالفين عليه، ثم قسّم التفسير بالرأي إلىٰ قسمين: ممدوح ومذموم، واعتبر التفسير بالرأي الممدوح هو التفسير العقلي[1].

وكما مرّ سابقاً فإنّ الدكتور الذهبي قسّم التفسير بالرأي إلى قسمين: ممدوح ومذموم، فالممدوح هو التفسير العقلي الذي يقع في قبال التفسير النقلي[2]، كما أنّ الشيخ عبد الرحمٰن العك له رأي مشابه لرأي الزرقاني[3].

---

(1) **مناهل العرفان**، ج2، ص66، 71.

(2) **التفسير والمفسرون**، ج1، ص284، 285.

(3) **أصول التفسير وقواعده**، 171.

المناقشة

يظهر أنّ الرأي الذي يذهب إلى تقسيم التفسير بالرأي إلى قسمين: ممدوح ومذموم، ثم الحكم بجواز الأوّل، والمنع من الثاني، غير صحيح أساساً؛ لأنّ التفسير بالرأي ـ كما بيّنّاه سابقاً ـ هو تفسير القرآن دون مراجعة القرائن العقلية والنقلية، وعلى أساس النظر الشخصي؛ في حين أن التفسير العقلي هو التفسير على أساس القرائن العقلية القطعية (كما ذكرنا سابقاً في بحث المنهج العقلي)؛ أيّ إن الذمّ والمنع عن التفسير بالرأي وردا مطلقين بالروايات وأنّ التفسير العقلي خارج عن موضوع هذا البحث، ولا يعتبر من التفسير بالرأي، وهو ممدوح دائماً. بالإضافة إلى ذلك فإنّ «الرأي» لا يأتي بمعنىٰ الإدراك العقلي في اللغة كما مرّ سابقاً. وقد ردّ الأستاذ عميد الزنجاني هذا الرأي فقال: «هناك من قسّم التفسير بالرأي إلىٰ قسمين: ممدوح ومذموم، وأرجع الروايات الّتي تنهى عن التفسير بالرأي إلى النوع المذموم، وذكر أن هذا التقسيم بالإضافة إلى أنّه لا يتّفق مع ظاهر الروايات المذكورة وإطلاقها، يقوم أساساً على فكرة غير صحيحة في أصالة الرأي»[1].

ملاحظة: بالنسبة إلى كلام الشيخ خالد عبد الرحمٰن العك والزرقاني نقول: رغم أنّه لا مانع من استحداث بعض المصطلاحات الجديدة، ولكن ينبغي التأمُّل في تقسيم التفسير بالرأي إلى ممنوع وجائز، فإنْ كان المقصود من النوع الجائز، هو النظر الاستنباطي الاجتهادي للمفسّر بعد مراجعة اللغة والكتاب والسنّة، فإن هذا لا

(1) مباني وروشهاني تفسير قرآن، 230 (الطبعة الثالثة).

يعتبر من أقسام التفسير بالرأي، كما سبق أنْ ذكرنا، بل هو من التفسير الاجتهادي الصحيح؛ لأنّ المقصود من التفسير بالرأي، هو النظر الشخصي، دون مراجعة القرائن العقلية والنقلية.

11 ـ يعتقد الطبري أنّ أحاديث التفسير بالرأي، وردت في خصوص الآيات الّتي تفتقر إلى بيان النبي (ص)، مثل آيات الأحكام[1].

المناقشة

إن العمل بعمومات ومطلقات آيات الأحكام دون مراجعة المخصّصات والمقيّدات غير صحيح، ويعتبر أحد أنواع التفسير بالرأي، ولكن المنع من التفسير بالرأي ورد مطلقاً في الروايات، ولا يقتصر على هذا النوع فقط.

12 ـ نُقِل عن ابن الأنباري أنّه قال بخصوص أحاديث التفسير بالرأي: «من قال في مشكل القرآن بما لا يُعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين، فهو متعرض لسخط الله»[2].

المناقشة

لا يوجد دليل على حصر التفسير بالصحابة والتابعين، وإنْ ثبتت حُجيَّة أقوالهم في خصوص اللغة، وشأن النزول، والرواية عن الرسول (ص): «إذا كان الطريق موثوقاً ومعتمداً»، وفي غير تلك الصورة لا يعتبر حجة؛ ولهذا فإنّ تفسير القرآن دون الالتفات إلىٰ

---

(1) تفسير الطبري، ج1، ص25 ـ 27 (بتصرف).

(2) الشيخ معرفة، **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، ج1، ص63.

أقوال الصحابة والتابعين لا يعتبر تفسيراً بالرأي؛ إلاّ إذا كان الصحابي معصوماً «الإمام علي مثلاً» فإن أقواله تعتبر حجة مطلقاً[1]، ولا بد من الأخذ بقوله على أنَّه من القرائن النقلية.

13 ـ نقل ابن الأنباري عن بعض أهل العلم في خصوص الرواية: «من قال في القرآن برأيه، فأصاب فقد أخطأ» قال: «إنّ الرأي هُنا بمعنى الهوىٰ، فمن قال في القرآن ما يوافق هواه، ولم يأخذهُ عن أئمة السلف، فأصاب فقد أخطأ، لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله»[2] ونُقل عن السيوطي أيضاً أنّ معنىٰ التفسير بالرأي هو: «التفسير بالاستحسان والهوىٰ»[3].

المناقشة

أوّلاً: لقد اتّضح في ما سبق ـ في تحليل روايات التفسير بالرأي ـ أنّ إضافة كلمة «الرأي» إلى الضمير يشير إلى أنّ المراد هو الرأي الشخصي، وهذا لا يعني أنّ الرأي الشخصي يتفق دائماً مع هوىٰ النفس؛ فإذا أقدم أحد الأشخاص على تفسير القرآن دون الالتفات للقرائن العقلية والنقلية فسوف يكون متورطاً بالتفسير بالرأي، سواءً كان هذا التفسير منطلقاً من هوى النفس أو لا، أي إن هذا المنهج هو منهج خاطىء، ولذلك فإنّ أحد مصاديق التفسير بالرأي، هو التفسير على أساس الهوى النفسي، ولكنه لا ينحصر بهذا المصداق. ومن المؤكد أن التفسير بالرأي على أساس الهوىٰ ممنوع في نفسه أيضاً.

---

(1) أنظر: للكاتب، **درآمدي بر تفسير علمي قرآن**، ص88.

(2) المصدر نفسه.

(3) **الإتقان في علوم القرآن**، ج4، ص191.

ثانياً: إنّ تفسير القرآن على أساس الاستحسان، هو تفسير غير معتبر، ومردود، وليس هناك ما يدلّ على اعتباره، ويمكن أن يكون أحد مصاديق التفسير بالرأي، ومشمولاً لروايات المجموعة «ب» الّتي تدلّ على أنّ تفسير القرآن بغير علم، هو نوع من أنواع التفسير بالرأي.

14 ـ نقل السيوطي عن ابن النقيب محمد بن سليمان البلخي خمسة أقوال في مورد حديث التفسير بالرأي منها: «التفسير من غير حصول العلوم الّتي يجوز معها التفسير»[1].

المناقشة

قلنا في تحليل الروايات إنّ إقدام أيّ شخص على التفسير دون امتلاك التخصّص الكافي، يعتبر من التفسير بالرأي، وهذه المسألة يمكن استفادتها من أحاديث المجموعة «ب» «د»؛ لأن تفسير غير المتخصص يعتبر نوعاً من القول بغير علم، وخطأً في المنهج، وافتراءً على الله سبحانه وتعالى، وهو مذموم من قبل العقلاء أيضاً، ولكن التفسير بالرأي لا ينحصر بهذه الموارد ـ كما ذكرنا سابقاً ـ فالتفسير دون مراجعة القرائن العقلية والنقلية يعتبر من أنواع التفسير بالرأي، حتى لو صدر من متخصّصين في التفسير.

15 ـ روى السيوطي أيضاً: «إنّ التفسير بالرأي هو تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله»[2].

المناقشة

توجد هنا نقاط عدة جديرة بالملاحظة:

أوّلاً: يبتني هذا الكلام على أنّ الواو في الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ

(1) **الإتقان في علوم القرآن**، ج4، ص191.

(2) المصدر نفسه.

﴿تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[1]، ليست عاطفة وأنّه لا يعلم المتشابه إلا الله. وهذه المسألة ليست مورد اتفاق بين علماء المسلمين؛ لأنّ هناك من ذهب إلى أن «الواو هي واو العطف، وأنّ الراسخين في العلم (الأئمة (ع) والعلماء) يعلمون تأويل المتشابهات أيضاً»[2].

ثانياً: إن التأويل يختلف عن التفسير، وما جاء في هذه الآية هو تأويل الآيات المتشابهة، وليس تفسيرها، إلا أن يقال: إن المقصود من التأويل هنا هو التفسير.

ثالثاً: لقد عُرِّفت المحكمات في هذه الآية بأنّها أم الكتاب، ومحل رجوع المتشابهات، وعلى هذا، يمكن تفسير الآيات المتشابهة بإرجاعها إلى المحكمات، ولا يعتبر التفسير حينئذٍ من التفسير بالرأي.

16 ـ نقل السيوطي أيضاً: «إنّ التفسير بالرأي هو التفسير المقرِّر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً، فيُرجع التفسير إلىٰ ذلك المذهب، بأي طريقٍ، وإن كان ضعيفاً»[3].

المناقشة

ما ذكره السيوطي هو أحد مصاديق التفسير بالرأي، فإذا كان للمفسّر عقيدة صحيحة، وفسّر القرآن طبقاً لمعتقدة دون أن يكون

---

(1) سورة آل عمران: الآية 7.

(2) أُنظر: **الميزان،** ج3، ص27، 28، حيث اعتبر الواو استئنافية؛ **تفسير نمونه،** ج2، ص441، اعتبر الواو في الآية هي واو العطف.

(3) **الإتقان،** ج4، ص191.

هناك دلالة من الآية على ذلك، ودون وجود القرائن، فإنّه يكون من التفسير بالرأي أيضاً.

17 ـ نقل السيوطي أيضاً:

«التفسير بالرأي هو القول بأن مراد الله كذا على القطع، من غير دليل»[1].

المناقشة

هذه الحالة هي إحدى مصاديق التفسير بالرأي، ويمكن استفادتها من مجموع الروايات «ب»؛ لأنّه قول بغير علم وافتراء على الله.

18 ـ روى العلاّمة الطباطبائي وجهين آخرين عن ابن الأنباري حول التفسير بالرأي:

الأوّل: هو القول في القرآن بما يعلم أن الحق غيره[2].

الثاني: إن المراد به هو القول في القرآن بغير علم وتثبُّتٍ، سواءٌ علم أنّ الحق خلافه أم لا[3].

المناقشة

يرجع الوجه الأوّل لابن الأنباري إلى الرأي المذكور في المجموعتين «11» و«14»، أمّا الوجه الثاني، فيرجع إلى الوجه الثاني عشر، وقد مرّت مناقشة هذه الآراء.

---

(1) **الإتقان**، ج4، ص191؛ وقد نقله الشيخ معرفة في: **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، ج1، ص69؛ **الميزان**، ج3، ص77 ـ 78.

(2) **الميزان**، ج3، ص78.

(3) المصدر نفسه.

19ـ نقل العلاّمة الطباطبائي عن بعض المفسرين قوله: «إن التفسير بالرأي حسب المبنى الذي نتّخذه، هو أنّ القرآن ليس له ظهور بغير الروايات الواردة عن المعصومين، أو أن له ظهوراً لا نفهمه دون النصّ من المعصوم، ومع حفظ هذا المبنى، نأخذ ظاهر القرآن، ونفسّره دون الاعتماد على الروايات»[1].

المناقشة

إنّ بناء العقلاء على أن ظاهر كلام المتكلم حجّة، ومنها ظواهر القرآن، فهي قابلة للفهم وحجّة في المقام، فلا إشكال في الأخذ بظواهر الآيات، وقد خالف الأخباريون في هذا الأمر. كما أن هذه المسألة بُحثت في علم أصول الفقه، وأُجيب عن الإشكالات الّتي طرحها الأخباريون[2]، كما سبق أنْ أشرنا إلى ذلك في بحث التفسير الروائي.

ملاحظة: اعتبر بعض العلماء التعريف المذكور من أنواع التفسير بالمصداق للتفسير بالرأي[3]، ولعله يمكن إدغام بعض هذهِ الموارد مع البعض الآخر، وقد ذكرناها بصورة مستقلّة لإيضاح المطلب.

الخلاصة والنتيجة

في ضوء مفاد روايات المنع عن التفسير بالرأي وما بيّناه من نقاط، ومع أخذ آراء العلماء والمفسّرين بنظر الاعتبار يمكن أن

---

(1) **الميزان**، ج3، ص78. اعتبر العلاّمة الرأي (التاسع والعاشر) وجهين مستقلين في التفسير بالرأي، وقد أدغمنا هذين الرأيين لتشابههما.

(2) أُنظر: الآخوند الخراساني، **كفاية الأُصول**، مبحث حجية الظواهر؛ الشهيد الصدر، دروس في علم الأصول و. . .

(3) أي ليس حدّاً تامّاً بل هو تعريف بالرسم التام أو الناقص.

يقال: «إنّ معنى التفسير بالرأي هو التفسير دون مراعاة القرائن العقلية والنقلية، أو تحميل المفسّر رأيه الشخصي للقرآن، أو عدم توفر الشروط اللازمة لدى المفسّر، وهذا العمل بالإضافة إلى أنّه محرم في نظر الشارع، فهو مُدان عند العقلاء أيضاً» وسوف نذكر في ما يأتي بعض الموارد والمصاديق للتفسير بالرأي.

نماذج من التفسير بالرأي

هناك نماذج كثيرة من التفسير بالرأي في كتابات القدماء والمتأخرين، سنشير إلىٰ بعضها:

1 ـ التفسير بالرأي عند بعض التيارات المنحرفة؛ أي اختيار عقيدة منحرفة والسعي لتلفيق بعض الشواهد من آيات القرآن، من أجل تأييدها، دون التورّع عن تحميل القرآن مثل هذه المطالب.

مثال: نقل الشهيد مطهري (قدّه) في كتابه ***الدوافع نحو المادية*** نماذج من التفسير بالرأي، فقال: إنكم [أصحاب النزعة المادية في التفسير] تفسّرون الآية الكريمة ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[1]، فتقولون حول الإيمان بالغيب: يعتقد المفسّرون أنّ الغيب هو ما لا يمكن رؤيته، أي الله، الملائكة و...، في حين أنّ الله والملائكة و... ليسوا غيباً، هذا أولاً، وثانياً: لقد مرّ ذكر قضيّة الإيمان بالله سابقاً، عندما تطرقنا إلى مسألة «المتّقين»، فالمقصود من الغيب المعهود والمعروف، هو المراحل الأولية لنضج الثورة التوحيديّة، وزمن حصول التّحولات الكميّة[2].

ونقل أيضاً: إنكم تفسّرون: «يقيمون الصلاة» هكذا: إنّهم ومن

---

(1) سورة البقرة، الآية: 3.

(2) الشهيد مطهري، مجموعة آثار، ج1، ص465.

أجل تحقق إيمانهم، يقيمون تلك العلامة الّتي تسمّىٰ في لسان الأديان بالصلاة[1].

وقال أيضاً: أينما وجدتم لفظ الدنيا فسّرتموه بالحياة الدنيّة، وهذا المعنى صحيح، ولكنكم حصرتموها بالحياة الرأسمالية، وقلتم إنّ معنى الآخرة هي الحياة العليا، أي النظام الاشتراكي الذي يأتي بعد هذا النظام[2]. ثم أشكل على هذا المنهج في التفسير، وأطلق عليه الماديَّة المُغفَّلة أو المادية المُنافقة.

مثال آخر: في تفسير غرائب القرآن لنظام الدين النيشابوري؛ هناك بحوث تُذكر تحت عنوان «التأويل» بعد تناول كل مجموعة من تفسير الآيات، وهي من أوضح مصاديق التفسير بالرأي؛ فمثلاً في تفسير الآيات المتعلقة بتحدّي موسى للسحرة، قال: فالمقصود من الثعبان[3] في هذه القصة هو ثعبان النفس؛ لأنّه أضاف العصا إلى نفسه في قوله «هي عصاي»[4]، ويُعلم منه أنّ كلّ شيء أضفته إلى نفسك وجعلته محل حاجاتك فإنّه ثعبان يبتلعك، ولذلك قال له: «ألقها يا موسى»[5]، أيّ ألقِ عصا النفس، والمقصود من «اليد البيضاء» هي أنّ الأيدي قبل تعلقها بالأشياء كانت بيضاء نقيّة نورانية وروحانية[6].

ملاحظة: لقد ذكرنا بعض النماذج من تحميل النظريات العلمية على القرآن، والّتي تنتهي إلى التفسير بالرأي في مبحث منهج التفسير

---

(1) المصدر نفسه، ص466.

(2) المصدر نفسه.

(3) سورة الأعراف: الآية 107.

(4) سورة طه: الآية 18.

(5) سورة طه: الآية 19.

(6) غرائب القرآن المذكور في حاشية تفسير الطبري، ج9، ص24 و 25.

العلمي (كالنماذج الّتي ذكرها عبد الرزاق نوفل و . . .).

2 ـ تفسير القرآن عن طريق غير المتخصّصين من الذين لا يراعون القواعد اللغوية والأدبية في التفسير.

مثال: أشار آية الله مكارم الشيرازي إلىٰ رأي الذين يذهبون إلىٰ أنّ قصة آدم هي قصة رمزية، فنقل قولهم: إن لسان القرآن في خلق آدم لسان مُتشابه رمزي، فلسفي وعميق المعنىٰ، فحقيقة الإنسان ومصيرهُ المعنوي وصفاته النوعية لها قانون خاص في هذهِ القصة، فالطين المتعفّن والروح الإلٰهية هما إشارتان رمزيتان، فالإنسان واقعاً لم يخلق من (حمأ مسنون)، ولا من الروح، بل إنّ الأوّل يشير إلى الحقارة والركود والتوقف المطلق، والأُخرى إلى التكامل المطلق والتفوق غير المتناهي.

ثم أشكل عليهم فقال: مع عدم وجود أيّ قرينة على خلاف المفهوم الظاهري في اللغة، قاموا بتفسير ذلك بصورة رمزية، على أنّ أحدهما يشير إلى الحقارة المطلقة والآخر إلى التفوق المطلق طبقاً لأذواقهم الشخصية، وذكروا شاهداً على رأيهم من أقوال (باسكال)، وهذا ليس إلاّ التفسير بالرأي. وأضاف قائلاً: كيف يمكن التورط بمثل هذه التفاسير الّتي هي خلاف القواعد الأدبية، ونقوم بتحميل الأفكار الشخصية على المفاهيم الإسلامية[1].

3 ـ تفسير القرآن على أساس القرائن العقلية والنقلية والّتي ربّما يقوم المفسّر معها بتحميل رأيه على القرآن.

مثال: كتب الأستاذ عميد الزنجاني عند تناوله مصاديق وموارد التفسير بالرأي، فقال: «إنّ التفسير بالرأي عند الطنطاوي، والسيد هبة الدين الشهرستاني في ***«الهيئة والإسلام»*** والكواكبي في ***«طبائع***

---

(1) مكارم الشيرازي، **تفسير به رأي**، 74 ـ 77.

«الاستبداد»، بعيد عن الأغراض الفاسدة. ثم أشار إلى تفسير آيات الخلق في القرآن على أساس نظرية التطوّر[1]، وتفسير آيات المعاد على أساس الأُصول المادية العلمية[2]، وتفسير الآيات المتعلقة بمعجزات الأنبياء على أنّها أُمور عاديّة[3]، وقال إنّها من نماذج التفسير بالرأي. ثم ذكر[4] نماذج من التفسير بالرأي عند الفخر الرازي[5] وإخوان الصفا[6] والصوفية[7] في مكان آخر.

ضوابط اجتناب التفسير بالرأي

المقصود من ضوابط التفسير بالرأي هو الشروط والضوابط الّتي - بمراعاتها - يبتعد المفسّر عن الوقوع في التفسير بالرأي، وتستفاد هذه المعايير والضوابط من خلال تحليل أدلة التفسير بالرأي، والآراء الّتي قيلت حوله. وسوف تتّضح مصاديق التفسير بالرأي، ومواقع الزلل عند المفسّرين ضمن بيان هذه المعايير والضوابط.

محاور هذه المعايير والضوابط

أما أهم محاور هذه المعايير، فهي:

أوّلاً: عدم الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية في تفسير آيات القرآن: لا بدّ من الالتفات إلى هذه القرائن في تفسير القرآن؛ أي

---

(1) انظر: الدكتور يد الله سحابي، **خلقت إنسان**.

(2) **مباني وروشهاني تفسير قرآن**، 233 ـ 236.

(3) انظر: مهدي بازرگان، **راه طي شده**.

(4) أنظر: **التفسير والمفسرون**، ج2، ص534.

(5) التفسير الكبير، **ج1، ص42.**

(6) علي أصغر حلبي، گزيده رسائل إخوان الصفا، **ص78.**

(7) حاشية تفسير الطبري، **ج9، ص24، 25.**

أنه لا بُدَّ من التنبّه إلى حكم العقل القطعي، والآيات الأُخرى، والروايات المعتبرة وإلا فإن المفسّر سوف يقع في التفسير بالرأي المحظور.

ويمكن اعتبار الموارد التالية من مصاديق هذا البحث:

أ ـ عدم الالتفات إلى المخصِّصات والمقيّدات الموجودة في الآيات الأُخرىٰ، وروايات النبي (ص) وأهل البيت (ع) في تفسير آيات الأحكام، والإفتاء دون مراعاة هذه القرائن.

ب ـ تفسير القرآن على أساس الظهور الابتدائي، دون مراجعة أقوال المفسّرين، والقرائن العقلية والنقلية، والمصادر التفسيرية الأُخرىٰ.

ج ـ الذهاب إلى أحد الاحتمالات المتساوية في تفسير الآية علىٰ أساس النظر الشخصي، دون وجود قرينة على هذا الاحتمال.

د ـ تفسير القرآن على أساس النظر الشخصي والميل إلى الاحتمال المرجوح في الآية، دون وجود قرينة قطعية على ذلك.

وبعبارة أُخرى: تفسير القرآن على خلاف الظاهر، من دون قرينة.

هـ ـ الاستبداد والاستقلال بالرأي في تفسير القرآن.

ثانياً: تحميل الآراء الشخصية والمذهبية والجماعية على القرآن؛ فعلى المفسّر أن يجعل تفسيره موافقاً لظاهر الآية، ولا يُحمِّل القرآن ما لا تتحمله الآية، ولأن هذا العمل سوف ينتهي به إلى التفسير بالرأي، وعادة ما يقع في هذا المحذور أصحاب التعصبات المذهبية والعقائدية.

ويمكن أن تكون الموارد التالية من مصاديق هذا البحث:

أ ـ حمل النظريات غير الثابتة على القرآن.

ب ـ حمل العقائد الشخصية على القرآن، دون وجود أي مناسبة مع ظاهر الآية.

ج ـ حمل العقائد المنحرفة للفرق والأحزاب على القرآن.

د ـ اختيار أحد الآراء السياسية والاقتصادية و. . . والبحث عن المؤيدات لهذه الآراء في القرآن، وعندما لا يجد آية تنطبق على هذه الآراء، فإنّه يقوم بتأويل بعض الآيات على خلاف معناها ليثبت رأيه.

هـ ـ فهم وتفسير الآية بصورة صحيحة، وتطبيقها على مصاديق غير صحيحة، كما هو الحال في تطبيق الآيات على بعض العقائد المنحرفة عند الفرقة البهائية و. . .

و ـ إظهار الرأي الشخصي، بدلاً عن التفسير، ونسبته إلى الله تعالى.

ز ـ تفسير القرآن على أساس هوى النفس.

ثالثاً: تفسير القرآن بواسطة الشخص غير المتخصّص:

لا بد أن يكون التفسير عن طريق أفراد متخصّصين في هذا المجال، (كما هو الحال في كل عمل تخصصي آخر)، بحيث يكون المفسِّر عارفاً بالمصادر والضوابط وشروط التفسير، وأن تتوفر فيه الشروط اللازمة للمفسّر، حتى يمكن أنْ يكون تفسيره تفسيراً معتبراً[1]. فإذا فقد المفسّر هذه الشروط، فإنّ منهجه يعتبر خاطئاً، وتفسيراً بالرأي، وإنْ كان صحيحاً.

---

(1) من شروط المفسرين: معرفة علوم اللغة العربية (الصرف، النحو، اللغة، الاشتقاق، المعاني، البيان، والبديع)، المعرفة التاريخية والجغرافية (شأن النزول، تاريخ القرآن، تاريخ العرب والمسلمين) والبيئة الجغرافية الذي نزلت فيه =

والنماذج التالية يمكن أنْ تكون من مصاديق هذا البحث:

أ ـ تفسير القرآن بواسطة غير المتخصّصين، أمثال بعض الطلاب الذين لا يمتلكون الوسائل الكافية في التفسير.

ب ـ تفسير القرآن بواسطة بعض الجهلة الذين لا يعرفون أنّ ما قالوه حقّاً، أم باطلاً، ويفسّرون القرآن بغير علم، وينسبون ذلك إلى الله، بصورة قطعية.

ج ـ تفسير القرآن بواسطة الذين يجهلون مناهج التفسير الصحيح، ولا يعملون على طبقها.

الفرق بين التفسير بالرأي والتفسير العقلي والاجتهادي

الاجتهاد ـ كما هو الحال في الفقه ـ على نوعين:

أ ـ الاجتهاد دون الأخذ بنظر الاعتبار بروايات النبي (ص) وأهل البيت (ع).

ب ـ الاجتهاد مع الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية والآيات المحكمة؛ أي اجتهاد المفسّر بعد مراجعة مصادر التفسير، ومع توافر الشروط في المفسّر؛ فيقوم المفسّر بتفسير الآية بالرواية ـ في ما إذا وجدت رواية معتبرة ـ وفي ضوء القرائن العقلية والعلوم الأدبية

= الآية، معرفة علوم القرآن (مثل الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، و...) علم الفقه والأصول، الاطلاع على أحاديث النبي (ص) وأهل البيت (ع) والرجوع إليها، الاطلاع على القراءات القرآنية، المعرفة بعلم أصول الدين، الاطلاع على الآراء الفلسفية والعلمية والاجتماعية والأخلاقية، والاجتناب عن الآراء المسبقة، الاطلاع على التفاسير والممارسة لها، المنهج الصحيح في تفسير القرآن. انظر: للكاتب: **درآمدي بر تفسير علمي قرآن**، ص61 ـ 73؛ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج2، ص200 وما بعدها.

وظواهر الآيات فيما إذا لم توجد رواية عن طريق الأئمة (ع). فالاجتهاد في القسم الأوّل غير صحيح ومرفوض، وهو نوع من أنواع التفسير بالرأي، وفي القسم الثاني صحيح ومقبول، وهو من لوازم التفسير المعتبر؛ لأنّه لا يمكن للمفسّر أن يقلّد الآخرين، ولا بد أن يُبدي رأيه في التفسير. وهذا ما أشار إليه العلاّمة الطباطبائي في تفسيره فقال: الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد... وكيف كان لمّا ورد قوله: برأيه، مع الإضافة إلى الضمير، عُلم منه أن المراد به ليس النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن. نعم إذا جاءت كلمة «الرأي» بغير الضمير، يمكن أنْ يستفاد منها نفي الاجتهاد المطلق، وهنا يمكن أن نقول: إنَّ الاجتهاد ممنوع في التفسير، وإنه لا يمكن: أن نفسّر القرآن إلا عن طريق الروايات، بل الإضافة في قوله: «برأيه» تفيد معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال، أي أن المفسّر لا يستطيع أنْ يفسّر القرآن ويفهم الآيات بصورة مستقلة بما عنده من الأدوات في فهم الكلام العربي؛ بل عليه أن يسعى في دراسة وفهم الآيات المناسبة الأُخرى[1].

تفاوت التفسير بالرأي مع التفسير العقلي

المقصود من تفسير القرآن بالعقل، هو الاستعانة من القرائن الواضحة والمقبولة عند جميع العقلاء لفهم معاني الألفاظ والجمل ومن ضمنها القرآن والحديث.

فإذا قيل مثلاً: إنّ الله «سميع» و«بصير»، فهنا يحكم العقل بأن المقصود من ذلك ليس هو أن الله سبحانه له حاسّة كحواسّنا، مثل العين والأُذن؛ بل المقصود، هو العلم الواسع المطلق لله، حيث

---

(1) **الميزان**، ج3، ص76 وما بعدها، بتلخيص وتصرف.

يسمع جميع الأصوات، ويعلم جميع الأشياء، وأنّه حاضر في كل مكان[1]. وبعبارة أُخرى: إن الرأي هنا لا يعني العقل، وإن التفسير بالرأي لا يعني التفسير العقلي، وقد أشرنا إلى ذلك مفصّلاً في مبحث التفسير العقلي.

الآثار السلبية للتفسير بالرأي

1 ـ ذم العقلاء هذا النوع من التفسير.

2 ـ العذاب الإلهي، كما ورد في الروايات.

3 ـ شيوع الفوضىٰ في فهم معاني آيات القرآن، لعدم وجود المعايير والضوابط، والغفلة عن المعاني الأصلية للآيات، فقد تُحمل الآية على معنيين متضادين من قبل بعض المدّعين؛ بل إنّ جميع القوانين والألفاظ، سوف تفقد قيمتها، بسبب هذه الطريقة في التفسير.

4 ـ بسبب هذا المنهج المنحرف في التفسير، يصبح القرآن ـ وهو القائد للفكر البشري، والهادي للمجتمع وعامل للوحدة ـ تابعاً لأفكار البشر، وسبباً للانحراف الفكري والأخلاقي، ووسيلة للشقاق والاختلاف، وسوف يتحول البرنامج الذي وضعه القرآن لسعادة البشر إلىٰ برنامج للمنفعة الشخصية.

5 ـ ضياع المحتوى الواقعي للقيم الأصلية في الكتاب والسنّة، واتخاذ هذهِ الطريقة وسيلة بيد الأفراد الضالّين والمفسدين.

6 ـ تطبيق القوانين السماوية على المُتطلبات الانحرافية للبيئة الفاسدة، وبالنتيجة تتغيّر هذهِ المفاهيم على ضوء تلك المتطلبات.

---

(1) الشيخ مكارم الشيرازي، **تفسير به رأي**، 38، 39.

7 ـ سقوط المفاهيم المطلقة، والأبديَّة، وتبديلها إلى مفاهيم مبتذلة، ومحدودة، وغير كفوءة للفكر الإنساني القاصر، وإبعاد المسلمين عن نور هداية القرآن.

8 ـ إضعاف التعبد الديني الذاتي، وتحكيم الأذواق الشخصية على أفكار المجتمع.

9 ـ فصل المسلمين عن أهل البيت (ع) بالتغاضي عن الأحاديث، والقرائن النقلية لأهل البيت (ع)، وما يتبع ذلك من ضلال.

10 ـ الاستغراق في القياس، والاستحسان، ونفوذ الأفكار الخاطئة في المعارف الإسلامية[1]. وعشرات النتائج السيّئة الأُخرى الّتي يمكن أن تتّضح بمرور الزمان.

الخلاصة

من مجموع المسائل الّتي ذكرناها سابقاً توصّلنا إلىٰ ما يلي:

1 ـ ذكرنا تسعة عشر رأياً لبعض العلماء والمفسّرين في مورد التفسير بالرأي مع النقد والتحليل.

2 ـ منهج التفسير بالرأي، قد يرجع إلى شخص المفسّر، وذلك لعدم توفّر الشروط فيه، وقد يرجع إلى المنهج الخاطىء الذي يتمثل بعدم مراجعة المفسّر للقرائن العقلية والنقلية، أو قد يرجع إلى تحميل رأي المفسّر على القرآن.

3 ـ ذكرنا نماذج من التفسير بالرأي عند المفسّرين، وبعض التيارات المنحرفة، والأفراد غير المتخصصين.

4 ـ ذكرنا محاور وضوابط التفسير بالرأي، وهي ثلاثة محاور:

---

(1) أنظر: حسن عاشوري اللنگرودي، **تفسير به رأي**.

عدم الالتفات إلى القرائن، تحميل الآراء على القرآن، وعدم توفر الشروط عند المفسّر. وهذه المحاور تشمل خمسة عشر مصداقاً وموردا.

5 ـ وضّحنا الفرق بين التفسير بالرأي والاجتهاد، وتبيّن أن الاجتهاد دون الرجوع إلى القرائن العقلية والنقلية، يعتبر نوعاً من أنواع التفسير بالرأي.

وأن الاجتهاد والاستنباط مع الرجوع إلى القرائن، لا يعتبران من مصاديق التفسير بالرأي.

6 ـ التفسير بالرأي غير التفسير العقلي؛ لأنّ التفسير العقلي يعتمد على القرائن العقلية والنقلية، خلاف التفسير بالرأي.

7 ـ ذكرنا الآثار السلبية للتفسير بالرأي في عشرة موارد أهمّها: الوعد بالعذاب الإلٰهي، شيوع الهرج والمرج في فهم الآيات.

الأسئلة

1 ـ هل يعتبر التفسير بالرأي من مناهج التفسير واقعاً؟ أوضح ذلك

2 ـ ما المقصود من «الرأي» في «التفسير بالرأي»؟، وماذا يعني إضافته إلى الضمير «برأيه»؟

3 ـ ما معنى الباء في «التفسير بالرأي»؟، وما معنى الحديث «من فسّر القرآن برأيه...» في ضوء هذه المعاني؟ وما هو المعنى الأكثر مناسبة لظاهر الروايات؟

4 ـ هل كان التفسير بالرأي موجوداً في زمان الرسول (ص)، وما الدليل على وجوده إن كان موجوداً؟

5 ـ كيف تدل الآية ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ على منع التفسير بالرأي، إشرح مع النقد والتحليل؟

6 ـ أذكر رواية صحيحة السند تشير إلى التفسير بالرأي.

7 ـ ما المقصود من الحديث: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»، وكيف تدل على أنّ المراد، هو الخطأ في المنهج؟

8 ـ كيف يمكن الجمع بين الترغيب والحث في القرآن على التدبر والتفكر من جهة، والمنع من التفسير بالرأي من جهة أُخرى؟

9 ـ ما الفرق بين التفسير بالرأي والاجتهاد؟ وضّح ذلك.

10 ـ أذكر دليلين من أدلّة جواز التفسير بالرأي مع ذكر الجواب.

11 ـ ما مقصود العلاّمة الطباطبائي من الاستقلال في تفسير القرآن، وما علاقته بالتفسير بالرأي؟

12 ـ أذكر رأيي الإمام الخميني (قدّه)، والسيد الخوئي في خصوص التفسير بالرأي، مع مقارنتهما مع رأي العلاّمة الطباطبائي.

13 ـ لمن يرجع تقسيم التفسير بالرأي إلى ممدوح ومذموم، وما هو الإشكال الوارد عليه؟

14 ـ ما المراد من الاستبداد في تفسير القرآن، وما علاقته بالتفسير بالرأي؟

15 ـ أذكر رأي الشيخ عبد الرحمٰن العك في التفسير بالرأي، وكيف خلط بين التفسير العقلي والتفسير بالرأي؟

16 ـ أذكر معيارين من معايير التفسير بالرأي مع التوضيح.

17 ـ أذكر خمسة مصاديق من مصاديق التفسير بالرأي على الأقل، مع ذكر مثالين.

18 ـ أذكر خمسة آثار من الآثار السلبية للتفسير بالرأي.

بحوث جديدة

1 ـ أذكر جميع الروايات المتعلقة بالتفسير بالرأي في مصادر أهل السنّة، ومقدار صحّة سندها من خلال كتبهم الرجالية.

2 ـ أذكر جميع روايات التفسير بالرأي في مصادر الشيعة، وناقش سند كل واحدة من هذه الروايات.

3 ـ ناقش رأي الأخباريين في عدم حجيّة ظواهر القرآن، وبيّن علاقتها مع التفسير بالرأي.

4 ـ استدل بعض للتفسير بالرأي بأقوال الصحابة، أو بآيات أُخرى، ناقش ذلك؟.

5 ـ إبحث الاختلاف بين التفسير العقلي، والتفسير بالرأي، وما السبب في خلط بعض الأفراد بين هذين المنهجين؟

6 ـ أذكر الآثار السلبية للتفسير بالرأي من الناحية الاعتقادية، والأخلاقية والاجتماعية.

7 ـ ناقش أدلة الرأي القائل باستقلال القرآن (العلاّمة الطباطبائي) ورأي السيدالخوئي (عدم الاستقلال عن أهل البيت (ع))، مع النقد.

8 ـ ناقش رأي الذهبي في تقسيم التفسير بالرأي إلى قسمين ممدوح ومذموم والمصاديق الّتي ذكرها للشيعة، مع النقد.

9 ـ ناقش نماذج التفسير بالرأي في رسائل إخوان الصفا، مع النقد.

10 ـ ناقش نماذج التفسير بالرأي في آثار الصوفية، مع النقد.

11 ـ ناقش نماذج التفسير بالرأي في مورد التفسير العلمي غير المعتبر (استخراج العلوم من القرآن)، و(حمل النظريات العلمية على القرآن)، مع النقد.

12 ـ ناقش معايير التفسير بالرأي الّتي ذكرها بعض العلماء، مع النقد.

مصادر إضافية للمطالعة

1 ـ ***التفسير بالرأي***، الدكتور محمد حمد زغلول، مكتبة الفارابي، 1420هـ.

2 ـ ***مباني وروشهاي تفسير قرآن***، عميد الزنجاني، مبحث التفسير بالرأي.

3 ـ ***درآمدي تفسير علمي قرآن***، محمد علي رضائي الأصفهاني، مبحث التفسير بالرأي.

4 ـ ***التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب***، آية الله معرفة، ج2.

5 ـ ***التفسير والمفسّرون***، الذهبي، ج1.

6 ـ ***الميزان***، ج3، ص75 وما بعدها.

7 ـ ***أُصول التفسير وقواعده***، عبد الرحمٰن العك.

8 ـ ***مناهل العرفان***، الزرقاني، ج2.

9 ـ ***تفسير به رأي***، حسن عاشوري اللنگرودي (رسالة ماجستير، تربيت مدرس، قم).

10 ـ ***روش شناسي تفسير قرآن***، مجموعة من الكتاب، سنة 1379ش.

14
المنهج التفسيري الكامل والجامع

الهدف التعليمي

التعرف على المنهج الكامل والجامع لتفسير القرآن.

مقدمة

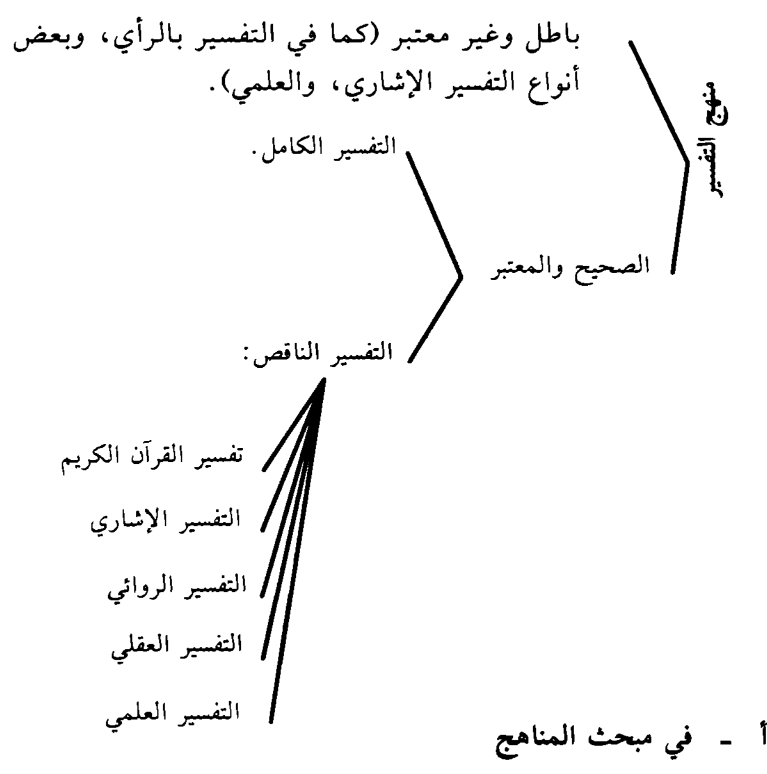
تعرفنا في الأبحاث على بعض المناهج الصحيحة في تفسير القرآن، مع النقد والتحليل، وفي هذا المبحث، سوف نقوم ببيان المنهج الكامل والجامع في التفسير؛ أي المناهج الواجب اتّباعها من قبل المفسّر، حتى يطمئن إلى أنّه أدّىٰ جميع الأبعاد اللازمة في تفسير الآية، وأنّه أعطى المطلب حقّه.

ما هو المنهج الكامل والجامع؟

تقدم معنى المنهج والتفسير في ما سبق، أمّا المنهج الكامل والجامع هنا، فهو استفادة المفسّر من جميع الأدوات والمصادر

اللازمة في تفسير القرآن، بحيث تتعيّن وبصورة كاملة جميع أبعاد ومعاني الآية.

فإذن، يمكن أنْ يقال، كما سبق أنْ أوضحنا في الفصل الأوّل: إنّه لا بدّ من الاستفادة من الموارد التالية في منهج التفسير الكامل:



أ ـ في مبحث المناهج

1 ـ نحصل على القرائن النقلية في تفسير الآية، من خلال منهج تفسير القرآن بالقرآن.

2 ـ من خلال منهج التفسير الروائي، نحصل على القرائن النقلية من الأحاديث لتفسير الآية.

3 ـ من خلال منهج التفسير العلمي، نحصل على القرائن العلمية القطعية لتفسير الآية.

4 ـ من خلال منهج التفسير العقلي، نحصل على القرائن العقلية لتفسير الآية.

5 ـ الاستفادة من منهج التفسير الإشاري الصحيح، للحصول على بطن، وتأويل الآية.

ومن الطبيعي، إنه لا بد من اجتناب المناهج الباطلة، وغير المعتبرة في منهج التفسير الكامل (مثل التفسير بالرأي).

ب ـ في مبحث الاتجاهات

في هذا المنهج نحتاج إلى الاستفادة من الاتّجاهات التفسيرية أيضاً؛ أي أنَّه لا بدّ للمفسّر من الرجوع إلىٰ:

1 ـ الكتب والتفاسير ذات الاتّجاه اللغوي والأدبي، لكي تتّضح بعض النقاط الأدبية واللغوية للآيات.

2 ـ التفاسير ذات الاتّجاه الفقهي، لكي تتّضح بعض النقاط الفقهيّة في الآية.

3 ـ التفاسير ذات الاتّجاه الكلامي، لكي تتّضح الإشارات الكلامية والاعتقادية للآيات، على أنْ لا يكون المفسّر تابعاً لهذه الاتّجاهات الكلامية؛ بل لا بدّ أن يأخذ عقائده الكلامية من القرآن. وبعبارة أُخرىٰ: يجب المفسر عرض عقائده على القرآن، وليس العكس.

4 ـ الرجوع إلى التفاسير ذات الاتّجاهات الاجتماعية، لكي تتّضح بعض الإشارات الاجتماعية في القرآن.

ج ـ الاستفادة من علوم القرآن، ومراجعة التفاسير السابقة، وتاريخ الإسلام، ليكون التفسير أكثر تكاملاً وغنىً.

النتيجة

إنّ كل منهج من المناهج والاتّجاهات التفسيرية الصحيحة، لا يمكن أنْ يحقّق وحده تفسيراً متكاملاً لجميع الآيات؛ بل لا بدّ من ضمّ بعضها إلىٰ بعض، فالاستفادة منها جميعاً (وبشكل يتناسب مع الآية مورد البحث)، قد يُفضي إلى تحقيق منهج تفسيري معتبر ومتكامل.

15

الاتّجاهات التفسيريّة: الفقهية، الكلاميّة (1)

الهدف التعليمي

الهدف الأساس:

الاطلاع على الاتّجاهات التفسيرية للقرآن.

الأهداف الفرعية:

1 ـ الاطلاع على تاريخ كل اتّجاه من الاتّجاهات؛

2 ـ الاطلاع على خصائص كل اتّجاه؛

3 ـ معرفة أقسام وأنواع الاتّجاهات؛

4 ـ الاطّلاع على أهم كتب التفسير في كل اتّجاه.

المقدمة

طرح موضوع الاتّجاهات التفسيرية منذ فترة طويلة في عرض المناهج التفسيرية، وهو يشكّل أهمية كبيرة في تاريخ التفسير. وقد ذكرنا في القسم الأوّل من هذا الكتاب بعض المقدمات، حول

المناهج والاتّجاهات وتأريخها، فلا حاجة بنا إلىٰ تكرار هذه المباحث مرة أُخرى، ولا نقصد في هذه العجالة، دراسة كل اتّجاه من هذه الاتجاهات بصورة مفصلة؛ لأنّ ذلك يحتاج إلى كتاب مستقل، ومثل هذه المباحث تدرس في المراكز التخصّصيّة للتفسير وعلوم القرآن، تحت عناوين منها:

القرآن والعلوم الأدبية، فقه القرآن وآيات الأحكام، منتخب التفاسير الكلامية والعرفانية و... وقد أُلِّفت حول ذلك كتب عدَّة، ونودُّ هنا أن نُعطي فكرة إجمالية حول هذه الاتّجاهات التفسيرية، ويمكن للطلاب أن يتوسّعوا في دراستها عن طريق كتابة البحوث في أحد الاتجاهات، أو أحد فروعها بصورة مستقلة، بالاستفادة من الكتب المتخصّصة.

المصطلاحات

يوجد في هذا المبحث عدة مصطلحات أساسية وهي:

أ ـ **الاتّجاه:** يقصد من «الاتجاه» هنا، تأثير الاعتقادات الدينية، المذهبية، الكلامية، الاتجاهات العصرية، وأسلوب كتابة تفسير القرآن، والّتي تتكوَّن على أساس: العقائد، الاحتياجات، الذوق، والتخصص العلمي للمفسّر.

ب ـ **التفسير:** هو بيان معاني الآيات القرآنية، والكشف عن مقاصدها وأهدافها. وبعبارة أُخرى: بيان المراد الاستعمالي لآيات القرآن، وتوضيح المراد الجدّي على أساس قواعد الآدب العربي، والأُصول العقلائية للتحاور[1] ونشير إلى أننا بيَّنا الفرق بين الاتجاه والمنهج في الفصل الأول.

---

(1) ذُكر تعريف التفسير في مباني مناهج التفسير، وذكرنا هنا خلاصة كلام صاحب =

تاريخ وأسباب نشوء الاتّجاهات وأقسامها

لقد تناولنا ذلك في الفصل الأوّل أيضاً، فلا نكرره مرة أُخرىٰ، وسوف نقتصر هنا على ذكر أقسام الاتّجاهات:

أ ـ المذاهب التفسيرية: مثل تفاسير: الاثني عشرية، الإسماعيلية. . .

ب ـ المدارس التفسيرية (الكلامية): مثل تفسير المعتزلة والأشاعرة.

ج ـ الألوان التفسيرية، مثل: التفسير الأدبي، الفلسفي، الفقهي، الاجتماعي، الأخلاقي، التأريخي، والعلمي.

د ـ الاتّجاهات العصرية في التفسير: كالتفسير المعنوي، الجهادي، التقريبي، السياسي.

وقد أوضحنا بعض الاتّجاهات في الفصل الأوّل بصورة مختصرة، وسوف نكتفي هُنا بهذا القدر، ولا نعيد مرة أُخرى، وسنتناول اتجاهات أُخرىٰ، بالبحث والدراسة لأهميّتها.

القسم الأول: الاتّجاه الفقهي

لا بد من الإشارة هُنا إلى بعض النقاط المهمة:

أ ـ نبذة تأريخية

أشار القرآن في آيات متعددة إلى الأحكام التكليفية للإنسان،

= المفردات (الراغب الأصفهاني)؛ **تاج العروس**؛ **قاموس القرآن**؛ العلاّمة الطباطبائي، **الميزان**، ج1، ص4؛ السيوطي، **الإتقان**، ج2، ص192؛ الطبرسي، **مجمع البيان**، ج1، ص13، وقد استعرضنا آراءهم في كتاب، **در آمدي بر تفسير قرآن**، ص35 ـ 39.

والّتي قيل إنَّها تتراوح بين خمسمائة وألفي آية[1]. وكان العمل بهذه الآيات قائماً في زمن الرسول (ص)، وكان الصحابة يسألون النبي (ص) عن أيّ إبهام حولها. ولمّا توفّي النبي (ص) أخذ الصحابة يستنبطون الأحكام من هذه الأيات ويعملون بها، وقد يختلفون حولها، كما هو الحال في الاختلاف المشهور بين الإمام علي (ع) وعمر، حول مسألة أقل مدة الحمل، واستدلال الإمام علي (ع) ببعض الآيات[2] على تعيين هذه المدة في ستة أشهر[3]. وخلال ذلك، أصبحت روايات الني (ص) وأهل البيت (ع)، هي دليل الفقهاء والصحابة والتابعين. وفي الحقيقة، فإن الروايات الفقهية، هي نوع من أنواع التفسير الموضوعي للقرآن، وقد نضج علم الفقه، وفقه القرآن في أحضان تلك الروايات، على شكل اتجاه تفسيري، بدأ في صدر الإسلام، واستمر حتى عصرنا الحاضر، وقد دُوّنت عشرات الكتب في هذا المجال. وبعد نشوء المذاهب الفقهية في القرن الثاني الهجري فما بعد، قام أتباع وعلماء المذاهب كالشيعة، والحنفية، والمالكية، والحنابلة والشافعية، و. . . بتفسير آيات الأحكام، وتأليف الكتب في هذا المجال.

وقد أفرط بعضهم بتأويل الآيات المخالفة لآرائهم إلى حدّ أن عبد الله الكرخي (ت340هـ) ـ أحد متعصبي المذهب الحنفي ـ قال: «كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا، فهو مؤوَّل أو

---

(1) أنظر: الفاضل المقداد، **كنز العرفان**، ج1، ص5؛ ابن العربي، **آيات الأحكام**، ج4، ص2098.

(2) سورة البقرة: الآية 233؛ سورة الأحقاف: الآية 15.

(3) الخضري، **تاريخ التشريع**، ص113؛ الذهبي، **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص433.

منسوخ»[1]. ومن الطبيعي، أن كثيراً من المفسّرين الذين كتبوا في هذا الاتجاه (ممن لم يفرطوا) لزموا طريق الإنصاف. واليوم نحن بأشدّ الحاجة إلى كتب في تفسير آيات الأحكام تضم أدلة جميع المذاهب بصورة مقارنة.

ب ـ الخصائص

إن المفسّر في الاتجاه الفقهي غالباً ما يهتم بالعناصر التالية:

1 ـ تفسير الآيات الّتي تتضمن أحكاماً فقهية تخصّ حياة الإنسان، وتبيّن تكليفه عن طريق: الواجب، المستحب، الحرام، المكروه، والمباح، في أبواب العبادات والمعاملات.

2 ـ يكمن اهتمام المفسّر في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن طريق آيات القرآن.

3 ـ عادة ما يكون المفسّر لآيات الأحكام مجتهداً في الفقه، حيث يقوم ببيان رأيه في نهاية المطاف.

4 ـ عادة ما يستخدم المفسّر في هذا الاتّجاه المنهج الفقهي في التحليل، ويستفيد من الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

5 ـ يتنوع التفسير الفقهي، تبعاً للمباني الّتي يختارها المفسّر في الفقه والأُصول، فإذا ما ذهب المفسّر الفقيه إلى حجّية الكتاب، أو الخبر الواحد، أو الإجماع، فإن نتائج التفسير سوف تختلف عن المفسّر الذي لا يعتقد بحجّيّتها.

---

(1) السبكي والسايس والبربري، **تاريخ التشريع الإسلامي**، ص281؛ الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج2، ص434.

ج ـ الأنواع والمصادر

إن الاتجاه الفقهي للتفسير يختلف، تبعاً لاختلاف المذاهب الفقهية، والأن نشير إلى أهم هذه الاتجاهات:

1 ـ الاتجاه الفقهي الإمامي

يتحرك فقهاء الإمامية على أساس مذهب أهل البيت (ع)، ويفسّرون آيات الأحكام بالاستفادة من الروايات الواردة عن النبي (ص) وأهل البيت (ع)، مضافاً إلى القرائن العقلية والنقلية الأخرىٰ، ويمكن ذكر بعض التفاسير الفقهية للشيعة:

1/ 1ـ ***أحكام القرآن*** (فقه القرآن)، الراوندي (ت573هـ).

2/ 1 ـ ***زبدة البيان في أحكام القرآن***، المقدس الأردبيلي (ت993هـ).

3/ 1 ـ ***كنز العرفان في فقه القرآن***، السيوري، المشهور بالفاضل المقداد (ت826هـ).

4/ 1 ـ ***تفسير آيات الأحكام***، السيد محمد حسين الطباطبائي اليزدي (ت1386هـ).

5/ 1 ـ ***تفسير شاهي***، السيد أمير أبو الفتوح الحسيني الجرجاني (ت976هـ) باللغة الفارسية.

6/ 1 ـ ***مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام***، جواد الكاظمي (توفي في القرن الحادي عشر الهجري).

2 ـ الاتجاه الفقهي الشافعي

يطلق على أتباع محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ) في الفقه لقب الشافعية، حيث ذهبوا في تفسير آيات الأحكام مذهب إمامهم في الفقه. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

2 /1 ـ *أحكام القرآن*، المنسوب إلى الشافعي.

2 /2 ـ *أحكام القرآن*، الكياهراسي (ت504هـ).

2 /3 ـ *نيل المرام من تفسير آيات الأحكام*، أبو الطيب سيد محمد صديق بن حسن خان القنوجي البخاري (ت1307هـ).

3 ـ الاتجاه الفقهي المالكي

يطلق على أتباع مالك بن أنس (90 ـ 179هـ) لقب المالكية، حيث فسّروا آيات الأحكام وفقاً لفتاوى مالك بن أنس. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

3 /1 ـ *أحكام القرآن*، أبي بكر ابن العربي (ت543هـ).

3 /2 ـ *الجامع لأحكام القرآن*، القرطبي (ت671هـ).

4 ـ الاتجاه الفقهي الحنفي

يطلق على أتباع أبو حنيفة النعمان بن ثابت (80 ـ 153هـ) في الفقه لقب الحنفية، حيث كتبوا وفسَّروا آيات الأحكام على أساس آراء أبي حنيفة الفقهية. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

4 /1 ـ أحكام القرآن، ***الجصّاص (ت370هـ).***

4 /2 ـ *التفسيرات الأحمدية*، أحمد بن أبي سعيد بن عبد الله (ت1130هـ)، المعروف باسم «ملاجيون» الحنفي[1].

5 ـ الاتجاه الفقهي الحنبلي

يطلق على أتباع أحمد بن حنبل (164 ـ 241هـ) في الفقه لقب

---

(1) أنظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج2، ص435 وما بعدها؛ الشيخ معرفة، **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص355 وما بعدها؛ الدكتور مؤدب، **روشهاي تفسير قرآن**، ص232 وما بعدها.

الحنابلة، حيث ذهبوا في تفسير آيات الأحكام طبقاً لآراء أحمد الفقهية. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

5/1 ـ ***آيات الأحكام***، محمد بن الحسين ابن محمد ابن الفرّاء (ت458هـ).

5/2 ـ ***تفسير آيات الأحكام***، شمس الدين محمد أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيّم الجوزية (ت751هـ).

5/3 ـ ***إحكام الرأي من أحكام الآلاء***، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن الصايغ (ت776هـ).

ملاحظة (1): هناك بعض الكتب التي تناولت تفسير آيات الأحكام بطريقة مقارنة، مثل: **تفسير آيات الأحكام**، محمد علي السايس (ت1396هـ)؛ **روائع البيان في تفسير آيات الأحكام**، محمد علي الصابوني؛ **وتفسير آيات الأحكام**، الطباطبائي اليزدي (ت1386هـ).

ملاحظة (2): تناولت بعض الكتب آيات الأحكام على الطريقة الموضوعية، مثل: **أحكام القرآن**، الدكتور محمد الخزائلي؛ **آيات الأحكام**، زين العابدين القرباني.

وهناك من دوَّن **آيات الأحكام** على الطريقة الترتيبية، مثل: **آيات الأحكام**، الميرخاني؛ آيات الأحكام، السيد محمد حسين الطباطبائي اليزدي.

د ـ نماذج وموضوعات

ثمّة آيات مختلف فيها في الاتجاه الفقهي، من أهمّها:

1 ـ آية المتعة (سورة النساء: الآية 24).

2 ـ آية الوضوء (سورة المائدة: الآية 20).

3 ـ آية الخمس (سورة الأنفال: الآية 41).

4 ـ حج التمتع و. . .

وقد صُنِّفت آيات الأحكام على أساس التقسيم الفقهي إلى: العبادات (الصلاة، الصوم و. . .)، العقود (النكاح و. . .)، الإيقاعات (الطلاق و. . .)، الأحكام القضائية (القصاص و. . .) وهناك من أضاف إليها الأحكام الحكوميَّة (الولاية، الجهاد و. . .)، والأحكام الاجتماعية (الإرث، الوصية و. . .).

مثال: تعتبر آية الوضوء (سوة المائدة: الآية 20) من أهم وأفضل النماذج الّتي يمكن ذكرها في مجال الأحكام المقارنة بين أبحاث الفقهاء والكُتَّاب.

القسم الثاني: الاتجاه الكلامي

أ ـ نبذة تاريخية

«الكلام» في اللغة بمعنى الحديث، أما في الاصطلاح فيطلق على علم العقائد. ولم يكن هناك اختلاف ملحوظ في المسائل العقائدية في زمن النبي (ص)، وإنّما حدث ذلك بعد وفاتهِ (ص)، وخصوصاً في مسألة الإمامة. واتّسعت دائرة هذه الخلافات تدريجياً إلى مسائل صفات الله والنبي (ص)، ثم تكوَّن علم الكلام بين أواخر القرن الأوّل الهجري وبداية القرن الثاني، وظهرت المدرسة الاعتزالية في الكلام بواسطة واصل بن عطاء (80 ـ 131هـ)، ثم الأشاعرة عن طريق أبي الحسن الأشعري (ت330هـ تقريباً) في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري، ثم بعد ذلك ظهرت الفرقة الماتريدية. وقد تكوّنت المدرسة الكلامية للشيعة عن طريق أهل البيت (ع) في بداية ظهور الإسلام، وهي لها عقائد

خاصة في مسألة الإمامة والعصمة، ثم أصبحت أكثر وضوحاً وتنظيماً على يد بعض العلماء، أمثال الشيخ المفيد[1] (336 ـ 413هـ). وقد مارست هذه المدارس الكلامية التفسير أيضاً، فكانت تأخذ من الآيات ما يوافق آراءها، وتؤوّل الآيات المخالفة، أو تقوم بتوجيهها بحق أو بغير حقٍ. ومن هنا، ظهرت الاتجاهات الكلامية في التفسير بأنواع مختلفة، وسوف نذكر بصورة مختصرة أهم هذه الاتجاهات، مع ذكر كتبهم التفسيرية.

ب ـ الخصائص

أكثر ما يهتم به المفسِّر في هذا الاتجاه هو:

1 ـ الاهتمام بتفسير آيات العقائد (التوحيد ـ النبوة ـ العدل ـ الإمامة ـ المعاد).

2 ـ الاهتمام بالآيات المتشابهة في القرآن.

3 ـ إثبات عقائده، ونفي عقائد الآخرين عن طريق تفسير الآيات.

4 ـ دوافع المفسّر هي الدفاع عن عقائد المسلمين، أو الدفاع عن المدرسة الكلامية الّتي يتبنّاها.

5 ـ الاستفادة من المنهج الاجتهادي والعقلي في التفسير، واتّباع الطريقة الاستدلالية، إضافة إلى استخدام الروايات والآيات أيضاً، ولهذا فقد تشتمل التفاسير الكلامية على مناهج واتجاهات متعددة.

ج ـ الأنواع

أشهر المدارس الكلامية في التفسير عبارة عن:

---

(1) أشرنا إلى الاتجاه التفسيري للشيعة في مبحث المذاهب التفسيرية.

1 ـ الاتجاه الكلامي الاعتزالي في التفسير

المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء (80 ـ 131هـ)، ومن أهم الشخصيات البارزة في هذه المدرسة: عمرو بن عبيد (ت143هـ)، أبو الهذيل العلاف (ت235هـ)، إبراهيم النظام (ت231هـ)، الجاحظ (ت255هـ)، القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت415هـ) والزمخشري (ت538هـ).

يعتقد المعتزلة أنّ الإنسان حر ومختار، وأنّ القرآن يمكن تفسيره عن طريق العقل، وأنّه يمكن إدراك كثير من الحقائق بواسطة العقل (دون هداية الشرع)، وفي حالة تعارض الحديث مع العقل، فإنهم يقدّمون العقل، وكذلك يعتقدون أنّ الفاسق ليس مؤمناً ولا كافراً (المنزلة بين المنزلتين)، وأنّه لا يمكن للإنسان الحصول على المغفرة دون توبة.

وكذلك يعتقدون بالتوحيد الصفاتي، وينكرون التوحيد الأفعالي، فهم من العدلية، حيث يعتقدون بعدالة الله، وأنّ أفعاله لها غاية وهدف، وكلامه مخلوق، ويحصرون القدم بالله سبحانه وتعالى[1]. وذهب الدكتور الذهبي إلى أنّ أصول المعتزلة خمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]؛ ثم انتقدهم وانتقد تفاسيرهم بشدة[3].

وقد استمرت عقائد المعتزلة في الازدهار إلى زمن المتوكل؛

---

(1) أنظر: الشهيد مطهري، **آشنائي باعلوم اسلامي**، مجلد الكلام والعرفان، ص27 ـ 42.

(2) الذهبي، **التفسير والمفسّرون**، ج1، ص369، 370.

(3) المصدر نفسه، ص385.

حيث نُكِّل بهم في زمانه بشدة، ثم انتشر المذهب الأشعري منذ ذلك الزمان[1].

ومن أهم التفاسير الكلامية للمعتزلة:

1/ 1 ـ ***متشابه القرآن***، القاضي عبد الجبار الهمداني (ت415هـ)، وهو شافعي في المذهب الفقهي، ومعتزلي في الكلام.

1/ 2 ـ ***تنزيه القرآن عن المطاعن***، عبد الجبار المعتزلي.

1/ 3 ـ ***الكشّاف***، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) وقد تعرض للمسائل الأدبية واللغوية أيضاً.

1/ 4 ـ ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل*** (تفسير البيضاوي)، القاضي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي (ت685هـ)، وقد كتب هذا التفسير بالاعتماد على تفسير الكشّاف للزمخشري، والمشهور أن البيضاوي أشعريُّ المذهب، ولكن بعض المحققين يعتقدون أنّه معتزلي؛ لأنّه أعطى أهمية كبيرة للعقل والعدل في تفسيره[2].

1/ 5 ـ ***جامع التأويل لمحكم التنزيل***، أبو مسلم الأصفهاني (ت322هـ)، ولا تتوفر نسخة كاملة من هذا التفسير، ولكن الفخر الرازي نقل عنه في تفسيره، وكذلك الطبرسي في ***مجمع البيان***، وقد طُبعت آراء أبي مسلم الأصفهاني التفسيرية في مصر[3] وإيران بصورة مستقلة، ويتميز أبو مسلم بمنهجه العقلي في التفسير.

1/ 6 ـ وتذكر تفاسير أُخرى للمعتزلة ليست في متناول اليد

---

(1) الدكتور عبد الوهاب الطالقاني، **تاريخ تفسير**، ص258.

(2) **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص430.

(3) الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج1، ص389.

الآن، مثل: تفسير أبي بكر عبد الرحمٰن ابن كيان الأصم (ت240هـ)، محمد ابن عبد الوهاب ابن سلام (أبو علي الجبائي ت303هـ)، تفسير الكعبي المعتزلي (ت319هـ)، تفسير أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت384هـ)[1]. تفسير كبير لعبد السلام ابن محمد بن يوسف (ت483هـ) شيخ المعتزلة[2].

2 ـ الاتجاه الكلامي الأشعري في التفسير

الأشاعرة هم أتباع أبي الحسن الأشعري (ت330هـ تقريباً)، ومن أهم الشخصيات البارزة عندهم: القاضي أبو بكر الباقلاني (ت403هـ)، أبو إسحاق الأسفراييني، إمام الحرمين الجويني، محمد الغزالي (ت505هـ)، الفخر الرازي.

لا يعتقد الأشاعرة بحرية الإنسان واختياره، ويقولون بأن أعماله مخلوقة من قبل الله سبحانه وتعالى، ولا يذهبون إلى أن الإنسان خالق لأفعاله، بل يقولون بالكسب، ولا يعتقدون بالحُسْن والقبح الذاتي للأفعال، بل إن الحسْن والقبْح عندهم هو ما حسّنه أو قبّحه الشارع، وكذلك يعتقدون بأنّ العدل شرعي، وليس عقلياً (ولهذا السبب اعتُبروا من منكري العدل)، ويذهبون إلى أنّ الإنسان الفاسق يعتبر مؤمناً، وأنّه يمكن أنْ تشمل المغفرة العصاة دون توبة، ويعتقدون بالشفاعة، ويرفضون التوحيد الصفاتي، ويؤكدون على التوحيد الأفعالي، وأن القضاء والقدر إلهيان وإرادة الله عامة في جميع الحوادث، وأن الشر والخير من الله سبحانه وتعالى، وكلام الله قديم (الكلام النفسي، وليس الكلام اللفظي)، وأن أفعال الله ليست معللة، وليس لها غاية، وأن الله سوف يُرى يوم القيامة بالعين

(1) المصدر نفسه ص388، 389.

(2) السيوطي، **طبقات المفسرين**، ص19.

المادية، وأن العالَم حادث زماني، وأنّه يجوز التكليف بما لا يطاق[1]. إنّ منهج الأشاعرة في التفسير، هو الاهتمام بظواهر الآيات، والاجتناب عن العقل في التفسير. وأهم التفاسير الكلامية المدونة للأشاعرة هي:

1/ 2 ـ ***تأويلات القرآن***، أبو منصور محمود الماتريدي (ت333هـ)، فهو في الفقه من اتباع مذهب أبي حنيفة، ويميل إلى المدرسة الكلامية الأشعرية.

2/ 2 ـ ***تأويلات أهل السنة*** (تفسير الماتريدي)، أبو منصور محمود الماتريدي.

3/ 2 ـ ***مدارك التنزيل وحقائق التأويل*** (تفسير النسفي)، عبد الله ابن أحمد بن محمود بن محمد النسفي (القرن السابع). وقد دوّن هذا الكتاب من أجل نقد آراء الزمخشري في الكشاف، والنسفي من أئمة المذهب الحنفي في زمانه.

4/ 2 ـ ***بيان المعاني***، عبد القادر الملاّ حويش آل غاري، حنفي المذهب، ومن أتباع المذهب الأشعري في الكلام.

5/ 2 ـ ***مفاتيح الغيب*** (التفسير الكبير) للفخر الرازي (ت602هـ)[2] ويطلق عليه إمام المشككين، وقد أسرف في ذكر المباحث الكلامية، حتى قيل في تفسيره: فيه كل شيء إلا التفسير.

وهناك من قال بأنه يميل إلى مذهب الشيعة، ورغم كونه

---

(1) الشهيد مطهري، **آشنائي باعلوم إسلامي**، مجلد الكلام والعرفان، ص27 ـ 50.

(2) وهناك من قال إن سنة وفاته (606هـ)، انظر: **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص406.

أشعرياً في الكلام، لكنه قد يتبنى ما ما يخالف العقيدة الأشعرية في بعض الأحيان[1].

3 ـ الاتجاه الكلامي للشيعة في التفسير

الشيعة هم أتباع الأئمة الاثني عشر (من الإمام علي (ع) إلى الإمام المهدي (ع))، وقد استفاد الشيعة من أئمة أهل البيت (ع) في القرون الثلاثة الأولىٰ، وأخذوا عنهم أهم المسائل الكلامية، وقد نضج المذهب الكلامي للشيعة بعد غيبة إمام العصر(المهدي) (ع) سنة (329هـ)، بواسطة علماء الشيعة الكبار أمثال: الشيخ المفيد، المرتضى، الشيخ الطوسي، والخواجة نصير الدين الطوسي، و...

يعتقد الشيعة بالتوحيد الصفاتي والأفعالي، والعدل الإلهي، وقد أعطوا أهمية لكل من العقل والنقل، وذهبوا إلى أن الإنسان حرّ في أفعاله (ليس بصورة مطلقة، ولكن أمر بين أمرين)، وينكرون التكليف بما لا يطاق، ويعتقدون بأن الله لا يُرى بالعين المادّية، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومن أهم المسائل الكلامية للشيعة، الاعتقاد بإمامة أمير المؤمنين (ع)، والأئمة الاثني عشر (ع)، وكذلك الاعتقاد بعصمة الأنبياء والأئمة (ع).

وأما الاتجاه التفسيري للشيعة، فهو الالتفات إلى كل من الظاهر والباطن للقرآن، ومن أهم التفاسير الكلامية للشيعة:

3 /1 ـ ***غرر الفوائد ودرر القلائد*** (أمالي السيد المرتضى)، الشريف المرتضى (ت436هـ)، والذي جمع بين الظاهر والباطن.

3 /2 ـ ***تفسير التبيان***، الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت460هـ).

3 /3 ـ ***تفسير مجمع البيان***، أبو علي الطبرسي (ت548هـ)

---

(1) المصدر نفسه، ص414، 415.

ورغم كون التفسيرين المذكورين من التفاسير الجامعة، ولكنهما كثيراً ما يهتمان بالمباحث الكلامية.

4/ 3 ـ ***متشابه القرآن ومختلفه***، ابن شهر آشوب المازندراني (ت588هـ)، وقد دوّن هذا التفسير بصورة موضوعية.

5/ 3 ـ ***حدائق ذات بهجة***، أبو يوسف عبد السلام القزويني (ت488هـ) باللغة العربية، ويشمل جميع آيات القرآن، وهذا التفسير كان موجوداً حتى زمان الصفويين[1].

6/ 3 ـ ***بلابل القلاقل***، أبو المكارم محمد بن محمد الحسني (القرن السابع) باللغة الفارسية، وقد بدأ بالآيات الّتي تبدأ بلفظ «قل».

7/ 3 ـ ***دقائق التأويل وحقائق التنزيل***، أبو المكارم محمد بن محمد الحسني، وقد فسّر الآيات الّتي تشتمل على العبارات التالية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، ﴿أَلَمْ تَـرَ﴾.

8/ 3 ـ ***جلاء الأذهان وجلاء الأحزان***، أبو المحاسن حسين ابن الحسن الجرجاني (القرن الثامن) باللغة الفارسيَّة، وهو مأخوذ من تفسير أبي الفتوح الرازي إلى حدّ ما.

9/ 3 ـ ***لوامع التنزيل وسواطع التأويل***، أبو القاسم الرضوي اللاهوري (ت1324 هـ)، باللغة الفارسية، والمؤلف من علماء الهند.

10/ 3 ـ ***آلاء الرحمن***، محمد جواد البلاغي النجفي (1282 ـ 1352هـ)، وآخر هذا التفسير هو الآية (57) من سورة النساء، وكثيراً ما يتعرض للمسائل الكلامية بين الأديان.

---

(1) الزركلي، **الأعلام**، ج4، ص7؛ حاجي خليفة **كشف الظنون**، ج1، ص634.

11/ 3 ـ ***الميزان في تفسير القرآن***، محمد حسين الطباطبائي (1321 ـ 1402هـ) باللغة العربية، وهو يتعرض كثيراً للمباحث الاعتقادية (وخصوصاً في المجلدات الأُولى من تفسيره)، ورغم أن منهجه هو تفسير القرآن بالقرآن، ولكنه يهتم كثيراً بالمباحث الكلامية والفلسفية.

12/ 3 ـ ***تفسير نمونه***، ناصر مكارم الشيرازي ومعاونوه (معاصر)، فارسي.

13/ 3 ـ ***تفسير كلامي قرآن مجيد***، محمد حسين الروحاني. تعرض فيه إلى المباحث الاعتقادية للشيعة والدفاع عنها، وإن كان تفسيره جامعاً ذا اتجاه اجتماعي.

د ـ النماذج

من أهم الموضوعات، والآيات الّتي كانت مورد بحث ونقاش في التفاسير الكلامية:

1 ـ التوحيد الصفاتي.

2 ـ التوحيد الأفعالي.

3 ـ عصمة الأنبياء.

4 ـ العدل الإلٰهي.

5 ـ الإمامة وخلافة الرسول (ص).

6 ـ الهداية والضلال وعلاقتهما بحرية واختيار الإنسان.

7 ـ رؤية الله بالعين المادية، وعلاقة ذلك بمسألة التجسيم والتشبيه.

مثال: قال إسحاق المروزي، وهو من الحنابلة ـ أشعري الكلام

ـ في الآية الكريمة ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[1]: إن الله سبحانه يُقعِد النبي (ص) معه على العرش، وذلك جزاءً لهُ على تهجده، في حين نفىٰ المعتزلة هذا المعنى، وقالوا: إنّ حديث الجلوس على العرش محال، ووقعت الفتنة فقتل بينهم قتلى كثيرون، واضطر الجند إلى التدخل لإيقافها»[2].

وكذلك بالنسبة إلى الآية الشريفة ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾[3]. فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ الله سوف يُرىٰ في الآخرة، وهناك روايات في صحيح البخاري تؤيد هذا المعنى أيضاً[4]. وأما المعتزلة فقالوا: إن ظاهر الآية يتعارض مع الآية الكريمة ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾[5]، وإن هذا المعنى ـ رؤية الله في الآخرة ـ هو من المعاني المجازية[6].

قال العلاّمة الطباطبائي (قدّه) في الآية السابقة: «والمراد بالنظر إليه تعالى ليس هو النظر الحسّي بالعين الجسمانية المادية الّتي قامت البراهين القاطعة على استحالته في حقّه تعالى، بل المراد النظر القلبي ورؤية القلب بحقيقة الإيمان على ما يسوق إليه البرهان، وتدل عليه الأخبار المأثورة عن أهل العصمة[7].

---

(1) سورة الإسراء: الآية 79.

(2) ابن الأثير، أحداث سنة 317؛ إيغناس جولد تسهير **مذاهب التفسير الإسلامي**، ص123.

(3) سورة القيامة، الآيتان: 22، 23.

(4) **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾.

(5) سورة الأنعام: الآية 103.

(6) **مذاهب التفسير الإسلامي**، ص125 ـ 127.

(7) **الميزان**، ج20، ص198.

16

الاتّجاهات التفسيريّة: الفلسفيّة، الاجتماعيّة، الأدبيّة (2)

الهدف التعليمي

الهدف الأساس:

الاطلاع على الاتّجاهات التفسيرية للقرآن.

الأهداف الفرعية:

1) الاطلاع على تاريخ كل اتّجاه من الاتّجاهات؛

2) الاطلاع على خصائص كل اتّجاه؛

3) معرفة أقسام وأنواع الاتّجاهات؛

4) الاطّلاع على أهم كتب التفسير في كل اتّجاه.

القسم الثالث: الاتجاه الفلسفي

أ - نبذة تاريخية

موضوع الفلسفة هو الوجود وأحكامه.

ويعتمد الفلاسفة على العقل والاستدلال في تحليل الوجود، وقد كان الاستدلال العقلي موجوداً في صدر الإسلام، واستخدمه القرآن، وشجع عليه.

أما المعنى الفلسفي والاصطلاحي لهذه الكلمة، فقد بدأ في زمن العباسيّين، خصوصاً في عهدي المنصور والمأمون، وذلك عندما تُرجمت آثار اليونان والهند وفارس إلى اللغة العربية، وعند ذلك تعرف المفكرون المسلمون على الكتب الفلسفية في إيران واليونان، وأظهروا ردود فعل مختلفة تجاه هذه الفلسفات، فهناك من اعتبر هذه الأفكار مخالفة للإسلام وعارضها، وألَّف الكتب في الرد عليها، كالغزالي والفخر الرازي. أمّا في العصر الحاضر، فقد انتقد الدكتور الذهبي في كتابه ***التفسير والمفسّرون*** هذا الاتجاه بشدة، واعتبره نوعاً من أنواع التأويل وتحميلاً للآراء على القرآن[1].

أما الشيخ العك فقد وصف سعيهم لفهم صفات الله من الذنوب الكبيرة الّتي تخرجهم من دائرة الإسلام والإيمان[2].

وهناك من استقبل هذه الأفكار، وقام بنشرها واعتبرها منسجمة مع آيات القرآن كالفارابي، وصدر الدين الشيرازي وأبي علي بن سينا، وقالوا إنّ العقل لا يتعارض مع الدين، وإنّه يمكن الجمع بين الحكمة والعقيدة، وربما استخدموا طريقة التأويل للوصول إلى

---

(1) **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص418.

(2) **أُصول التفسير وقواعده**، ص234.

أهدافهم[1]. وقد دُوِّنت تفاسير وكتب عدَّة بأسلوب فلسفي. ولا بدّ من الالتفات إلى أنّ التفسير الفلسفي يرتبط ارتباطاً كبيراً في بعض فروعه وأنواعه مع التفسير الكلامي، أيّ إن بعض الفرق الكلامية كالمعتزلة والشيعة، تقترب كثيراً من المباحث الفلسفية والعقلية، وتشترك مع الاتجاه الفلسفي في بعض المسائل.

ب ـ الخصائص

غالباً ما يكون اهتمام أصحاب هذا الاتجاه بالمسائل التالية:

1 ـ الالتفات إلى تفسير الآيات المتعلقة بوجود الله وصفاته.

2 ـ الالتفات إلى الآيات المتشابهة.

3 ـ تأويل ظواهر القرآن، والتوفيق بينها وبين الآراء الفلسفية والآيات، واتخاذ الآيات شاهداً على الآراء الفلسفية.

ذكر الدكتور الذهبي أن الفلاسفة كانت لهم طريقتان للتوفيق بين الدين والفلسفة، هما:

أ ـ تأويل النصوص الدينية والحقائق الشرعية بما ينسجم مع الآراء الفلسفية.

ب ـ شرح النصوص الدينية، والحقائق الشرعية، بما يتفق مع الآراء الفلسفية وتحميل هذه الآراء على النصوص، وهذه الطريقة أخطر من الأولى[2].

4 ـ الاستفادة من العقل والبرهان، واعتماد المنهجين الاجتهادي والعقلي في التفسير.

---

(1) أنظر: الذهبي، **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص417، 418؛ عبد الرحمن العك، **أُصول التفسير وقواعده**، ص232.

(2) أنظر: محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج2، ص418.

5 ـ إنّ الباعث على التفسير، هو الدفاع عن الآراء والنظريات الفلسفية الخاصّة.

ج ـ الأنواع وأهم المصادر

1 ـ اتجاه الفلسفة المشّائية في التفسير

يطلق هذا الاصطلاح (الفلسفة المشائية) على المنهج الفلسفي الذي يرجع في جذوره إلى أفكار أرسطو، ويعتبر ابن سينا (ت428هـ) من أبرز فلاسفة هذه المدرسة بين المسلمين، فقد قام بتأليف كتاب الشفاء وضمّ فيه آراءه الفلسفية. ومن أهم الكتب التي تناولت المباحث التفسيرية للفلسفة المشائية هي:

1/1 ـ ***تفسير ابن سينا***، أبو علي حسين بن عبد الله ابن حسين المشهور بابن سينا (370 ـ 428هـ)، وقد تناول فيه تفسير السور التالية: الأعلى، الإخلاص، الفلق، الناس، وآية النور، والآية (11) من سورة فصلت و...

2/1 ـ كتاب النيروزية في معاني الحروف الهجائية لابن سينا أيضاً، تناول فيه تفسير الحروف المقطعة في بداية السور، وبيان أسرارها، وقد جمع حسن عاصي مؤلف، كثيراً من آراء ابن سينا وأفكاره في التفسير كتاب ***التفسير القرآني، واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا***.

2 ـ إتجاه الفلسفة الإشراقية في التفسير

هو الاتجاه الفلسفي الذي يرجع في جذوره إلى الأفكار الأفلاطونية الجديدة، وفلاسفة إيران القدماء، ومن أهم الشخصيات الإسلامية في هذه المدرسة الفلسفية، الشيخ شهاب الدين السهروردي (549 ـ 587هـ) وهذا الاتجاه يعطي أهمية كبيرة لمسألة الإشراق، والشهود في الفلسفة.

ويُذكر أنَّ الكثير من الأفكار الفلسفية لهذه الفرقة يوجد في آثار شيخ الإشراق السهروردي.

3 ـ اتجاه الحكمة المتعالية في التفسير

وهو منهج تلفيقي من الفلسفة المشائيّة، والفلسفة الإشراقية.

ويعتبر صدر الدين الشيرازي (ت1050هـ) من روّاد هذا الاتجاه، وكتابه الأسفار مشهور في هذا المجال.

وأهم الكتب الّتي تناولت المباحث التفسيرية الفلسفية للحكمة المتعالية هي:

1/ 3 ـ ***تفسير القرآن الكريم*** (تفسير صدر المتألهين)، محمد بن إبراهيم، صدر الدين الشيرازي المعروف بالملاّ صدرا أو صدر المتألهين (ت1050هـ)، والذي يشتمل على السور التالية: الفاتحة، الواقعة، يس، الأعلى، الحديد، والجمعة.

2/ 3 ـ ***أسرار الآيات***، المؤلف السابق. وهناك تفاسير فلسفية أُخرى مثل: ***تحفة الأبرار في تفسير القرآن***، الملاّ محمد الملائكة (القرن الثاني عشر)؛ ***تفسير رضوان***، الميرزا عبد الوهاب (ت1294هـ)[1]، وكذلك ***مخزن العرفان***، السيدة الأصفهانية (ت1403هـ)؛ ***الميزان في تفسير القرآن***، العلاّمة الطباطبائي (ت1402هـ)، وهو من التفاسير الفلسفية، وقد استفاد من مناهج واتجاهات أُخرى في التفسير[2].

---

(1) **دائرة معارف تشيّع**، ج3، ص183، 185.

(2) سيد رضا مؤدب، **روشهاي تفسير قرآن**، ص257، 258.

د ـ نماذج

أهم المسائل والآيات الّتي كانت مورداً للبحث في هذا الاتجاه، هي:

1 ـ إثبات وجود الله، والأدلة المختلفة على ذلك.

2 ـ حقيقة وجود الله وصفاته.

3 ـ التوحيد ومراتبه ومراحله.

4 ـ مسألة النفس.

5 ـ مسألة العقل.

6 ـ مسألة العليّة.

7 ـ مسألة الإعجاز.

مثال: كتب ابن سينا في تفسير الآية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾. . .﴾[1]. فقال: «النور اسم مشترك لمعنيين: ذاتي ومستعار، والذاتي هو كمال المشف من حيث هو مشف، كما ذكرها أرسطوطاليس، والمستعار على وجهين: أما الخير، وإما السبب الموصل إلى الخير، والمعنى هٰهنا، هو القسم المستعار بكلا قسميه. . .، وقوله «السموات والأرض» عبارة عن الكل، وقوله «مشكاة» فهو عبارة عن العقل الهيولاني والنفس الناطقة. . . والمصباح هو العقل المستفاد بالفعل. . .»[2].

مثال آخر: كتب الفارابي (ت339هـ) في تفسير أوّل سورة الحديد ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾. . .﴾، فقال: «الأوّل من جهته، أنّه منه،

---

(1) سورة النور: الآية 35.

(2) ابن سينا، **رسائل**، ص125 ـ 128؛ **التفسير والمفسّرون**، ج2، ص429.

ويصدر عنه كل موجود بغيره، وهو أول من جهته أنّه بالوجود لغاية قربه منه و. . . فهو الآخر لأنّه الغاية الحقيقية في كل طلب»[1].

مثال آخر: فسّر إخوان الصفا الجنّة بمعنى عالم الأفلاك، وجهنّم بمعنى عالم تحت فلك القمر، أي عالم الدنيا، وفسّروا الملائكة بمعنى كواكب الأفلاك[2].

مثال آخر: قد يستفيد الفلاسفة من المطالب الفلسفية لفهم آيات القرآن، ولهذا فهم يقتربون من الاتجاه الكلامي، أي الاستفادة من الفلسفة في الدفاع عن الدين، كما استفاد العلاّمة الطباطبائي من البحث الفلسفي «العلّيّة»، وقال إن القرآن يقبل قانون العليّة العامة، ولهذا فقد عرض تفسيراً خاصاً للمعجزة[3].

القسم الرابع: الاتجاه الاجتماعي

أ - نبذة تاريخية

كما تناول القرآن الكريم العقائد والأحكام التكليفية للإنسان، فإنّه قام ببيان الكثير من المباحث المتعلقة بالحياة الاجتماعية والفردية للإنسان. وهذا البعد القرآني له ماضٍ بعيد، وكان مورد اهتمام المفسّرين، حيث تناولوا الآيات المُتعلقة بالجانب الاجتماعي بالبحث والتفسير.

وقد تكونت في القرون الأخيرة نظرة جديدة إلى تعاليم القرآن

---

(1) الفارابي، **فصوص الحكم**، ص174، 175؛ **التفسير والمفسرون**، ج2، ص420.

(2) **رسائل إخوان الصفا**، مطبعة العربية، 1928 ج1، ص91، 92، 98.

(3) أنظر: **الميزان**، ج1، ص73.

والإسلام مع ظهور الحركة الاجتماعية الّتي قام بها السيد جمال الدين (الأفغاني) الأسدآبادي (ت1315هـ) في مصر، وتلميذه محمد عبده (ت1323هـ)، وقد تبلورت هذه الحركة في الاتجاه الاجتماعي في التفسير[1]، وتجسدت في تفاسير عديدة، مثل: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ـ وإن ابتعد مؤلفه في بعض الموارد عن أهداف الأفغاني وعبده في المنار[2] ـ وقد استمر التفسير الاجتماعي على هذا المنوال في جميع البلدان الإسلامية، فكان الشيخ أحمد مصطفى المراغي، في تفسير المراغي وسيد قطب ***في ظلال القرآن*** في مصر، والقاسمي في **محاسن التأويل** في سوريا، والعلاّمة الطباطبائي في الميزان وآية الله مكارم الشيرازي في تفسير نمونه، وآية الله الطالقاني في **برتويى أز قرآن** في إيران، ومحمد جواد مغنية في **الكاشف** في لبنان. وقد يقترن الاتجاه الاجتماعي مع الاتجاهات العصرية: الجهادي، التربوي، الإرشادي، والتقريبي، ما قد يؤدي إلى ظهور الحركات الثورية والإصلاحات الاجتماعية.

وكان هذا الاتجاه (المقترن مع الاتجاهات العصرية)، من أكثر الاتجاهات التفسيرية رواجاً في العصر الحاضر، ففي كل سنة يُعرَض تفسير جديد في هذا المنهج. وقد أشار الذهبي إلى الاتجاه الاجتماعي وامتيازاته، وأشكل عليه بأنّه يعطي مساحة كبيرة للعقل

---

(1) يرى الشيخ معرفة أن الشيخ محمد عبده، هو رائد هذه المدرسة التفسيرية أنظر: **التفسير والمفسرون**، ج2، ص. 453

(2) لقد أفرط في بعض الأحيان في تطبيق القرآن على العلوم الجديدة، وقد اتخذ بعض المواقف ضد الشيعة، بسبب تأثير الوهابية عليه. (انظر: **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص456 إلى 465؛ الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج2، ص585 وما بعدها).

في التفسير، ويقوم بتأويل بعض الحقائق الشرعية إلى المجاز، أو التمثيل. ولهذا فهو يقترب من منهج المعتزلة[1]. أمّا الشيخ معرفة فقد اعتبر استخدام الحرية العقلية من امتيازات هذا الاتجاه، لأنّه يقف بوجه الروايات الضعيفة، والمجعولة في التفسير[2].

ب ـ الخصائص

إن أكثر اهتمامات المفسرين في هذا الاتجاه هي:

1 ـ الآيات الّتي تبيّن المسائل الاجتماعية.

2 ـ الاهتمام بمشاكل المسلمين في العصر الحاضر، وتطبيق آيات القرآن على الحياة المعاصرة، واستخراج علاج المشاكل الاجتماعية من القرآن.

3 ـ عدم الاهتمام بالاتجاهات الفلسفية، والمذهبية، والأساليب الأدبية والفقهية، والسعي إلى استخراج العقائد من القرآن، وليس جعل القرآن تابعاً للعقائد.

4 ـ الاهتمام بالاتجاهات العصرية الجديدة في باب الجهاد مع أعداء الإسلام (وخصوصاً إسرائيل)، والاستعمار الغربي، والاهتمام بمسألة التقارب بين المسلمين.

5 ـ الاهتمام بالتعاليم التربوية، والإرشادية في القرآن.

6 ـ إعطاء أهمية كبيرة للعقل والعلوم التجريبية القطعية، والاستفادة من المنهجين العقلي والعلمي في التفسير.

---

(1) محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج2، ص547 ـ 550.

(2) محمد الشيخ **التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب**، ج2، ص453.

7 ـ الابتعاد عن الروايات الإسرائيلية الموضوعة والضعيفة.

8 ـ الاستفادة من البيان الواضح والبسيط في التفسير، والذي يلائم المستوى العام للجمهور.

9 ـ الاهتمام بالشبهات، والإشكالات الّتي تثار حول القرآن والإسلام من المخالفين، والسعي لتقديم الأجوبة المناسبة لها.

10ـ تأويل الآيات والروايات المخالفة للحقائق الشرعية، والعلميَّة، والعقلية الثابتة، أو اعتبار ذلك من المجازات.

11ـ يتمتع أصحاب هذا الاتجاه بروحية اجتماعية، وينظرون إلى الآيات والأحكام الشرعية نظرة اجتماعية، وليس من زاوية فردية.

12ـ يحاول المفسّر في هذا الاتجاه أن يبتعد عن التقليد، ويسعىٰ إلىٰ تطبيق السنن الاجتماعية في القرآن على حاجات العصر، ببيان وأسلوب يفهمهما الجميع.

ج ـ أهم المصادر

1 ـ ***تفسير جزء عمّ***، محمد عبده (ت1323هـ)، وتفسير سورة العصر وسور آيات قرآنية أُخرى منشورة للمؤلف أيضاً.

2 ـ ***المنار*** (تفسير القرآن الحكيم)، ويشتمل على آراء محمد عبده، وقد كتبه تلميذه محمد رشيد رضا (ت1354هـ)، ويبدأ من أول القرآن وينتهي عند الآية «53» من سورة يوسف.

3 ـ ***تفسير القاسمي محاسن التأويل*** عربي، جمال الدين أبو الفرج محمد بن محمد المعروف بالقاسمي (ت1332هـ)، وهو من تلاميذ محمد عبده، ومن علماء دمشق، وقائد الحركة ضد الاستعمار.

4 ـ ***تفسير المراغي***: الشيخ أحمد مصطفى المراغي (ت1371هـ) وهو من تلاميذ الشيخ محمد عبده، وله اهتمام خاص بأسرار التشريع، وعلل انحطاط المسلمين.

5 ـ ***في ظلال القرآن***، سيد بن قطب بن إبراهيم الشاذلي (ت1386هـ) استشهد في مصر، يتجلّىٰ في تفسيره الاتجاه الجهادي والسياسي، وله اهتمام خاص بالمسائل الاجتماعية.

6 ـ ***الميزان في تفسير القرآن***، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت1402هـ) وهو تفسير جامع، ومنهجه تفسير القرآن بالقرآن، وقد كُتب باللغة العربية، ثم ترجم إلى اللغة الفارسية.

7 ـ ***تفسير نمونه***، آية الله مكارم الشيرازي مع معاونيه (معاصر ـ إيران) باللغة الفارسية، وهو تفسير جامع (في سبعة وعشرين مجلداً)، ذو اتجاه اجتماعي، وله اهتمام خاص بالاتجاه العلمي، وهو أول تفسير يكتب بصورة جَماعية، أصل هذا التفسير باللغة الفارسية، وقد تُرجم إلى لغات أُخرى، وإلى اللغة العربية، تحت عنوان «الأمثل».

8 ـ ***بيام قرآن***، الشيخ مكارم الشيرازي، وهو تفسير موضوعي باللغة الفارسية، وقد طبع منه لحد الآن عشرة مجلدات.

9 ـ ***من وحي القرآن***، السيد محمد حسين فضل الله (عالم معاصر ـ لبناني)، باللغة العربية.

10 ـ ***الكاشف***، الشيخ محمد جواد مغنية (1322 ـ 1400هـ)، باللغة العربية، وهو من علماء لبنان، وله تفسير من مجلد واحد باسم «المبين» ويتميز بمشاعره القوية ضد الصهاينة.

11 ـ ***الفرقان في تفسير القرآن***، الدكتور محمد الصادقي الطهراني (معاصر ـ إيران) باللغة العربية.

12 ـ ***من هدى القرآن***، السيد محمد تقي المدرسي، كُتب عام 1405هـ في 18 مجلداً.

13 ـ ***مخزن العرفان***، السيدة نصرة بنت محمد علي أمين، المشهورة باسم (السيدة الأصفهانية، ت1403هـ). باللغة الفارسية.

14 ـ ***منشور جاويد***، آية الله جعفر السبحاني (معاصر)، وهو تفسير موضوعي باللغة الفارسية، نشر منه حتى الآن عشرة مجلدات، ونشر باللغة العربية باسم «مفاهيم القرآن».

15 ـ ***تفسير نور***، الأستاذ محسن قراءتي (معاصر).

16 ـ ***تفسير كاشف***، الدكتو بي آزار الشيرازي، والدكتور السيد محمد باقر حجّتي (معاصر).

17 ـ ذكر بعض العلماء تفاسير اجتماعية أُخرى منها[1]:

تفسير العاملي ـ إبراهيم العاملي (ت1347هـ).

بدائع التفسير ـ شمس الدين ابن القيّم (ت1350هـ).

التحرير والتنوير ـ محمد طاهر بن عاشور.

الحديث ـ محمد عزة دروزة النابلسي (ت1400هـ)، و...

د ـ النماذج

إن أكثر ما يهتم به أصحاب هذا الاتجاه التفسيري، هو المواضيع التالية:

1 ـ العلاقات الاجتماعية بين المسلمين (سورة آل عمران: الآية 200 و...).

---

(1) الدكتور مؤدب، **روشهاي تفسير قرآن**، ص280.

2 ـ مسألة الوحدة بين المسلمين (سورة آل عمران: الآية 103 و...).

3 ـ علاقات المسلمين مع الشعوب والبلدان الأُخرى، واعتبار قاعدة نفي السبيل، هي القاعدة الحاكمة بين المسلمين، وغيرهم في السياسة الخارجية (سورة النساء: الآية 101).

4 ـ مسألة الحكومة الإسلامية، والمسائل السياسية للمجتمع الإسلامي.

5 ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

6 ـ المسائل الصحية الاجتماعية والفردية (الإسراف، الغذاء الصحي و...).

7 ـ التعاون الاجتماعي (في الأُمور الخيرية ومساعدة الفقراء و...).

8 ـ مسألة الجهاد في الإسلام، ووجوب قتال الأعداء، والاستعمار، والصهيونية.

9 ـ مسألة حرية الإنسان، والوقوف ضد الظلم والاستبداد.

10 ـ الاهتمام بالتربية والتعليم، وأهمية العلم في الإسلام.

11 ـ الاهتمام بالعلوم الطبيعية والإنسانية في تفسير القرآن.

مثال: تناول العلاّمة الطباطبائي عند تفسير الآية (200) من سورة آل عمران بعض المباحث، تحت عنوان: **«كلام في المرابطة في المجتمع الإسلامي»**[1]، والّتي شملت العناوين التالية:

الإنسان والاجتماع، رابطة الفرد والمجتمع، الحرية في

(1) **الميزان**، ج4، ص97 ـ 147.

الإسلام، التكامل والتحول في المجتمع الإسلامي، الدين وسعادة الدنيا، الولاية في المجتمع الإسلامي، حدود البلدان الإسلامية و. . .

القسم الخامس: الاتجاه الأدبي واللغوي

أ ـ نبذة تاريخية

تعتبر اللغة والآداب العربية أحد المصادر المهمة في تفسير القرآن، والّتي لا يمكن أن يستغني عنها أي مفسّر.

وكانت مسألة استخدام اللغة والآداب العربية في فهم القرآن مورد اهتمام الأدباء والمفسّرين منذ القدم، وقد سبق أن أوضحنا أن أحد موارد الاستفادة من الروايات، هو توضيح المفردات المبهمة والمشكلة في القرآن. فقد كان الصحابة ـ أحياناً ـ يسألون الرسول (ص) عن معاني بعض المفردات القرآنية، ويقوم الرسول (ص) بتوضيحها لهم، واستمر هذا الأمر حتى عصر التابعين. ويعتبر كتاب غريب القرآن من أوائل الكتب المؤلفة في ذلك الزمان، قام بتأليفه محمد بن السائب الكلبي الكوفي، وهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (ع). ثمّ تطورت هذه الطريقة، وظهرت أنواع متعددة، ودخلت في ميدان تفسير القرآن، وتكونت تفاسير لغوية وأدبية، مثل: تفسير الكشاف للزمخشري (467 ـ 538هـ)، وأحياناً يقوم بعض المفسّرين بتخصيص قسم من تفسيره للبحوث الأدبية واللغوية، كما فعل الطبرسي في مجمع البيان، حيث تناول بحث اللغة والإعراب، تحت عنوان مستقل. أما في العصر الحاضر، فقد كثر الاهتمام بهذا الجانب، إلى حدّ أنّ بعض المراكز خصصت له حصة دراسيَّة، لأنّه لا يمكن للمفسّر أن يفهم ويفسّر القرآن بصورة جيدة دون الالتفات إلى هذا الجانب.

ب ـ الخصائص

إن أكثر ما يهتم به أصحاب هذا الاتجاه، هو المسائل التالية:

1 ـ الاهتمام بالمسائل النحوية والصرفية للألفاظ وعبارات القرآن، وفي بعض الأحيان، يقوم المفسّر بإعراب الآيات ودراسة النواحي الصرفية فيها.

2 ـ الاهتمام ببيان المسائل واللّطائف البلاغية وفصاحة القرآن.

3 ـ الاهتمام بالإعجاز الأدبي والبلاغي، أو إثبات ذلك.

4 ـ توضيح اللغات الغريبة والمشكلة في القرآن.

5 ـ الاهتمام بجذور الكلمات في اللغة العربية والثقافات غير العربية، أيّ تتبُّع الكلمات الدخيلة من اللغة العبرية، والسريانية، والفارسية و...

6 ـ الاهتمام باختلاف القراءات، وتأثير ذلك في معاني الآيات.

7 ـ الاستفادة من أشعار العرب، وخصوصاً الجاهلي منها، كمصدر للتعرف على معاني القرآن.

8 ـ الاهتمام بمباحث الوجوه والنظائر والحقيقة والمجاز.

ج ـ الأنواع والمصادر

1 ـ الاتجاه اللغوي في التفسير
(مفردات القرآن، غرائب القرآن، معاني القرآن)

في هذه الطريقة يتم التأكيد على معرفة اللغات الغريبة والمبهمة، والحصول على الجذر اللغوي واشتقاق الكلمة وشكلها والتغييرات الحاصلة عليها، والتطور التاريخي للغة والاستشهاد بأشعار العرب وكلام القبائل، وبالاستخدامات المختلفة لإحدى

اللغات في القرآن، والالتفات إلى الوجوه والنظائر والمترادفات والحقيقة والمجاز، ولا بد من التفريق في هذه الموارد بين المعنى الموضوع له، عن المستعمل فيه، عن طريق الاجتهاد في اللغة.

أما أهم وأشهر الكتب في هذا المجال فهي:

1 ـ ***تفسير غريب القرآن***، المنسوب إلى الشهيد زيد ابن علي بن الحسين. وطبع بتحقيق محمد جواد الجلالي على أساس ترتيب الآيات.

2 ـ ***تفسير معاني القرآن***، يحيى بن زياد الديلمي المعروف بالفرّاء (ت207هـ)، باللغة العربية.

3 ـ ***تفسير غريب القرآن***، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، باللغة العربية، على أساس ترتيب الآيات.

4 ـ ***تفسير مفردات ألفاظ القرآن*** (مفردات الراغب)، أبو القاسم الحسين ابن محمد ابن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت503هـ). ذكر فيه لغات القرآن على أساس حروف (أ، ب. . .).

5 ـ ***تفسير وجوه القرآن***، أبو الفضل ابن إبراهيم التفليس (ت600هـ)، قام بدراسة وبحث الاستخدامات القرآنية وهي أعم من الحقيقة والمجاز (المعاني المستعمل فيها).

6 ـ ***تفسير الوجوه والنظائر في القرآن***، أبو عبد الله الحسين ابن محمد الدامغاني (القرن الثامن). رتّبه على شكل معجم، وهو من أفضل الكتب في نوعه.

7 ـ ***تفسير مبهمات القرآن***، أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي (ت782هـ). قام ببحث اللغات المبهمة في القرآن.

8 ـ ***تفسير غريب القرآن***، سراج الدين أبو حفص عمر ابن أبي الحسن (ت804هـ).

9 ـ ***تفسير غريب القرآن الكريم***، فخر الدين الطريحي (ت1087هـ)، صاحب كتاب مجمع البحرين.

ملاحظة: تناولت بعض التفاسير، وبصورة ضمنية بعض البحوث اللغوية، منها: تفسير شبّر، عبد الله بن شبّر الكاظمي النجفي (ت1242هـ)، تفسير الجلالين، جلال الدين المحلّي (ت864هـ) وجلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تفسير ***مجمع البيان وجوامع الجامع***، للشيخ الطبرسي (ت548هـ)، وكذلك كتاب ***التحقيق في كلمات القرآن الكريم***، حسن المصطفوي، كتاب ***قاموس القرآن***، السيد علي أكبر القرشي، وهما من الكتب القيّمة في هذا المجال. وقد اهتم المصطفوي و«آرثر جفري» في كتابه اللغات الدخيلة في القرآن، بالبحث عن جذور واشتقاق الكلمات غير العربية أيضاً.

2 ـ الاتجاه الأدبي (البلاغي والبياني)

يؤكد هذا الاتجاه على البحوث اللفظية، والمعاني المتشابهة للآيات، عن طريق الاهتمام بالنواحي الصرفية والنحوية للآيات، والاستفادة بصورة كاملة من الآداب العربية (الصرف، النحو، البلاغة، البديع، و. . .)؛ لأنّ القرآن نزل بلسان عربيٍّ ولا بدّ من الاهتمام بهذه البحوث من أجل فهمه، والتعرف على معانيه، وهناك بعض الكتب المدونة في هذا الاتجاه، وهي:

1 ـ تفسير ***مجمع البيان***، وكذلك تفسير ***جوامع الجامع***، أمين الإسلام أبو علي الفضل ابن الحسن الطبرسي (ت548هـ) باللغة العربية، والمؤلف شيعي المذهب، وقد تناول في

تفسيره بحوثاً مفصلة مستقلة حول إعراب القرآن واللغات، وهو من الكتب القيّمة في هذا المجال.

2 ـ ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، جار الله الزمخشري (467 ـ 538هـ) باللغة العربية، وهو معتزلي المذهب، وكان له اهتمام واسع بالبحوث الأدبية، وهو من أفضل الكتب في هذا المجال.

3 ـ ***إملاء ما مَنّ به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن***، أبو البقاء عبد الله ابن الحسين ابن عبد الله العكبري (ت616هـ).

4 ـ البحر المحيط، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الحياني الأندلسي النحوي، المالكي المذهب (ت745هـ).

5 ـ ***التحصيل في مختصر التفصيل***، أبو العباس أحمد التميمي الأندلسي (ت440هـ).

6 ـ ***تفسير القرآن وإعرابه وبيانه***، الشيخ محمد علي طه دره (معاصر من أهل السنة).

7 ـ ***نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*** (تفسير البقاعي)، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ)، باللغة العربية، وقد اهتم بمناسبات الآيات، ونظمها، واللطائف البلاغية، وكان يرى أنّ إعجاز القرآن يكمن في هذه الموارد.

8 ـ ***إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*** (تفسير أبي السعود) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، حنفي المذهب (ت982هـ) باللغة العربية، وقد بيَّن أسرار بلاغة القرآن والاستعارات والتشبيهات، وأثبت إعجاز القرآن عن هذا الطريق.

ملاحظة: اهتمّ الكثير من التفاسير بهذه المباحث أيضاً، منها: تفسير شُبَّر، والجلالين، والتبيان.

النماذج والموضوعات

عادة ما يكون اهتمام هذا الاتجاه بالمباحث التالية:

1 ـ الصرف.

2 ـ النحو.

3 ـ معاني اللغات واشتقاقها.

4 ـ اللغات الدخيلة في القرآن (المفردات الّتي لها جذور غير عربية)، مثل كلمة «الفردوس»، وهي كلمة فارسية، وإبراهيم و...

5 ـ الاهتمام بفصاحة وبلاغة الآيات.

6 ـ الاهتمام بالمترادفات والمشتركات اللفظية (الوجوه والنظائر)[1].

مثال: استفاد الزمخشري من تفسير الآية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2]، معنى الاختصاص؛ أيّ إن النظر يكون يوم القيامة منحصراً ومختصاً بالله فقط، وذلك عن طريق تقديم المفعول به «إلى

---

(1) هناك لون آخر من ألوان التفسير الأدبي، يتجاوز دراسة النص بصورة جزئية من خلال الاهتمام بالخصائص الجماليّة والبلاغية للجملة والمفردة القرآنية، إلى الاهتمام بدراسة النص القرآني بتمامه، واكتشاف خصائصه الفنية والبيانية من خلال الوحدة الموضوعية الّتي تربط بين الآيات والسور القرآنية، وكان رائد هذه المحاولة الشيخ أمين الخولي وتلميذته بنت الشاطئ في كتابها «**التفسير البياني للقرآن الكريم**» [المترجم].

(2) سورة القيامة: الآيتان 22، 23.

ربّها»، ثم أشكل على هذا المعنى، بأنّه كيف دلّ التقديم على معنى الاختصاص مع العلم أنهم ينظرون إلى أشياء كثيرة أُخرى، ثم إن النظر إلى الله من المحالات (لأنّه ليس جسماً)، فلا بد من حمله على معنى يصح معه الاختصاص، كقول القائل: أنا إلى فلان ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء.

وسُمعت «سروية» مُستجدية بمكة، وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم، ويأوون إلى مقائلهم، تقول عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الدُنيا، لا يخشون ولا يرجون إلا إياه[1].

الخلاصة

1 ـ بيّنّا معنى الاتجاه والتفسير في هذا الدرس، وأشرنا إلى أقسام الاتّجاهات؛ أي المذاهب، المدارس (الكلامية)، الألوان، الاتجاهات، وأسلوب ترتيب وكتابة التفسير.

2 ـ اتضح معنى الاتجاه الفقهي في التفسير، والذي بدأ في زمن النبي (ص)، ثم ظهر على شكل تفسير موضوعي.

3 ـ ذكرنا خصائص الاتجاه الفقهي وأنواعه الفرعية (الشيعي، الشافعي، المالكي، الحنبلي، الحنفي) مع ذكر بعض النماذج والمصادر.

4 ـ تابعنا الاتجاه الكلامي في التفسير، من صدر الإسلام حتى ظهور المعتزلة والأشاعرة والمتريدية، والخصائص الخمسة الّتي يتميز بها هذا الاتجاه، وأنواعه الفرعية (المعتزلة ـ الأشاعرة ـ الشيعة)، مع ذكر مصادرهم وبعض النماذج.

(1) الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص62.

5 ـ تابعنا الاتجاه الفلسفي في التفسير منذ زمن الخلفاء العباسيّين، ووضّحنا الآراء الموافقة والمخالفة، ثم ذكرنا خمساً من المميزات الّتي يتميّز بها هذا الاتجاه وأنواعه الفرعية (المشّاء ـ الإشراق ـ الحكمة المتعاليَّة) مع ذكر المصادر المهمة وبعض النماذج.

6 ـ بحثنا الاتجاه الاجتماعي منذ زمن السيد جمال الدين (الأفغاني) الأسدآبادي ومحمد عبده، وذكرنا علاقته بالاتجاهات التفسيرية، وخصائصه، وأهم مصادره، مع ذكر بعض النماذج.

7 ـ بحثنا الاتجاه الأدبي واللغوي في التفسير من صدر الإسلام، وذكرنا خصائصه الثمانية، وأنواعه المهمة (اللغوي، الأدبي، البلاغي والبياني) وذكرنا مصادره مع ذكر بعض النماذج.

الأسئلة

1 ـ عرّف الاتجاه التفسيري، واذكر أقسام الاتجاهات التفسيرية.

2 ـ أذكر أربع خصائص فقهيّة للاتجاه الفقهي.

3 ـ اشرح الاتجاهين الفقهيين: الشافعي، والشيعي مع ذكر مصدرين لكل منهما.

4 ـ تحدث عن الاتجاهين الفقهيين: المالكي والحنبلي، واذكر مصدرين لكل منهما.

5 ـ بيّن الاتجاه الكلامي للتفسير عند المعتزلة، واذكر مصدرين في التفسير عندهم.

6 ـ تحدث عن الاتجاه الكلامي في التفسير عند الشيعة، مع ذكر أهم المصادر والشخصيات.

7 ـ ما هو الاتجاه الكلامي في التفسير عند الأشاعرة وا ذكر أهم تفسيرين عندهم.

8 ـ بيّن الاتجاه الفلسفي المشّائي، مع ذكر مصدرين تفسيريين.

9 ـ تحدث عن الاتجاه الفلسفي للحكمة المتعالية، مع ذكر مصدرين تفسيريين.

10 ـ تحدث عن الاتجاه الاجتماعي في التفسير، واذكر علاقته بالاتجاهات التفسيرية.

11 ـ اذكر خمس خصائص للتفسير الاجتماعي.

12 ـ اذكر بعض النماذج للتفسير الاجتماعي، مع ذكر ثلاثة مصادر لهذا الاتجاه.

13 ـ ما هو أول كتاب في غريب القرآن؟ مع ذكر المؤلف.

14 ـ اشرح الاتجاه الأدبي (البلاغي والبياني) في التفسير، مع ذكر مصدرين له.

15 ـ اذكر خمس خصائص للاتجاه اللغوي والأدبي.

بحوث جديدة

1 ـ ناقش آية المتعة على رأي الاتجاهات الفقهية في التفسير، مع النقد.

2 ـ ابحث عن الاتجاه الكلامي للماتريدية، مع ذكر مصادرهم التفسيرية المهمّة.

3 ـ ناقش مسألة العدل الإلٰهي والتوحيد الصفاتي والأفعالي في الأيات القرآنية، على رأي الاتجاهات الكلامية في التفسير.

4 ـ ابحث مسألة الإمامة على رأي الاتجاه الكلامي في التفسير عند الشيعة.

5 ـ ابحث مسألة الهداية والضلال وعلاقتها باختيار الإنسان، على رأي الاتجاهات الكلامية.

6 ـ ابحث عن الاتجاه الفلسفي في تفسير الميزان، ومقدار تأثير العقائد الفلسفية للعلاّمة في هذا التفسير، مع ذكر بعض النماذج.

7 ـ ناقش كتاب أسرار الآيات للملاّ صدرا، مع الأخذ بنظر الاعتبار المعايير التفسيرية مع النقد.

8 ـ ناقش مسألة النفس والعقل، من زاوية الاتجاهات الفلسفية في التفسير، مع النقد.

9 ـ ابحث عن الاتجاه الاجتماعي في تفسير نمونه، مع توضيح خصائصه في ضوء بعض النماذج.

10 ـ ابحث عن الاتجاه الاجتماعي في تفسير المنار، مع النقد.

11 ـ قارن بين الاتجاه الأدبي واللغوي في مجمع البيان والكشّاف.

12 ـ ناقش مقدار اعتبار مصادر الاتجاه اللغوي، واذكر ثلاثة مصادر معتبرة في اللغة (مع ذكر الأدلة).

13 ـ ناقش مسألة اعتبار قول اللغوي في التفسير.

مصادر إضافية للمطالعة

ـ ***التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب***، الشيخ معرفة (الجزء الثاني).

2 ـ ***التفسير والمفسّرون***، الذهبي.

3 ـ ***أصول التفسير وقواعده***، الشيخ خالد عبد الرحمٰن العك.

4 ـ ***المفسّرون حياتهم ومنهجهم***، محمد علي الأيازي.

5 ـ ***مذاهب التفسير الإسلامي***، جولد زيهر، مُترجَم.

6 ـ ***روشهاي تفسير قرآن***، الدكتور السيد رضا مؤدب.

7 ـ ***روشهاي وگرايشهاي تفسيري***، حسين علوي مهر.

8 ـ ***فلسفة وقرآن***، مخبر الدزفولي، منشورات إسلامي، 1368.

9 ـ ***مكاتب تفسيري***، علي أكبر البابائي، دفتر همكاري حوزه ودانشگاه (مكتب التنسيق بين الحوزة والجامعة).

الملحقات

1

تفسير القرآن والهرمنيوطيقا

طرح هذا البحث (الهرمنيوطيقا) في المباحث القرآنية منذ عهد قريب. وقد جعله بعض الكتاب في صف المناهج التفسيرية للقرآن، تحت عنوان منهج تفسير الهرمنيوطيقا[1] ووضعه آخرون بين الاتجاهات الأدبية في تفسير القرآن[2]. وبِغض النظر عن صحة هذا الرأي، أو عدم صحته، فإنّ هذا البحث وعلاقته بتفسير القرآن، ومناهج التفسير يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة. وقد اختلفت الآراء حول هذا الموضوع، وتجدر الإشارة إلى ترتب نتائج مختلفة على كل رأي من هذه الآراء. وقد تكون هذه النتائج متناقضة في ما بينها؛ ولهذا فإنّ دراسة هذا الموضوع تحتاج إلى تأليف مستقل ومن الأفضل تناوله في مرحلة أعلى من المرحلة المستهدفة في هذا الكتاب. ونحاول هنا، بحث هذا الموضوع بصورة مختصرة، ونكتفي

---

(1) عباس علي عميد الزنجاني، **مباني وروشهاني تفسير قرآن**، ص267 ـ 312.

(2) حسين علوي مهر، **روشها وگرايشهاي تفسيري**، ص269.

بالإشارة إلى نتائجه الإيجابية، والسلبية تحت العناوين التالية:

أوّلاً: الجذور التاريخية لبحث الهرمنيوطيقا.

ثانياً: أهم تعريفات الهرمنيوطيقا.

ثالثاً: علاقة الهرمنيوطيقا بتفسير القرآن، واللوازم المحتمل ترتبها على القبول ببعض الآراء.

رابعاً: عرض نتائج موضوع الهرمنيوطيقا في تفسير القرآن.

وهناك محاولات لدراسة هذا الموضوع، وهي بحاجة إلى نقد وتطوير، وهذا ما سنشير إليه في نهاية هذا الملحق.

نبذة تاريخية حول «الهرمنيوطيقا»

معنى الهرمنيوطيقا

لفظ الهرمنيوطيقا HERMENEUTICE مأخوذ من المعنى اليوناني «HERMENEUINE» بمعنى (تفسير) وقد استخدمت هذه الكلمة منذ زمن أفلاطون بمعنىٰ التوضيح، وإزالة الغموض عن الموضوع، وقد أطلق أرسطو هذا اللفظ على قسم من أقسام كتاب أرغنون (حول منطق القضايا)، وعادة ما توجد علاقة واضحة بين الاشتقاق اللغوي لهذا الاصطلاح (الهرمنيوطيقا)، وكلمة «هرمس»، وهو الملاك الذي ينقل رسائل الآلهة ودساتيرها إلى الأرض، وحتى القرن السابع عشر الميلادي لم يكن يوجد فرع علمي بهذا الاسم، وإنما حدث ذلك بعد القرن السابع عشر الميلادي، فما بعد[1].

---

(1) أنظر: أحمد واعظي، **در آمدي بر هرمنوتيك**، ص22 ـ 24.

الهرمنيوطيقا في التاريخ

بدأ علم «الهرمنيوطيقا» بصورة رسمية في القرن السابع عشر الميلادي ويعتبر دان هافر J.C Dann Haver أول من استعمل لفظ «الهرمنيوطيقا» عندما أطلق هذا اللفظ على كتابه ***الهرمنيوطيقا المقدّسَة أو منهج تفسير النصوص المقدسة***[1]. وقد اعتبر بعض المتخصصين أن نهضة الإصلاح الديني، هي نقطة البداية لهذا العلم، وأن «شلايرماخر» Friedrich Schleir Macher (1768 ـ 1834م) هو المؤسس الحقيقي للهرمنيوطيقا الجديدة[2]. ولأول مرة قبل مئة سنة تقريباً قام و«يلهلم ديلتاي» Wilhelm Dilthey بتدوين الهرمنيوطيقا بوصفها أحد المناهج الفكرية، وذلك من أجل رفع قيمة العلوم الإنسانية، وجعلها في رتبة مساوية مع العلوم التجريبية، حتى ذلك التاريخ، كان المفكرون يؤكدون على نيَّة وقصد المؤلف في فهم المتن، ثم ظهرت آراء أُخرى في هذا الموضوع، تؤكد على البحث الفلسفي في موضوع الفهم، وتقلل من دور نيَّة وقصد المؤلف في فهم المتون، ومن روَّاد هذا الاتجاه كلٌّ من: «مارتن هيدجر» (1889 ـ 1976م) (وغادامر) (1900م).

ورغم أن علم «الهرمنيوطيقا» نشأ في القرن السابع عشر الميلادي بصورة رسمية، باعتباره أحد الفروع العلمية، لكن مباحثه ذكرت في بعض الكتب القديمة قبل هذا التاريخ (الهرمنيوطيقا المجهولة)[3] ومن جملتهم القديس أوغسطين» الفيلسوف واللاهوتي

---

(1) **در آمدي بر هرمنوتيك**، ص75.

(2) **در آمدي بر هرمنوتيك**، ص72.

(3) «هر منوتيك بي نام» تعبير أطلقهُ الأستاذ واعظي على الآراء والمباحث الهرمنيوطيقية الّتي كانت موجودة، قبل وبعد القرن السابع عشر الميلادي، ولم =

المسيحي (430 ـ 454)، والذي اعتبر أن علّة إبهام الكتاب المقدس هي الخلط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي والاستعمالي[1]. وقد طرح علماء المسلمين مباحث مشابهة للنظريات الهرمنيوطيقية، ذُكرت في علم أُصول الفقه والتفسير، وذلك لأنّ مباحث علم الأُصول والتفسير تختص بقواعد فهم المتن، بالإضافة إلى أنّ المباحث المختصة في مناهج التفسير، تعتبر من المواضيع الهرمنيوطيقية، ومن جملتها التفسير الإشاري (الرمزي، والكنائي، والتمثيلي و. . .»[2].

الآراء حول الهرمنيوطيقا

طرحت تعريفات كثيرة حول الهرمنيوطيقا منها:

1 ـ اعتبر «جان مارتن كلادينوس» (1710 ـ 1759م) أنّ العلوم الإنسانية تعتمد على (فن التفسير) وأنّ الهرمنيوطيقا، هو الاصطلاح المرادف له؛ فالهرمنيوطيقا هو فنّ الحصول على الفهم الكامل والتامّ للعبارات المكتوبة والشفاهية، ولكن في الموارد الّتي يوجد فيها غموض.

2 ـ فردريك أُغوست ولف (في خطاباته وكلامه 1785 ـ 1807م): عرّف موضوع الهرمنيوطيقا بأنَّهُ: هو العلم بالقواعد الّتي تساعد على إدراك وفهم معاني العلامات والرموز، وإنّ الهدف منه هو فهم الأفكار المكتوبة، والشفاهية لشخص المؤلف، أو المتكلم، تماماً كما كان يفكر به.

= تدخل تحت مباحث الهرمنيوطيقا بصورة رسمية. انظر: أحمد واعظي، **در آمدي بر هرمنوتيك**، ص46 [المترجم].

(1) **در آمدي بر هرمنوتيك**، ص72.

(2) المصدر نفسه، ص52 ـ 54.

3 ـ شلاير ماخر (1767 ـ 1834م): نظر إلى الهرمنيوطيقا بمثابة «فنّ الفهم»، وقد التفت إلى مسألة سوء الفهم، وقال: إن تفسير النص معرَّض دائماً لخطر سوء الفهم؛ ولهذا فهو يرى أنّ الهرمنيوطيقا هي مجموعة القواعد المنهجيَّة المستخدمة لرفع هذا الخطر. فقد اعتبر أن هدف التفسير هو الكشف عن نيَّة المؤلف[1] وذلك بالتأكيد على محورين:

الأوّل: هي هرمنيوطيقا لغوية؛ وهو فهم القواعد والقوانين لأنواع العبارات والصور اللغوية، والوسط الثقافي الذي يعيش فيه المؤلف، والذي يُعيِّن ويُحدِّد تفكيره.

الثاني: هرمنيوطيقا نفسية: وهو الفهم الفني والنفسي للذهنية الخاصة للمؤلف، ونبوغه الخلاَّق.

4 ـ «ويلهلم ديلتاي» (1833 ـ 1911م): اعتبر الهرمنيوطيقا علماً يتولى عرض مناهج العلوم الإنسانية، وأنّ الهدف الأساس منها هو الارتقاء برتبة وقيمة العلوم الإنسانية، والارتفاع بها إلى رتبة العلوم التجريبية، فهو يعتمد على التمييز بين «الفهم» و«التبيين»، فتبين الحوادث الطبيعية يعتمد على استخدام القوانين الكلّية، أما المؤرخ فهو يسعى إلى فهم أعمال المسبّبين للحوادث التاريخية، عن طريق الكشف عن نواياهم، وأهدافهم، وآمالهم، وطبيعة شخصياتهم، فالفهم يعني إعادة اكتشاف «الأنا» في «الأنت»، ويمكن أنْ يحدث هذا بدليل وحدة الطبيعة البشرية، ومن أصحاب هذا الرأي «ماكس فيبر» (1864 ـ 1920م)، «ويواخيم واخ»[2].

---

(1) الدكتور أحمد بهشتي، **هرمنوتيك لوازم وآثار**، مجلة: كتاب نقد، العدد 5، 6، ص59.

(2) المصدر نفسه، ص60.

5 ـ «بابنر»، وهو من الكتّاب المعاصرين الألمان: عرَّف الهرمنيوطيقا بأنها «علم الفهم»، وهذا التعريف يتناسب مع الهرمنيوطيقِا الفلسفية لكل من «هيدجر» «وهانس غادامر»؛ حيث ينظرون لمطلق الفهم وتحليل طبيعته وتبيين شرائط حصوله، ولا يحصرونه في حدود فهم العلوم الإنسانية، أمّا «هيدجر» فهو يعتقد أنّ المجتمع البشري يفهم العالم عن طريق ذهنية مسبقة (المفروضات، التوقّعات، والمفاهيم)، وقد أيد «جادامر» هذه المعتقدات (آراء هيدجر)، وذهب إلى أنّ كلّ متن أو شيء يمكن تفسيره من منظور خاص، ويتعلق بسنّة خاصة، ويصنع تحت أُفق خاص، حيث يمكن فهم كل شيء في إطاره، وهذا الأفق في حالة تغير دائم عن طريق مواجهته مع الأشياء؛ فلا يوجد تفسير نهائي وعيني[1].

إنّ تعدد هذه التعريفات يشير إلى اتساع هذا البحث، واختلاف وجهات النظر حوله، وقد حصلت تطوّرات كثيرة على هذا المصطلح بمرور الزمن، فانتقل من مجرد كونه أداة في فهم وتفسير المتون الدينية والحقوقية إلى التأمّل الفلسفي، في باب ماهيّة الفهم وشرائط حصوله[2].

علاقة الهرمنيوطيقا بتفسير القرآن

اهتم بعض المفكّرين في مصر باستخدام علم الهرمنيوطيقا في تفسير القرآن، أمثال: محمد إبراهيم شريف في كتابه ***اتجاهات التجديد في تفسير القرآن***، وعفّت محمد الشرقاوي في كتاب ***الفكر***

---

(1) المصدر نفسه، ص61؛ نامه فرهنك، العدد 14، ص128.

(2) **در آمدي برهرمنوتيك**، ص27 ـ 30 (بتلخيص).

الديني في مواجهة العصر، ونصر حامد أبو زيد في كتاب ***نقد الخطاب الديني***؛ أمّا في إيران فقد كتب محمد مجتهد شبستري ***هرمنوتيك كتاب وسنّت*** وقد ذهب بعض الكتاب إلى أنّ المفكرين المسلمين أخذوا مناهجهم في تفسير المتون من عالم اللّسانيات السويسري فرديناند سوسير (1857 ـ 1931م)[1].

ولا بدّ من ذكر أهمّ مميزات وخصائص تفسير القرآن على أساس التفسير المشهور، في مقابل التفسير بالمنهج الهرمنيوطيقي، لكي تتضّح دعاوى الطرفين، ويسهل الحكم على الآراء المطروحة في هذا المجال.

أ ـ خصائص ومميزات التفسير بالمشهور

1 ـ يسعى المفسّر في الحصول على معنى النص، وهو المراد الجدّي للمتكلم والمؤلف، والنصوص المقدّسة هي رسائل وتعاليم إلهية للبشر، وإنّ هدف المفسّر، هو إدراك المعاني والتعاليم النهائية الّتي يتضمنها النص[2].

2 ـ إنّ الوصول إلى معاني النص (مقصود المتكلم والمؤلف) يكمن في سلوك المنهج المتعارف والعقلائي في فهم النصوص، وذلك على أساس حجيّة ظواهر الألفاظ، وإن دلالة الألفاظ تتبع الوضع اللغوي والأُصول والقواعد العقلائية للمحاورة والّتي يستخدمها كل متكلم ومخاطب في جميع اللغات، وعلى أساسها يتكلمون ويتفاهمون.

---

(1) عميد الزنجاني، **مباني وروشهاني تفسيري**، ص275.

(2) لقد عرّف العلاّمة الطباطبائي (قده) التفسير في مقدمة تفسيره الميزان فقال: «التفسير هو بيان معاني الآيات القرآنية، والكشف عن مقاصدها ومداليلها».

3 ـ قد يصل المفسّر إلى الفهم التعييني للنص، وقد يتوصل إليه بصورة ظنّية (فهم الظواهر)، وأحياناً يخطئ في فهم المتون.

4 ـ هناك معايير لتشخيص أخطاء المفسّرين منها: قوانين المنطق، القواعد العقلائية للمحاورة (أُصول الفقه)، قواعد التفسير الّتي جاء بيان بعضها من قبل القدماء (مثل قاعدة التفسير بالرأي)، وبعضها الآخر دوّن من قبل بعض العلماء. وحجيّة واعتبار التفسير، وفهم النص يكمن في استخدام هذه القواعد، وعلى هذا الأساس لا يوجد معنى للنسبية في فهم النص؛ لأنّه يمكن تشخيص الفهم الصحيح عن غير الصحيح، بواسطة هذه القواعد.

5 ـ لا تعتبر الفاصلة الزمانية بين عصر المفسّر، وزمن ظهور النص مانعاً جدّياً، دون الحصول على المقصود والمراد الجدّي لنص القرآن(1). وذلك:

أوّلاً: بسبب وجود بعض القرائن الواردة عن طريق الأحاديث، شأن النزول، والتاريخ، والّتي يمكن من خلالها اكتشاف المعاني الأصليّة للنص إلى حد بعيد.

ثانياً: حجيّة ظواهر القرآن؛ فإذا ما انعقد هذا الظهور في زماننا، فسوف يتحقق موضوع هذهِ الحجيَّة.

6 ـ لا يحق للمفسِّر أنْ يحمِّل النص آراءهُ وأفكاره المسبقة، وإلا

---

(1) استدل الشهيد الصدر (قده) على حجية الظهور في عصر السماع، ومطابقته للظهور الموضوعي في عصر الكلام، بأصل عقلائي أطلق عليه «أصالة عدم النقل»، أو «أصالة الثبات في اللغة»، والذي يعني إلغاء احتمال التغيير في الظهور لأنها حالة استثنائية نادرة، تنفى بالأصل (راجع: **دروس في علم الأصول**، ج3، الظهور الموضوعي في عصر النص) [المترجم].

فسوف ينتهي به الأمر إلى الوقوع بالتفسير بالرأي المحرّم، وغير المعتبر، ولا بدّ أن يكون ذهنه خالياً من أيّ رأي مسبق (وإن كان هذا غير ممكن بصورة كاملة).

7 ـ إنّ مصدر القرآن هو الله سبحانه وتعالى، وليس للنبي (ص) أيّ دور في تعيين، أو تغيير الفاظ ومحتوى الوحي، وهذا ما أشار إليه الكثير من الآيات[1].

ب ـ خصائص التفسير الهرمنيوطيقي للقرآن ونتائجه

1 ـ إن فهم النص، هو حاصل تركيب وامتزاج أُفق المعنى للمفسّر، مع أفق المعنى للنص، ولهذا فإن دخول ذهن المفسّر وقبليّاته في التفسير ليس أمراً مذموماً، بل هو شرط في حصول الفهم، ولا يمكن اجتنابه.

2 ـ إن الإدراك العيني للمتن لا يعني إمكان الحصول على الفهم المطابق للواقع؛ وذلك لأن عنصر الذاتية (أي ذهنية المفسّر وأفكاره المسبقة) هو شرط في حصول الفهم، ولا يمكن الاستغناء عنه في كل فهم.

3 ـ إن فهم النص هو عمل لا نهاية له، ولذلك، فإن هناك قراءات متعددة للنص؛ لأنّ فهم النص هو امتزاج أُفق المعنى للمفسّر مع النص ـ كما قلنا ـ وعن طريق تغيير أُفق المعنى للمفسّر، يمكن الحصول على تراكيب غير محدودة، وبالتالي تتعدد القراءات للنص.

4 ـ لا يوجد فهم ثابت ونهائي وغير قابل للتغيير للنص.

5 ـ إن الهدف من تفسير النص ليس فهم وإدراك «مُراد المؤلف»،

(1) ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: 44، 45].

فنحن نواجه النص، وليس المؤلف، والكاتب هو أحد قرّاء النص، ولا مرجّح له على غيره؛ فالنص موجود مستقل، والمفسّر يحاول أن يحصل على فهم النص من خلال الحوار والجدل بينه وبين النص، فليس مهماً عندنا ماذا يقصد المؤلف، وأيّ معنى يحاول إلقاءه[1].

6 ـ القرآن نص لغوي ومحصول ثقافي، ولسانه مختص بالمخاطبين، ولا يمكن فصله عن بيئته وثقافته الّتي نزل فيها[2]. وإن نصّ القرآن تكوّن عن طريق الواقع التاريخي، وثقافة عصره[3].

ملاحظة: لقد طُرحت بعض المطالب تحت عنوان: «القرآن وثقافة العصر»، وقد نسب البعض إلى القرآن اقتباس عناصر الثقافة الجاهلية، وهذهِ المسائل هي من نتائج هذا الموضوع.

7 ـ إن بعض نصوص القرآن يعتبر شواهد تاريخية صدرت تحت شرائط خاصة، أمثال: الجن، الشيطان[4]، الحسد، الربا،

(1) أنظر: أحمد الواعظي، **در آمدي برهرمنوتيك**، ص59 (فقد ذكر هذه النقاط الخمسة بعنوان النقاط الرئيسة لاختلاف الهرمنيوطيقا الفلسفية عن طرق التفسير الرائجة عند المفسّرين).

(2) أنظر: الدكتور نصر حامد أبو زيد، **مفهوم النص**، دراسة في علوم القرآن، ص24، طبعة بيروت، 1990م.

(3) المصدر نفسه، ص201.

(4) يعتقد أبو زيد أن ذكر القرآن لبعض الموجودات كالجن والشيطان، ليس بسبب الاعتقاد بوجودها الخارجي، بل إن القرآن استعار هذه التعابير من البيئة الجاهلية مجاراةً لهم، وأن الإيمان بالوحي مديون لهذا الاعتقاد الخرافي عند العرب، انظر: نقد الخطاب الديني، ص144، وقد أجاب الشيخ محمد هادي معرفة على هذه الشبهة في كتاب: **شبهات وردود**، ص187 [المترجم].

الدعاء، التعويذ والأحكام المتعلقة بالرّق، ولا يمكن سرايتها إلى أزمنة أُخرى[1].

ملاحظة: يرتبط هذا البحث (الهرمنيوطيقا)، ببعض الموضوعات الأُخرى مثل: التأويل، التعددية الدينية، وأمثال ذلك، وسوف نغض النظر عن التطرق إلى مثل هذه الأبحاث.

مناقشة نتائج بحث الهرمنيوطيقا في تفسير القرآن

إن دراسة هذا الموضوع، وذكر آثاره الإيجابية والسلبية في التفسير، يحتاجان إلى تأليف مستقل، ولا يمكن التطرق إلى جميع جوانب هذا الموضوع في هذا المختصر؛ ولذلك نكتفي بذكر عدة نقاط، ونترك تفصيل هذا البحث إلى فرصة أُخرى:

1 ـ أحد المسائل الّتي غفل عنها أصحاب هذه الرؤية، ولها دور مهم في تعيين الموضوع هو اختلاف القرآن الكريم عن النصوص التاريخية، وحتى عن النصوص المقدسة الأُخرى (التوراة والإنجيل وملحقاتهما).

فالقرآن نص مقدس من عند الله سبحانه في جميع كلماته وحروفه، ومؤلفه ليس إنساناً عادياً، أي ليس هو كلاماً بشرياً؛ فالنبي (ص) يعتبر ناقلاً للقرآن فقط، وليس له الحق في تغيير الوحي، بالزيادة أو النقصان، وهذا ما أشار إليه الكثير من الآيات القرآنية[2]. وقد كان النبي (ص) أميناً في نقل كلام الله سبحانه وتعالى، إلى حد نقله كلمة «قل» الّتي وردت في بعض السور. فإذا ما قيل لأحد الأشخاص «قل لأبيك أن يقوم بالعمل الفلاني»، فإنَّه

---

(1) نصر حامد أبو زيد، **مفهوم النص**، ص215 ـ 220.

(2) سورة الحاقة: الآية 46.

لا يكرر هذه الجملة حرفياً عندما ينقلها إلى الآخرين، بل يقول: «إن فلان يقول لك أن تقوم بالعمل الفلاني»، أما النبي (ص)فقد كان حريصاً ودقيقاً في نقل الكلام كما هو، في حين نجد أن المسيحيّين لا يدّعون هذا الادّعاء في نصوص التوراة والإنجيل، فإن الذين قاموا بتدوين الأناجيل (لوقا ـ متَّى ـ يوحنَّا ـ مرقس) جاؤوا بعد زمان عيسى (ع)، وعاشوا في أزمنة مختلفة تقريباً؛ ولهذا فقد دُوّنت الأناجيل بأربع صور، وعلى هذا الأساس، فإنّ هُناك من اعتبر هذه الأناجيل انعكاساً وصدى لثقافة ذلك الزمان. وكذلك التوراة التي دُوّنت بعد وفاة موسى (ع)[1]؛ ولهذا يمكن أن نجد فيها أثر البيئة الثقافية، وحتى بعض المسائل الخرافية. أما القرآن فهو يختلف تماماً عن الكتب الأُخرى، فهو ليس كتاباً بشرياً، ولم يتعرض للتحريف، ولا يمكن أن يكون انعكاساً لثقافة عصره.

2 ـ توجد في بعض المتون التأريخية، ومن جملتها التوراة المحرّفة بعض المسائل الخرافية وغير الأخلاقية كادعاء (زنا لوط مع ابنتيه)، ومسائل ضد العلم (منع آدم من الاقتراب من شجرة العلم) و. . .في حين نجد أن القرآن خالف الخرافات والانحرافات في المجتمع الجاهلي (الشرك، شرب الخمر، الزنا، بعض أقسام الطلاق، وأد البنات، و. . .). وإذا ما أيّدَ بعض المطالب (الحج و. . .) التي كانت موجودة في ذلك الزمان ـ وقام بتصحيحها أيضاً ـ فلأن جذور وأصل هذه المسائل كانت إلٰهية؛ أي إن تأييد الحج الإبراهيمي الذي يذكِّر بالنبي إبراهيم (ع). ولذلك فإنّ القرآن لا يمكن أنْ يقوم بتأييد وذكر هذه المواضيع (الجن، الشيطان)، دون أن تكون

(1) إيان باربور، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص130.

لها واقعية وموضوعية؛ فالقرآن مثلاً لم يذكر مسألة «الغول» الموجود في الثقافة الجاهلية، ولم يشر إليها، ولهذا يمكن القول بأن القرآن قام بتصحيح وتأييد العناصر الإيجابية في المجتمع الجاهلي، ورفض العناصر والعادات السلبية[1].

3 ـ ذكرنا سابقاً أنّه لا يمكن التغاضي عن تأثير القبْليّات والأفكار المسبقة للمفسّر، (وكل محقّق في العلوم التجريبية والإنسانية)، وهو من الأُمور المسلّمة بالمقدار الطبيعي؛ أما إذا ازداد هذا التأثير، فسوف ينتهي بالمفسّر إلى التفسير بالرأي الممنوع[2].

ومن هنا، فإنّه من اللازم على المفسّر أن يقلل من تأثير هذا العامل قدر الإمكان، وهذا القدر من التأثير لا يقلل من قيمة التحقيق والتفسير، كما هو الحال في العلوم الطبيعيَّة، فإنّ لشخص المحقّق والمحيط، والأجهزة المُستخدمة، تأثير على حركة الالكترون في المختبر، ولكن هذا الأمر لا يؤثر على قيمة النتائج والأرقام الّتي

---

(1) راجع ما كتبناه في هذا المجال في مجلة «معرفة»، العدد 26، تحت عنوان «رابطه ى قرآن وفرهنگ زمانه».

(2) هناك من قام بتقسيم قبْليات المفسّر إلى ثلاثة أقسام:
أ ـ قبليات استنطاقية (استخراجية).
ب ـ قبليات استفهامية.
وهذان النوعان من القبْليات ليسا غير ممنوعين فقط، بل لا بد من وجودهما في المفسّر للانطلاق منهما للحصول على المعنى من النص، عن طريق كشف مراد المؤلف بواسطة استنطاق النص وطرح الأسئلة عليه.
جـ ـ قبْليات تطبيقية: وهنا يحاول المفسّر تحميل آرائه وأفكاره على النص، وليس استكشاف المراد من النص، وهذا ما يطلق عليه في اصطلاح المفسّرين «التفسير بالرأي»، كلام جديد، عبد الحسين خسروپناه: ١٥٣ [المترجم].

توصل إليها هذا المحقّق، إضافة إلى ذلك، فإن الأفكار المسبقة للمحقّق تقوم بتوجيه ذهن المحقّق إلى حدّ ما. ونفس هذا الحكم يجري في البحوث الإنسانية، وتفسير الكتب المقدّسة، أي أنَّ هُناك درجة من الخطإ في جميع العلوم، وهذا لا يوجب أن يكون فهمنا غير مُعتبر وغير مطابق للواقع، وإلا فسوف تكون جميع العلوم باطلة، وغير معتبرة. وقد تناولنا تأثير العقائد والأفكار المسبقة للمفسرين مفصلاً في بحث الاتجاهات (المدارس والمذاهب التفسيرية)، والطرق الّتي تحول دون تأثيرها، أي يجب على المفسِّر أنْ لا ينظر إلى النص بمنظار خاص، ولا ولا يحمل آراءه عليه، وإلا لا يكون عمله تفسيراً، أو هو تفسير بالرأي وهو ما يُعتبر من الذنوب الكبيرة، كما ورد في الروايات[1].

4 ـ أمّا بالنسبة إلى القراءات المتعددة، وغير المحدودة للنص، فتوجد هنا عدة مُلاحظات:

أوّلاً: إنّ القرآن يشتمل على بطون ومستويات مختلفة للفهم، (كما أشارت إلى ذلك الأحاديث المتعددة)[2].

فإن كان المقصود من تعدد القراءات هذا المعنىٰ، فهو يتفق مع طبيعة القرآن، ولا يوجد مانع من تعدد القراءات بهذا المعنى.

---

(1) عن رسول الله (ص) قال: «ما آمن بي من فسَّر برأيه كلامي» أمالي الصدوق، ص6، طبعة النجف؛ محمد هادي معرفة، **التفسير والمفسرون**، ج1، ص60. عن رسول الله (ص) قال: «من قال في القرآن برأيه، فليتبوّأ مقعده من النار» (الطبري، ج1، ص27).

(2) عن الصادق (ص) قال: «إن للقرآن ظاهراً وباطناً» وعن الباقر (ع) قال: «إن للقرآن بطناً وللبطن بطن» انظر: **الكافي**، ج1، ص374؛ بحار الأنوار، ج89، 90 ـ 91؛ **تفسير الصافي**، ج1، ص28، 29 وما يشابه هذا المعنى عند أهل السُنة في: **الإتقان**، ج4، ص225، 226.

ثانياً: إن وجود التفاسير المتنوعة للقرآن، يعتبر أمراً جيداً ومباركاً؛ لأنّه يؤدي إلى نضج فهمنا للقرآن؛ أي أنه في كل يوم يزداد فهمنا عمقاً، ودقة، وتتضح بطون جديدة.

ثالثاً: إن تعدد الفهم والمعاني في التفاسير ليس بمعنى عدم وجود معيار نقيس به هذه المعاني، بل هناك قواعد وملاكات لتشخيص التفاسير الصحيحة من الباطلة، (كما مرّ بيان ذلك سابقاً)؛ وبالتالي يمكن تشخيص الصحيح من غير الصحيح بواسطة الأُصول العقلائية للمحاورة (أُصول الفقه)، والقواعد التفسيرية، خصوصاً قاعدة حرمة التفسير بالرأي، ولهذا فلا تكون هناك تفاسير وقراءات لا نهائية للمتن حسب الأهواء والرغبات؛ بل لا بدّ أنْ تكون التفاسير المُعتبرة في ضوء القواعد والضوابط.

ولا يحق لأي شخص أن يفسّر القرآن على أساس الميول والرغبات الشخصية.

5 ـ أما بالنسبة إلى الفهم المتغيّر، فهنا عدة ملاحظات:

أوّلاً: إن نضج وتطور الفهم البشري نتيجة لتطور العلوم البشرية صحيح، بصورة الموجبة الجزئية، وهو أمر مستحسن ومبارك؛ لأنّه يعني نضج وتطور العلم والفهم البشري.

ثانياً: ذكرنا سابقاً أنّ هناك ثلاثة أنواع من الفهم والتفسير، التفاسير القطعية (النصوص)، التفاسير الظنية (الظواهر)، والتفاسير الخاطئة لأسباب متعددة. فمثلاً: هناك بعض القضايا التي تعتبر من الأُصول الثابتة للفكر البشري، مثل: «الكل أكبر من الجزء» أو «الجمع بين المتناقضين محال»، وأيضاً النصوص القرآنية، مثل: «وحدانية الله»؛ فإنّه لا يوجد اختلاف في تفسير هذه المسألة بين

جميع المدارس والمذاهب. فإذن، هناك فهم متحوّل ومتغيّر للنصوص، ووجود أحد التفاسير لا ينفي الآخر، ولكن هذا لا يعني أن فهمنا للنصوص نهائي، ولا يقبل الخطأ، لأنّ العلوم البشرية وفهمنا للقرآن في حالة تطور وتكامل، ولكنه يكون معتبراً وحجة ما دام قائماً على أساس المعايير الصحيحة.

ثالثاً: إذا بنينا على أنّ جميع التفاسير، وتعدد الفهم البشري في حال تغيّر، وتحول، فإن نفس هذه القضية الهرمنيوطيقية (لا يوجد لدينا فهم ثابت، وغير متغير قط)، سوف تكون متغيرة أيضاً، وحينئذٍ تكون الجملة متناقضة، ولذلك، فإذا ما قبلنا النسبية في الفهم البشري بصورة كلية، فلا يكون عندنا حنيئذٍ فهم ثابت، وسوف تتعرض جميع العلوم البشرية إلى التشكيك، ومن جملتها هذا الادّعاء.

6 ـ ذكرنا أن هناك رأيين متضادين حول مراد المؤلف في فهم النص:

أ ـ فقد أكّد بعض العلماء على مراد المؤلف في فهم النص، واعتبروا أن هدف التفسير، هو فهم مراد ومقصود المؤلف ومراده، أمثال: «مارتين غلادينوس»، «فردريك اغوستولف»، و«شلاير ماخر»، وهذا الرأي يقترب مع وجهة نظر المفسّرين المسلمين، كما ذكرنا سابقاً، وذلك لأن هدف التفسير، هو فهم معنى النص، ومعرفة المراد الجدّي من كلام الله سبحانه وتعالى، ومن المؤكد أن القرآن ليس له مؤلف (بالمعنى البشري المتعارف)، وإن النبي (ص) ليس إلا واسطة في وصول البيان الإلهي؛ فالمقصود من نيّة المؤلِّف، هو الكشف عن المراد الإلهي من آيات القرآن.

ب ـ رفض علماء الهرمنيوطيقا الفلسفية أمثال «هايدجر»، و«غادامر» دور نيّة المؤلِّف في فهم النص، وقالوا بأنّه ليس هناك

أهمية بالنسبة للمفسّر في التعرف على نيّة المؤلف وقصده، وأي المعاني يريد إلقاءَها، وهذا الرأي قد يكون مفيداً في فهم بعض الموارد في المتون التاريخية والأدبية، ولكن لا يمكن قبول ذلك في فهم الكلام الإلهي؛ لأنّ هدف القرآن، هو هداية البشر عن طريق الكلام الإلٰهي، فعلى المفسّر أن يحاول إدراك الهدف الإلٰهي بصورة صحيحة، ونقله إلى الآخرين، فإذا فرضنا أن الله سبحانه وتعالى، يقصد إلقاء المطلب «أ»، وأن المفسّر فهم المطلب «ب»، فإنّه لا يعتبر موفقاً حينئذٍ في التفسير، وفي فهم البيان الإلٰهي.

النتيجة والخلاصة

تبيّن ممّا تقدم أن بعض الآراء في الهرمنيوطيقا تتفق مع المباني المشهورة في تفسير القرآن، كالتأكيد على فهم نيّة ومقصود المتكلِّم والمؤلف (وقد أُكِّد على هذا المعنى في تفسير القرآن)، في حين أنّ بعض الآراء لا تتفق مع المباني المشهورة عند المسلمين في فهم وتفسير القرآن؛ لأنّها تؤدي إلى النسبية في الفهم، وعدم الوصول إلى الواقع، وعدم الاعتناء بنيّة المؤلف. واتضح أيضاً أن نتائج الهرمنيوطيقا في تفسير النصوص الأدبية، باعتبار النصوص انعكاساً لثقافة العصر بصورة مطلقة، لا يصدق على القرآن، ومن الطبيعي، فإن بحث (الهرمنيوطيقا) وارتباطه مع القرآن يحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق.

مصادر إضافية للمطالعة

1 ـ إشكاليات التأويل وآليات القراءة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.

2 ـ نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد.

3 ـ مجلة الحياة الطيبة، العدد الثامن، السنة الثالثة، شتاء 1422هـ ـ 2002م.

4 ـ مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد السادس (منهج التعامل مع القرآن)، 1420هـ ـ 1999م.

2

طريقة التفسير الموضوعي وخصائصها

المدخل

ذكرنا في الفصل الأوّل (التمهيدي)، أن التفسير دُوِّن بأساليب وطرق مختلفة، ومن جملتها التفسير الموضوعي والترتيبي، وقلنا كذلك، إن التفسير الموضوعي هو أحد الأنواع الفرعية لتفسير القرآن بالقرآن، وسوف نتناول، هنا، تعريف وخصائص هذه الطريقة في التفسير.

أ - تعريف التفسير الموضوعي والترتيبي

يعمد المفسّر في طريقة التفسير الترتيبي إلى تفسير آيات القرآن بطريقة ترتيبية، حسب وجودها في المحصف، أو حسب نزولها، أمّا التفسير الموضوعي، فيقوم المفسّر، بجمع كل ما يتعلق بالموضوع من آيات، ثم يستفيد من طريقة تفسير القرآن بالقرآن، بأن يجعل كل آية قرينة على فهم الآيات الأُخرى، ثم الخروج برأي نهائي حول هذا الموضوع القرآني. وهناك تعاريف متعددة أُخرى لهذه الطريقة

تقترب من هذا التعريف[1]. وتسمىٰ هذه الطريقة «بالتفسير الموضوعي»؛ لأن المفسّر يبتدىء بموضوع معيّن في القرآن ثم يبحث عن رأي القرآن في هذا الموضوع، ويسمّى «التفسير التوحيدي» أيضاً؛ لأن المفسّر يحاول الجمع بين التجربة البشرية والقرآن، وعرض نظرية واحدة في هذا الموضوع، وكذلك يسمّى «التفسير التقطيعي» أيضاً؛ لأنّ المفسّر يقتطع مجموعة من آيات القرآن، ويفصلها عن الآيات الأُخرى في السورة، ويبحثها بصورة مستقلة.

ب ـ السابقة التاريخية

يعتبر التفسير الموضوعي ظاهرة جديدة في عالم التفسير، فقد نضج وتطور في العقود الأخيرة، ولكن عند مراجعة كتب المفسّرين والمحدثين، نلاحظ أن الرسول (ص) والأئمة (ع) قد استفادوا من هذه الطريقة في أحاديثهم (والّتي هي نوع من أنواع تفسير القرآن بالقرآن)[2].

ولم يلتفت السابقون إلى هذه الطريقة في التفسير بصورة كاملة. وتعتبر بعض الكتب أمثال: ***أحكام القرآن*** (محمد بن السائب الكلبي، 646هـ)، ***زبدة البيان*** (المحقّق الأردبيلي)، ***كنز العرفان*** (الفاضل المقداد)، فقه القرآن (الراوندي) و . . .، من النماذج الرائدة في كتابة التفسير الموضوعي، وقد تطورت هذه الطريقة في التفسير في العقدين الأخيرين، ودوّنت كتب متعددة في مواضع مختلفة، ويعتبر **منشور**

---

(1) عرّف الشيخ مكارم الشيرازي التفسير الموضوعي بأنّه جمع الآيات المختلفة، حول موضوع معين، من جميع القرآن، والّتي ورد ذكرها في حوادث مختلفة، والخروج برأي القرآن، حول هذا الموضوع من مجموع هذه الآيات (**پيام قرآن**، ج1، ص21).

(2) أنظر: **بحار الأنوار**، ج74، ص94 ـ 110؛ **پيام قرآن**، ج1، ص23 ـ 27.

جاويد لآية الله السبحاني، ***پيام قرآن*** لمكارم الشيرازي، وكذلك آية الله اليزدي و. . . من النماذج الجديدة لهذه الطريقة في التفسير.

ج ـ أقسام التفسير الموضوعي

قسّم بعض المفكرين والعلماء التفسير الموضوعي إلى قسمين[1]:

1 ـ التفسير الموضوعي الاتحادي: ويهتم ببحث ودراسة أحد المواضيع القرآنية، مثل: (المعاد، الإمامة، و. . .).

2 ـ التفسير الموضوعي الارتباطي: وهو الذي يهتم ببحث ودراسة الارتباط بين المواضيع القرآنية، (مثل: علاقة الإيمان والعمل)، كما هو الحال في كتاب ***جامعة وتاريخ*** لآية الله مصباح اليزدي.

د ـ خصائص التفسير الموضوعي

1 ـ جمع ودراسة الآيات المتعلقة بموضوع واحد؛ فمثلاً نقوم باستخراج جميع الآيات المتعلقة بالتوحيد أو المعاد و. . . بالاستفادة من الفهارس الموضوعية، أو المعاجم المفهرسة، وتفسير بعضها بالبعض الآخر.

2 ـ إن الهدف النهائي لهذا التفسير، هو الخروج برأي نهائي للقرآن، حول موضوع معين.

3 ـ جعل الآيات المحكمة في القرآن، هي المحور، وإرجاع الآيات المتشابهة إليها.

---

(1) أنظر: الشيخ مكارم الشيرازي، **پيام قرآن**، ص18؛ حسين علوي مهر: **روشهاي تفسيري**، ص365.

4 ـ عادة ما يكون التفسير الموضوعي تفسيراً عملياً يرتبط بالتجربة الحياتية للبشر؛ حيث يسعى إلى حلّ المشكلات والأسئلة المطروحة.

5 ـ من خصائص التفسير الموضوعي، الانسلاخ من قيود الزمان والمكان؛ حيث يلغي الخصوصيات الزمانية والمكانية للآيات (كما هو الحال في قصص القرآن)، ويستخرج لبّ المعنى من الآية، ويستخدمها كقاعدة وقانون كلي للإجابة على الأسئلة، والمشاكل الّتي تواجه الفرد والمجتمع.

هـ ـ فوائد التفسير الموضوعي

1 ـ الحصول على الرأي النهائي للقرآن حول موضوع معيّن.

2 ـ الإجابة عن الأسئلة الجديدة للبشر، بالاستفادة من آيات القرآن.

3 ـ رفع الإبهام الابتدائي في آيات القرآن، وتوضيح الآيات المتشابهة.

4 ـ الاطلاع على شرائط وأسباب ونتائج الموضوعات، والمسائل المختلفة المطروحة في القرآن.

5 ـ الحصول على الأسرار والمعاني الجديدة للقرآن، عن طريق ضم الآيات بعضها إلى البعض الآخر.

6 ـ الحصول على تفسير جامع حول الموضوعات المختلفة مثل: التوحيد، وجود الله، المعاد و. . .[1].

---

(1) من النقطة (3 ـ 6) نقلاً عن: مكارم الشيرازي، **پيام قرآن**، ج1، ص22، 23.

و ـ الاختلاف بين التفسير الترتيبي والموضوعي

1 ـ التفسير الترتيبي يبيّن مدلول الآية بصورة مستقلة عن الآيات الأُخرى، في حين أن التفسير الموضوعي ينظر إلى المدلول المركب، وبالتالي الحصول على الرؤية القرآنية الكاملة[1].

3 ـ التفسير الترتيبي البحت ينظر إلى زاوية من زوايا الموضوع، ويعطي رؤية ناقصة حول المواضيع القرآنية، في حين أن التفسير الموضوعي يعطي رؤية كاملة وجامعة حول الموضوع القرآني.

ملاحظة: قد تؤدي هذه الطريقة إلى الخطإ في فهم آيات القرآن ـ النظر إلى القرآن بصورة جزئية ـ وبالتالي بروز الاختلافات المذهبية؛ فمثلاً يستند المجبّرة إلى الآيات الّتي يدل ظاهرها على الجبر ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[2]، ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ...﴾[3]، أمّا المفوّضة، والذين يعتقدون بحريّة الإنسان، فيستندون إلى آيات أُخرى توافق مذهبهم، كالآية ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[4]، في حين يمكن الحصول على رأي معتدل (الأمر بين الأمرين) إذا أخذنا بجميع هذه الآيات؛ وهكذا في كثير من المسائل القرآنية، كمسألة الشفاعة، الشرك، التوسل، وأمثالها.

3 ـ يعتبر التفسير الترتيبي مقدمة للتفسير الموضوعي، والقيام

---

(1) لقد دشّن الشهيد الصدر الأسس النظرية لضوابط التفسير الموضوعي، وذكر خصائصه وصلته بالواقع، ودوره في اكتشاف النظريات الإسلامية في مختلف الحقول المعرفية، انظر: **المدرسة القرآنيّة**، الدرس الأوّل والثاني، [المترجم].

(2) سورة الأنفال: الآية 17.

(3) سورة إبراهيم: الآية 4.

(4) سورة الإنسان: الآية 3.

بالتفسير الموضوعي دون الإحاطة والاطلاع على التفسير الترتيبي غير صحيح؛ لأنّه بذلك يمكن الحصول على كثير من القرائن الموجودة في الآيات السابقة واللاحقة للآية (السياق)، ولا يحصل هذا الأمر إذا ما أخذنا التفسير الموضوعي لوحده.

4 ـ التفسير الترتيبي سلبي، وعادة ما يكون من دون الالتفات إلى الآيات الأُخرى للقرآن، ودون طرح نظرية، أو تناول موضوع سابق، أمّا التفسير الموضوعي فهو إيجابي، أي يقوم المفسّر بتفسير الآيات مع الالتفات إلى الآيات الأُخرى، وإعطاء الرأي النهائي للقرآن، وبعبارة أُخرى: التفسير الترتيبي لا يكشف عن الارتباط بين الآيات والمطالب والمفاهيم الموجودة في القرآن، بخلاف التفسير الموضوعي[1].

5 ـ يبدأ التفسير الترتيبي من النص، أمّا الموضوعي فيبدأ من واقع الحياة البشرية؛ أي إن التفسير الموضوعي يعالج الموضوعات الّتي تقع في الخارج والمشاكل والأسئلة الّتي تواجه الإنسان، وبعبارة أُخرى: التفسير الترتيبي، هو توضيح لآيات القرآن، دون الالتفات إلى الحاجات الفعلية للمجتمع، أما التفسير الموضوعي فهو جواب للحاجات البشرية الفعلية للمجتمع الإنساني، ولهذا اعتبر من التفسير العملي التطبيقي.

6 ـ التفسير الترتيبي يكون من طرف واحد، والمفسّر يأخذ دور المنفعل دائماً على عكس التفسير الموضوعي، حيث يقوم المفسِّر بدور إيجابي وفعّال، وذلك لأنَّهُ يطرح الأسئلة على

---

(1) أنظر: الشهيد الصدر، مقالة «التفسير القرآني بين التجزيئي والموضوعي»، مجموعة مؤلفاته، ج13، ص27 وما بعدها.

القرآن، ويسعى للحصول على الإجابات منه.

7 - التفسير الموضوعي يؤدّي إلى النمو والنضج العلمي أكثر من التفسير الترتيبي، كما حصل ذلك في مجال الحديث، حيث إن علماء الحديث على قسمين: محدّثون وفقهاء؛ فالمحدثون يقومون بنقل الحديث وشرحه بطريقة ترتيبية (مثل مرآة العقول للمجلسي و...)، في حين يقوم الفقهاء بشرح الأحاديث بصورة موضوعية، كما هو الحال في علم الفقه؛ مما أدّىٰ إلى نمو واتّساع الحركة العلمية في الفقه، على عكس الحالة الموجودة في مجال التفسير؛ حيث سيطر الاتجاه التجزيئي لمئات السنين، ولهذا لم يحدث نمو وتطور في مجال التفسير إلا قليلاً.

ز - هل يقدّمْ التفسير الموضوعي أو الترتيبي؟

عادة ما يقدم التفسير الترتيبي على الموضوعي؛ لأنّه لا بد للمفسّر من التعرف على مفاهيم الآيات أوّلاً، والاطلاع على دورها في التفسير الترتيبي حتى تكون عنده هيمّنةً نسبية على التفسير، ثم يقوم بالخطوة الثانية، وهي التفسير الموضوعي.

وهناك من ذهب إلى أن التفسير الموضوعي مقدم على الترتيبي؛ إذ لا يمكن الحصول على الرأي النهائي للقرآن من خلال التفسير الترتيبي؛ وذلك لأنّه لا يعطي إلا صورة ناقصة ومبتورة عن المواضيع القرآنية؛ فلا بدّ إذن، من الانطلاق من التفسير الموضوعي لفهم آيات القرآن[1].

والذي نذهب إليه أن هناك طريقاً وسطاً ومعتدلاً أقرب إلى

---

(1) أنظر: أمين الخولي **دائرة المعارف الإسلامية**، مقالة التفسير.

الصواب من هذين الرأيين، وهو الجمع بين التفسيرين الترتيبي والموضوعي في آن واحد، كما فعل ذلك العلاّمة الطباطبائي في تفسير الميزان، أي تفسير آيات القرآن حسب ترتيبها في المصحف، وفي بعض الأحيان يتناول بعض الموضوعات القرآنية (المعجزة، الرؤيا و. . .) من جميع الجهات.

ح - سلبيات التفسير الموضوعي

يُعتبر التقطيع من سلبيات التفسير الموضوعي، والتقطيع، هو فصل الآيات عن القرائن الموجودة ضمن السياق وإغفالها، وبعبارة أُخرى لا بد أن يتقارن التفسير الموضوعي مع الترتيبي حتى يمكن تجاوز هذا الخلل في التفسير. فعندما نقوم بدراسة الآيات المتعلقة بالنبوة مثلاً، فلا بُدّ من مراجعة التفسير الترتيبي أوّلاً، وملاحظة القرائن العقلية والنقلية والسياق، ثم نقوم بالتفسير الموضوعي في الخطوة الثانية.

ومن السلبيات الأُخرى في هذه الطريقة، اعتقاد المفسّر بأنّه يمكن القيام بعملية التفسير الموضوعي بمجرد ضم الآيات المتشابهة، ثم الخروج بنتيجة نهائية دون وجود أيّ سابقة تفسيرية، في حين أنّه لا بد للمفسّر من أن تتوفر فيه جملة من الضوابط منها الممارسة في التفسير؛ أي يجب عليه أن يكون مطّلعاً على التفسير الترتيبي في الخطوة الأُولى، وفي غير هذه الصورة، فإنّه قد ينتهي به الحال إلى التفسير بالرأي الممنوع.

ومن السلبيات الأُخرى في هذه الطريقة، انتخاب المفسّر نظره ورأيه من خارج القرآن (قبل الورود في مجال التفسير)، ويحمله على القرآن؛ وهو ما يؤدّي به إلى التفسير بالرأي، في حين أنّ الطريقة الصحيحة، هي أن يقوم المفسّر بجمع الآيات المتعلقة بالموضوع

الواحد، ومناقشتها ودراستها، ثم إعلان الرأي النهائي الذي يرتضيه.

وهناك سلبيات أُخرى ذكرها بعض العلماء وهي:

1 ـ الاعتماد على الألفاظ الموجودة في المعجم المفهرس للقرآن، والغفلة عن المفاهيم القرآنية الّتي وردت بألفاظ أُخرى في القرآن.

2 ـ عدم الدقة في جمع الآيات.

3 ـ اتساع الموضوعات، والاحتياج إلى صبر وتحمّل في معالجتها ودراستها[1].

ط ـ التفاسير الموضوعية المشهورة

1 ـ ***منشور جاويد***، آية الله سبحاني، اثنا عشر مجلداً، وقد تُرجم إلى اللغة العربية، تحت عنوان مفاهيم القرآن.

2 ـ ***پيام قرآن***، آية الله مكارم الشيرازي، طبع منه أكثر من عشرة مجلدات.

3 ـ ***تفسير موضوعي قرآن مجيد***، آية الله جوادي آملي، نشر منه لحد الآن أربعة عشر مجلداً.

4 ـ ***معارف القرآن***، آية الله مصباح اليزدي.

5 ـ ***گامي به سوى تفسير موضوعي سوره هاي قرآن كريم***، محمد الغزالي، ترجمة علي أصغر محمدي، نشر فرهنك إسلامي منشورات (الثقافة الإسلامية).

6 ـ ***فرهنگ قرآن***، علي أكبر هاشمي الرفسنجاني، مركز فرهنك قرآن، قم.

---

(1) **پيام قرآن**، ج1، ص30، 31.

7 ـ ***التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، اثنا عشر مجلداً، سميح عاطف الزين.***

ي ـ مصادر للمطالعة

1 ـ **مباحث في التفسير الموضوعي**، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، 1410هـ.

2 ـ مقالة «التفسير القرآني بين التجزيئي والتوحيدي» مجموعة آثار الشهيد الصدر، ج13، دار التعارف، بيروت، 1410هـ.

3 ـ **المدرسة القرآنية**، محمد باقر الصدر.

4 ـ ***بحوث وحوارات قرآنية (الاتجاه الموضوعي والتجزيئي في تفسير القرآن)***، السيد محمد باقر الصدر، بيروت، الدار العالمية، 1414هـ.

الكتب المدونة في موضوع المناهج
واتجاهات التفسير

1 - **أبو مسلم الأصفهاني ومنهجه في التفسير**، أبطحي كنيوبي إبراهيم، المدينة المنورة: رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية، 1405هـ - 1985م.

2 - **البغوي والفرّاء وتفسيره للقرآن الكريم**، محمد إبراهيم شريف، القاهرة: مطبعة المدينة ودار الإسلام، ط1، 1406هـ - 1986م، 515ص.

3 - **البغوي ومنهجه في التفسير**، عفاف عبد الغفور حميد، عمان: دار الفرقان، 1402هـ - 1982م، بغداد: مطبعة الإرشاد، 1983م، 224ص.

4 - **إتجاهات التجديد في العصر الحديث**، عبد المجيد عبد السلام المحتسب، بيروت: دار الفكر، ط1، 1393هـ - 1973م، 333ص.

5 - **إتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم**، محمد إبراهيم

شريف القاهرة: دار التراث، ط 1، 1402هـ ـ 1982م، 767ص.

6 ـ **إتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا**، فضل حسن أحمد عباس، جامعة الأزهر، رسالة دكتوراه من كلية أُصول الدين، 1392هـ ـ 1973م.

7 ـ **إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، فهد بن عبد الرحمن ابن سليمان الرومي، المملكة العربية السعودية: من دون تاريخ، 1407هـ ـ 1986م ثلاثة مجلدات، 1238ص.

8 ـ **إتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث**، عفت محمد الشرقاوي، القاهرة: رسالة ماجستير من كلية الآداب بعين شمس، 1383هـ ـ 1963م.

9 ـ **إتجاهات فخر الدين الرازي في تفسير القرآن**، فؤاد محمد فهمي، رسالة دكتوراه من كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، 1384هـ ـ 1964م.

10ـ **التفسير الصوفي للقرآن الكريم عند نجم الدين الداية**، سيد عباس تواب هادي، رسالة دكتوراه من كلية أُصول الدين بجامعة أم القرى 1400هـ ـ 1980م.

11ـ **التفسير العلمي للقرآن في الميزان**، أحمد عمر أبو حجر، بيروت: دار قتيبة، ط1، 1411 هـ ـ 1991م، 563ص.

12ـ **التفسير العلمي للقرآن وتاريخ تطوره**، محمد علي سلامة، القاهرة: مكتبة الأدب، 1991م، مجلد واحد، 170ص.

13ـ **التفسير القرآني**، محمد رجب البيومي، القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، 1988م، مجلد واحد، 207ص.

14ـ **التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا**، حسن عاصي، بيروت: المؤسسة الجامعية، ط1، 1403هـ ـ 1983م، 390ص.

15ـ **التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية**، محمد باقر الصدر، بيروت: الدار العالمية، 1409هـ ـ 1989م، 192ص.

16ـ **التفسير النبوي**، محمد عبد الرحيم محمد، القاهرة: مكتبة الزهراء، ط1، 1413هـ ـ 1992م، 150ص.

17ـ **التفسير بالرأي**، محمد حمد زغلول، دمشق: مكتبة الفارابي ومكتبة الأسد، 1999م، مجلد واحد، 480ص.

18ـ **التفسير عند أهل البيت (ع)**، محمد باقر الحكيم، 58ص.

19ـ **التفسير: نشأتهُ، تدرجه، تطوره**؛ كارّادي قو، مترجم دارة المعارف الإسلامية: (إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان)، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1982م، 106ص.

20ـ **التفسير والتفاسير الحديثة**، بهاء الدين خرمشاهي، المترجم عصام حسن سالم، مجلدان، بيروت: دار قتيبة، 1413هـ ـ 1983م.

21ـ **التفسير والمفسرون**، محمد حسين الذهبي، القاهرة: مكتبة وهبة، 1409هـ، ثلاثة مجلدات.

22ـ **التفسير والمفسرون** في ثوبة القشيب، محمد هادي معرفة، مشهد: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، 1409هـ، مجلدان.

23ـ **الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها**، محمد حسين الذهبي، مصر: مكتبة وهبة، 1406هـ ـ 1986م، دار الاعتصام، 1391هـ، 112ص.

24ـ **أثر القرآن على نهج التفكير النقدي عند ابن تيمية**، محمود سعيد الكردي، ليبيا: الدار الجماهيرية، ط1، 1406هـ ـ 1986م، 230ص.

25ـ **أثر الترجمات في مناهج التفسير القرآني حتى نهاية القرن الخامس الهجري**، شحات السيد زغلول، رسالة دكتوراه من كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، 1388هـ ـ 1968م.

26ـ **أُصول التفسير بين شيخ الإسلام ابن تيمية وبين غيره من المفسرين**، عبد الله ديريَّة، المدينة المنورة: رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية، 1405هـ ـ 1985م.

27ـ **أُصول التفسير لكتاب الله المنير**، خالد عبد الرحمن العك، دمشق: مطبعة الفارابي، 1388هـ ـ 1968م، بيروت؛ دار النفائس، ط2، 1406هـ ـ 1986م، 469ص.

28ـ **أُصول التفسير**، جلال الدين عبد الرحمٰن أبي بكر السيوطي، المحقّق: جلال الدين القاسمي، دمشق: من دون تاريخ، 1331هـ ـ 1911م.

29ـ **أُصول التفسير وقواعده**، خالد عبد الرحمن العك، بيروت: دار النفائس، ط3، 1414هـ ـ 1994م.

30ـ **أضواء على خواطر الشيخ الشعراوي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم**، التنذي، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، من دون تاريخ، 104ص.

31ـ **أعلام الدراسات القرآنية في خمسة عشر قرناً**، مصطفى الصاوي

الجويني، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1982م، 381ص.

32ـ **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، محمد حسين الذهبي، دار القلم، بيروت.

33ـ **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير**، رمزي نعنانة، دمشق: دار القلم، بيروت: دار الصياغة، 1390هـ ـ 1971م، 439ص.

34ـ **الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها**، السيد صالح أبو بكر، من دون تاريخ، مطابع محرم الصناعية، 1334هـ ـ 1974م.

35ـ **الإكسير في علم التفسير**، أبو الطيب محمد صديق خان ابن السيد حسن القنوجي الهندي.

36ـ **الإكسير في علم التفسير**، الطوفي سليمان بن عبد القرى ابن عبد الكريم الصرصري البغدادي، مصر: مكتبة الآداب، من دون تاريخ، 376ص.

37ـ **الواحدي ومنهجه في التفسير**، جودة محمد مهدي، مصر: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، من دون تاريخ: 456ص.

38ـ **الهدى إلى منهج أهل البيت في تفسير القرآن**، المحقّق السيد حسين التقوي الدهاقاني، من دون ذكر مكان وتاريخ النشر، مجلد واحد، 55ص.

39ـ **أهل البيت (ع) وتفسير قرآن**، لجنة التفسير (بنياد فرهنگی باقر العلوم (ع)) من دون تاريخ، 1370ش. (كتاب خانه ى فرهنگ ومعارف قرآن)، قم، مجلد واحد.

40ـ **بحوث في أُصول التفسير ومناهجه**، فهد بن عبد الرحمٰن ابن سليمان الرومي، الرياض: مكتبة التوبة، ط1، 1413هـ، 186ص.

41ـ **بحوث في تفسير القرآن الكريم (تاريخه، اتجاهاته، مناهجه)**، محمد إبراهيم شريف، القاهرة: مطبعة المدينة ودار السلام، 1406هـ ـ 1986م.

42ـ **بحوث في تفسير القرآن**، جمال الدين عياد، القاهرة: دار الجمالي، 1387هـ ـ 1967م، بيروت: دار الفكر، 1398هـ ـ 1978م.

43ـ **بحوث وحوارات قرآنية الاتجاه الموضوعي والتجزيئي في تفسير القرآن**، محمد باقر الصدر، بيروت: الدار العالمية، 1414هـ ـ 1993م، 224 ص، من ص43 إلى 661.

44ـ **بين أبي حيان والزمخشري**، يحيى الشاوي المغربي، مخطوط بالأزهر، رقم 1254، رافعي 26641.

45ـ **بين الشيعة والسُنّة، دراسة مقارنة في التفسير وأُصوله**، علي السالوس، القاهرة: مكتبة ابن تيمية ودار الاعتصام، من دون تاريخ، 316ص.

46ـ **پيام قرآن**، ناصر مكارم الشيرازي، قم: منشورات «نسل جوان»، 1379ش، المجلد الأوّل (مقدمه اي در روش تفسير موضوعي وروشهاي تفسير قرآن).

47ـ **تاريخ التفسير**، قاسم القيسي، بغداد: مكتبة المجمع العراقي، 1416هـ ـ 1996م، 179ص.

48ـ **تاريخ القرآن والتفسير**، عبد الله محمود شحاته، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1392هـ ـ 1972م، 198ص.

49ـ **تاريخ تفسير القرآن الكريم**، حبيب الله جلاليان، المصحِّح محمد رضا الأشتياني، طهران: منشورات أُسوة، 1372ش، مجلد واحد، 236ص.

50ـ **تاريخ تفسير ومفسّرين** (باللغة الأورديّة)، غلام أحمد يري (باكستاني) لاهور: ملك سنز، 1984م، 732ص.

51ـ **تاريخ وروش تفسير در قرآن**، محمد حسين الطباطبائي، طهران: بنياد فرهنگي إمام رضا (ع)، 1361ش، 22.

52ـ **تأملات قرآنية (بحث منهجي في علوم القرآن الكريم)**، موسى إبراهيم الإبراهيم، عمان (الأردن): دار عمار، ط1، 1409هـ ـ 1989م، 226ص، من ص72 ـ 100.

53ـ **تحقيق حول ابن عباس ومكانته في التفسير والمعارف الأُخرى**، محمد باقر حجتي، بيروت: دار الروضة، ط1، 1410هـ ـ 1990م، 222ص.

54ـ **تطور تفسير القرآن**، محسن عبد الحميد، بغداد: جامعة بغداد؛ بيت الحكمة، من دون تاريخ، 248ص.

55ـ **تفسيرات ابن عباس الصحيحة في الثلثين الأخيرين من القرآن الكريم**، آدم محمد علي، رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية في المدينة.

56ـ **تفسيرات حديثة لقرآن المسلمين**، بيلجون ـ ج.م.س، ليدن بريل: 1381هـ ـ 1961م.

57ـ **تفسير الصحابة: مميزاته، خصائصه، مصادره، قيمته العملية**؛ محمد عبد الرحيم، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، من دون تاريخ، 118ص.

58ـ **تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه**، علي بن سلمان العبيد، الرياض: مكتبة التوبة، 1418هـ.

59ـ **تفسير القرآن بالقرآن عند أهل البيت (ع)**، خضير جعفر، قم: دار القرآن الكريم، 1370ش، 30ص.

60ـ **تفسير القرآن بالقرآن عند العلاّمة الطباطبائي**، خضير جعفر، قم: دار القرآن الكريم، 1411هـ، 400ص.

61ـ **تفسير المعتزلة للقرآن الكريم**، تاريخه ومنهجه؛ محمود كامل أحمد عبد المنعم، المدينة المنورة: رسالة ماجستير من كلية الآداب من جامعة عين شمس، 1393هـ ـ 1973م.

62ـ **تفسير به رأى وهرج ومرج ادبي**، ناصر مكارم الشيرازي، قم: مؤسسه ى مطبوعاتي هدف، من دون تاريخ، 94ص.

63ـ **تفسير روحاني**، محمد علي لساني فشاركي، طهران: مؤسسه ى چاپ ونشر عروج، 1376ش، 308.

64ـ **تفسير علمي قرآن**، ناصر رفيعي محمدي، منشورات «فرهنگ گستر»، 1379ش.

65ـ **تفسير كلامي قرآن مجيد**، محمد حسين روحاني، طهران: منشورات «طوس»، ط1، 1370ش، 347ص.

66ـ **تفسير وتفاسير جديد**، بهاء الدين الخرمشاهي، طهران: منشورات «كيهان»، ط1، 1364ش، 238ص.

67ـ **تفسير به رأى**، حسن عاشوري لنگرودي. رسالة ماجستير تربيت مدرس (إعداد المعلمين)، قم.

68ـ **تفسير قتادة، دراسة للمفسّر ومنهج تفسيره**، عبد الله أبو السعود بدر، القاهرة: عالم الكتب، 1399هـ ـ 1979م، 135ص.

69ـ **جلوه تفسيرى باطنيه**، علي أكبر إسماعيلي، أراك: جامعة «أزاد إسلامي»، 1375ش، 113ص.

70ـ **درآمدي بر تفسير قرآن**، محمد علي رضائي الأصفهاني، قم: منشورات «أُسوة»، 1375ش، مجلد واحد، 515ص.

71ـ **دراسات في (التفسير والمفسرون)**، عبد القهار داود العاني، بغداد: مطبعة سعد، 1987م، 234 ص.

72ـ **روش شناسي تفسير قرآن**، بابائي وآخرين، دفتر همكارى حوزه ودانشگاه (مكتب التنسيق بين الحوزة والجامعة).

73ـ روشهاي وگرايشهاي **تفسيري**، حسين علوي مهر، منشورات أُسوة، 1381ش.

74ـ **روشهاي تفسير قرآن**، جعفر نكونام، من دون ذكر اسم الناشر، ومكان النشر، 1375ش، 135ص.

75ـ **روشهاي تفسير قرآن**، سيد جعفر سجادي، طهران: نشر تاريخ إيران، 1401هـ، 125ص.

76ـ **روشهاى تفسير قرآن**، سيد رضا مؤدب، قم: منشورات إشراف، 1380ش.

77ـ **الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب**، عمر عبد الرحمن الساريسي، الأردن (عمان): مكتبة الأقصى، 1407هـ ـ 1987م، 298ص، من ص203 ـ 226.

78ـ **شناخت جريان علمي نگرى به قرآن (روش تفسير علمي)**، فروغ پارسا، طهران: جامعة «تربيت مدرس»، 1372ش، 349ص.

79ـ صوفيه: **مكتب وروش آنها در تفسير**، سيد نور الدين

الأبطحي، من دون ذكر اسم الناشر، وتاريخ، ومكان النشر.

80ـ **ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم**، خليل إبراهيم أبو ذياب، عمان: دار عمّار، 1999م، 376ص.

81ـ **قانون تفسير**، سيد علي كمالي الدزفولي، طهران: منشورات كتاب خانه ى صدر، 1396هـ، 495ص.

82ـ **قرآن پژوهى (هفتاد بحث وتحقيق قرآني)**، بهاء الدين خرمشاهي، طهران: نشر «فرهنگ»، مشرق، ط1، 1372ش، 826 ص من ص139 ـ 320.

83ـ **قصة التفسير**، أحمد الشرباصي، بيروت: دار الجيل، 1988م، 121ص.

84ـ **قواعد التفسير**، محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى اليماني، مخطوط في التيمورية، رقم 587.

85ـ **القرآن والتفسير**، عبد الله محمود شحاته، مصر: الهيئة المصرية العامة، 1394هـ، 283ص.

86ـ **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزية، ط1، 1413هـ ـ 1993م، 176ص.

87ـ **القول المختصر المبين في مناهج المفسرين**، أبو عبد الله محمود الحمود النجدي، الكويت: مكتبة دار الإمام الذهبي، ط1، 1412هـ، 109ص.

88ـ **كيف نفهم القرآن، دراسة في مذاهب التفسير واتجاهاتها**؛ كامل موسى ـ علي دحروج، بيروت: دار المحروسة، 1412هـ ـ 1992م، 334ص.

89ـ **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير**، محمد الصباغ، بيروت: المكتب الإسلامي، 1394هـ ـ 1974م، 240ص.

90ـ **مباحث في التفسير الموضوعي**، مصطفى مسلم، دمشق: دار القلم، ط1، 1410هـ ـ 1989م، 373ص.

91ـ **مبادىء التفسير**، محمد الخضرمي الدمياطي، دمشق: دار البصائر، 1404هـ ـ 1984م، من دون ذكر مكان النشر، مطبعة النيل، 1321هـ ـ 1905م.

92ـ **مباني وروشهاي تفسير قرآن**، عباس عميد زنجاني، طهران: وزارة «فرهنگ وإرشاد اسلامي»، ط1، 1366ش، 343ص.

93ـ **مباني وروشهاي تفسيري**، محمد كاظم شاكر، منشورات «مركز جهاني علوم إسلامي»، 1382ص.

94ـ **متد تفسير قرآن به قرآن**، أبو الفضل بهرامپور، طهران: منشورات إسلامي، ط2، 1360ش، 77ص.

95ـ **مدارس التفسير القرآني**، مصطفى الصاوي الجويني، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعيّة، 1992م، 297ص.

96ـ **مقدمات تفسير القرآن**، نهضت زنان مسلمان، طهران: 68ص.

97ـ **مقدمة في أُصول التفسير**، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، المحقّق: محمود محمد محمود نصّار، بغداد: دار التربية، من دون تاريخ، 112ص.

98ـ **مكاتب تفسيري**، علي أكبر بابائي، قم: پژوهشكده حوزه ودانشگاه (مركز دراسات الحوزة والجامعة)، 1381ش.

99ـ **مكاتب وروشهاي تفسيرى**، واعظ زادة الخراساني، 38ص (كراس مختص بجامعة الزهراء، قم).

100 ـ **مناهج المفسرين من العصر الأوّل إلى العصر الحديث**، علي محمود النقراشي، الرياض: مكتبة النهضة، ط1، 1407هـ 3/ 34 219ص.

101 ـ **مناهج المفسرين**، منيع عبد الحليم محمود، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1997م، 3/ 34.

102 ـ **مناهج في التفسير**، مصطفى الصاوي الجويني، الإسكندرية: منشأة المعارف، ط1، 1980م، 3/ 34 278ص.

103 ـ **مناهج في تحليل النظم القرآني**، منير سلطان، الإسكندرية: منشأة المعارف، من دون تاريخ، 347ص.

104 ـ **منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم**، عبد الوهاب فايد، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1393هـ ـ 1973م، 411ص.

105 ـ **منهج الإمام الخميني في التفسير**، عبد السلام زين العابدين، قم: مسجد أهل البيت (الشهيد الصدر)، بدون تاريخ، 111ص.

106 ـ **منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم** (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية)، صبري المتولي، القاهرة: دار الثقافة والنشر والتوزيع، 1986م، 469ص.

107 ـ **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه**، مصطفى الصاوي الجويني، القاهرة: دار المعارف، 1959م، 305ص.

108 ـ **منهج الطبرسي في تفسير مجمع البيان**، عبد الزهرة كاظم سمحاق الحجاج، رسالة ماجستير من كلية الفقه في جامعة الكوفة، 1410هـ ـ 1989م، 441ص.

109 ـ **منهج الطوسي في تفسير القرآن**، محمد حسن آل ياسين، العراق الكاظمية: من دون تاريخ، 42ص.

110 ـ **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، فهد بن عبد الرحمن ابن سليمان الرومي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ جزءان، م، في مجلد واحد، 886ص.

111 ـ **منهج تفسيري أهل البيت (ع)**، محمد شريفاني، قم: رسالة ماجستير، تربيت مدرس، 1373ش، 268ص.

112 ـ **موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات في موضوع التفسير**، محمد إبراهيم تراوري، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، من دون تاريخ.

113 ـ **موقف صاحب المنار من المفسرين**، محسن عبد الحميد، بغداد: مطبعة المعارف.

114 ـ **الإمام الشوكاني مُفسراً**، محمد حسن بن أحمد الغماري، السعودية: دار الشروق، ط1، 1401هـ ـ 1981م، 357ص.

115 ـ **الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير**، مشهور حسن محمود سلمان، دمشق: دار القلم، ط1، 1413 ـ 1993م، 261ص.

116 ـ **الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير**، عبد الغفار عبد الرحيم، القاهرة: المركز العربي للثقافة والعلوم، من دون تاريخ، القاهرة: دار الأنصار، 1402هـ ـ 1981م، 423ص.

117 ـ **المبادىء العامة لتفسير القرآن الكريم**، محمد حسين علي الصغير، بيروت: المؤسسة الجامعية للمدرسات، من دون تاريخ، 190ص.

118 ـ **المحاكمة بين أبي حيّان والزمخشري وابن عطيّة**، يحيى الشاوي الفاسي المغربي، مخطوط بالأزهر، رقم 1254.

119 ـ **المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن**، إيجناس جولد زيهر، المترجم: علي حسن عبد القهار، القاهرة: مطبعة العلوم، 1414هـ ـ 1994م، 183ص.

120 ـ **المفسرون حياتهم ومنهجهم**، السيد محمد علي ايازي، طهران: نشر وزارة «فرهنگ وإرشاد إسلامى»، 1414هـ.

121 ـ **المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم**، كامل علي سعفان، مصر: مكتبة الأنجلو، ط1، 1981م، 508ص.

122 ـ **المنهج الحركي في «في ظلال القرآن»**، صلاح عبد الفتاح الخالدي، جدّه: دار المنارة، ط1، 1406هـ ـ 1986م، 471ص.

123 ـ **النظم القرآني في كشّاف الزمخشري**، درويش الجندي، مصر: دار النهضة، 1969م، 262ص.

124 ـ **نحو منهج لتفسير القرآن**، محمد الصادق عرجون، الرياض: دار السعودية، 1397هـ ـ 1977م.

125 ـ **نخستين مفسران پارسى نويس**، موسى درودي، طهران: منشورات نور فاطمة (ع)، 1362ش، 231ص.

126 ـ **نشأة التفسير واتجاه تطوره**، أحمد خليل، رسالة ماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة، 1366هـ ـ 1947م، 367ص.

127 ـ **نظرية تفسير النصوص الدينية**، محمد شريف أحمد، بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1402هـ ـ 1982م، 367ص.

128 ـ **هزار سال تفسير فارسي** (سيرى در متون كهن تفسيري پارس)، سيد حسن سادات الناصري، منوچهر دانش پژوه، طهران: نشر البرز، ط1، 1369ش، 880ص.

129 ـ **يادنامه ى طبرى (بمناسبة مرور 1100 سنة على وفاة الطبري)**، جمع من العلماء، طهران: وزارة «فرهنگ وإرشاد إسلامي»، ط1، 1369ش، 753ص.

فهرس المصادر

1 ـ المطهري، مرتضى، **آشنائي باعلوم إسلامي**، المجلد الخاص بالكلام والعرفان، منشورات صدرا، قم، من دون تاريخ.

2 ـ مصباح اليزدي، محمد تقي، **آموزش فلسفه**، سازمان تبليغات إسلامي، طهران، 1368ش.

3 ـ موحد الأبطحي، سيد علي، **آية التطهير**، مطبعة سيد الشهداء، قم 1404هـ.

4 ـ الرومي، فهد بن عبد الرحمٰن ابن سليمان، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، من دون ذكر اسم الناشر، السعودية، ط1، 1407هـ.

5 ـ الشرقاوي، عفة محمد، **اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث**، من دون ذكر اسم الناشر وتاريخ النشر.

6 ـ الفارابي، إحصاء العلوم.

7 ـ الغزالي، أبو حامد، إحياء العلوم 4ج، دار المعرفة، بيروت، 1402ق.

8 - الشهرستاني، السيد هبة الدين، إسلام وهيئت، مطبعة الغري، النجف، من دون تاريخ.

9 - العك، الشيخ خالد عبد الرحمٰن، **أُصول التفسير وقواعده**، دار النفائس، بيروت، ط3، 1414هـ.

10- المظفر، محمد رضا، **أُصول الفقه**، منشورات المعارف الإسلامية، طهران، 1368ش.

11- الكليني، محمد بن يعقوب، **أصول الكافي**، مكتب نشر فرهنگ أهل بيت (ع)، المطبعة الإسلامية، قم، 1361ش.

12- أبو رية، محمود، **أضواء على السُنة المحمدية**، نشر البطحاء، قم، ط5، بدون تاريخ.

13- السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ.

14- نعنانة، رمزي، **الإسرائيليات وأثرها في التفسير**، دار القلم، دمشق، 1390هـ.

15- الصدر، السيد محمد الباقر، **الأسس المنطقية للاستقراء**، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط4، 1402هـ.

16- إسماعيل، عبد العزيز، **الإسلام والطب الحديث**، تقديم: محمد مصطفى المراغي.

17- الزركشي، بدر الدين، **البرهان في علوم القرآن**، دار المعرفة، بيروت، 1310ص.

18- الخوئي، أبو القاسم، **البيان في تفسير القرآن**، قم، 1394هـ.

19- المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم،

منشورات وزارة «فرهنگ وإرشاد إسلامي»، إيران، ط1، 1371ش.

20ـ حجر، أحمد عمر، **التفسير العلمي في الميزان**، دار قتيبة، ط1، 1991م.

21ـ زغلول، محمد حمد، **التفسير بالرأي**، مكتبة الفارابي، 1420هـ.

22ـ الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، دار الكتب الحديثة، ط2، 1976م.

23ـ معرفة، محمد هادي، **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، الكتاب نفسه بالفارسي ترجمة: علي خياط، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، منشورات ذوي القربىٰ، مشهد، 1418هـ، 1380ش.

24ـ معرفة، محمد هادي، **التمهيد في علوم القرآن**، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1417هـ.

25ـ الصدوق، **التوحيد**، بيروت، من دون تاريخ.

26ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمٰن ابن بكر بن محمد، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ.

27ـ الأميني النجفي، عبد الحسين أحمد، **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1387هـ.

28ـ الطهراني، محمد الصادقي، **الفرقان في تفسير القرآن**، منشورات فرهنگ إسلامي، ط2، 1408هـ.

29ـ الاسترآبادي، محمد أمين، **الفوائد المدنية**، من دون ذكر الناشر وتاريخ النشر.

30ـ نوفل، عبد الرزاق، **القرآن والعلم الحديث**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م.

31ـ الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، المكتبة المرتضوية، طهران، 1332ش.

32ـ الأيازي، سيد محمد علي، **المفسرون حياتهم ومنهجهم**، طهران، نشر وزارة فرهنگ وإرشاد إسلامي، 1414هـ.

33ـ أبو طبرة، محمد، المنهج الأثري.

34ـ الطباطبائي، محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة مطبوعاتى اسماعيليان، قم، 1393هـ.

35ـ المجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار**، المكتبة الإسلامية، طهران، 1358ش.

36ـ سبحاني، جعفر، **برهان رسالت**، منشورات كتابخانه صدر، طهران، 1398هـ.

37ـ الصفار، **بصائر الدرجات**، من دون ذكر الناشر وتاريخ النشر.

38ـ الصافي الگلپايگاني، لطف الله، **به سوى افريدگار**، قم، منشورات إسلامي، 1370ش.

39ـ بيّنات، فصلية قرآنية، قم، العدد 23.

40ـ الخميني، روح الله الموسوي، **پرواز در ملكوت مُشتمل بر آداب الصلاة**، المترجم: أحمد الفهري، نهضت زنان مسلمان، 1359ش.

41ـ رضائي الأصفهاني، **محمد علي، پژوهشى در إعجاز علمي قرآن**، منشورات كتاب مبين، 1380ش.

42- مكارم الشيرازي، ناصر، **پيام قرآن**، منشورات نسل جوان، قم.

43- زيدان، جرجي، **تاريخ التمدن الإسلامي**، دار مكتبة الحياة، بيروت.

44- الطالقاني، عبد الوهاب، **تاريخ تفسير**، منشورات نبوي، طهران، 1377ش.

45- الحلبي، علي أصغر، **تاريخ نهضتهاي ديني سياسي معاصر**، منشورات البهبهاني، طهران، 1371ش.

46- الصدر، حسن، **شيعه پايه گذار علوم إسلامي**، ترجمة: مختاري، منشورات كتابخانه بزرگ إسلامي، 1354ش.

47- الاسترآبادي، شرف الدين، **تأويل الآيات الظاهرة**، من دون ذكر الناشر وتاريخ النشر.

48- المختار، محمد أمين بن محمد، **تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**.

49- الطوسي، أبو جعفر محمد ابن الحسن، **تفسير البيان**، المطبعة العلمية، النجف، 1376هـ.

50- الطنطاوي جوهري، **تفسير الجواهر في تفسير القرآن**، دار الفكر، من دون ذكر مكان النشر، من دون تاريخ.

51- الفيض الكاشاني، **تفسير الصافي**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط3، 1402هـ.

52- صدر الدين الشيرازي (ملاصدرا)، محمد بن إبراهيم، **تفسير القرآن الكريم**، منشورات بيدار، قم، ط3، 1366ش.

53ـ الزمخشري، محمود بن عمر، **تفسير الكشاف**، دار الكتاب العربي، بيروت، من دون تاريخ.

54ـ رشيد رضا، محمد، **تفسير المنار** (تفسير القرآن الحكيم)، دار المعرفة، بيروت، ط3، من دون تاريخ، 12 مجلداً.

55ـ حسن عاشوري لنگرودي. **تفسير به رأي**، رسالة ماجستير «تربيت مدرس» قم.

56ـ مكارم الشيرازي، ناصر، **تفسير به رأى**، مطبوعات هدف، قم، ط8، 1367ش.

57ـ جوادي آملي، عبد الله، **تفسير تسنيم**، مركز نشر إسراء، قم، 1380ش.

58ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان في تفسير القرآن**، دار المعرفة، بيروت، 1406هـ.

59ـ الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**.

60ـ السبحاني، جعفر، **تفسير صحيح آيات مشكلة قرآن**، تنظيم: هادي خسروشاهي، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، قم، 1371ش.

61ـ رفيعي محمدي، ناصر، **تفسير علمي قرآن**، منشورات فرهنگ گستر، 1379ش.

62ـ قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط5، 1386هـ.

63ـ الفخر الرازي، **التفسير الكبير مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 32 مجلداً.

64ـ كشف الأسرار وعدّة الأبرار المعروف بتفسير (الخواجه عبد الله الأنصاري).

65ـ الكاشاني، الملا فتح الله، **منهج الصادقين**، كتاب فروشي إسلاميه، طهران، 1346ش.

66ـ مكارم الشيرازي، ناصر، وجمع من الكتاب، **تفسير نمونه**، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1364ش، 27 مجلد.

67ـ الخرمشاهي، بهاء الدين، **تفسير وتفاسير جديد**، منشورات كيهان، طهران، 1364ش.

68ـ الغزالي، **جواهر القرآن**، المركز العربي للكتاب، بيروت ـ دمشق، من دون تاريخ.

69ـ بوير، كارل، **حدسها وإبطالها**، ترجمة: أحمد آرام.

70ـ رضائي الأصفهاني، محمد علي، **درآمدي بر تفسير علمي قرآن**، منشورات أسوة، قم، 1376ش، 517ص.

71ـ واعظي، أحمد، **درآمدي بر هرمنوتيك**، مؤسسة فرهنگ دانش وانديشه ى معاصر، 1380ش.

72ـ الصغير، محمد حسين علي، **دراسات قرآنية، المبادىء العامة لتفسير القرآن الكريم**، المكتبة الإسلامية، طهران، 1412هـ.

73ـ بن سينا، **رسائل ابن سينا**، طبعة الهند، 1908م، (توجد في مكتبة آية الله المرعشي النجفي).

74ـ **رسائل إخوان الصفا**، مطبعة العربية، 1928م (وأيضاً خلاصة الرسائل بقلم علي أصغر حلبي).

75ـ الحر العاملي، محمد بن الحسن، **وسائل الشيعة إلى تحصيل**

مسائل الشريعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1391هـ، 20 مجلد.

76ـ جمع من الكتاب، **روش شناسي تفسير قرآن**، سمت (دفتر همكاري حوزه ودانشگاه، (مكتب التنسيق بين الحوزة والجامعة)، 1379ش.

77ـ الآلوسي، علي، **روش علامه طباطبائي در تفسير الميزان**، ترجمة: سيد حسن مير جليلي، مركز چاپ ونشر سازمان تبليغات، طهران، 1370ش.

78ـ علوي مهر، حسين، **روشها وگرايشهاى تفسيرى**، منشورات أُسوه، 1381ش.

79ـ مؤدب، سيد رضا، **روشهاى تفسير قرآن**، جامعة (انتشارات إشراق)، قم، 1380ش.

80ـ أيازي، سيد محمد علي، **سير تطور تفاسير شيعه**، مؤسسة نمايشگهاهي فرهنگي إيران، طهران، 1379ش.

81ـ السبزواري، الملا هادي، **شرح منظومة**، منشورات علاّمة، قم، ط6، 1369ش.

82ـ النجفي، محمد صادق وهريسي، هاشم، **شناخت قرآن**، من دون ناشر، 1361ش.

83ـ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1400هـ، 4 مجلداً.

84ـ عقيقي، بخشايشي، **طبقات مفسرين شيعه**، دفتر نشر نويد إسلام، قم، 1371ش.

85ـ مدير شانه چي، كاظم، **علم حديث ودراية الحديث**، دفتر انتشارات إسلامي، قم، 1362ش.

86- باربور، ايان، **علم ودين**، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، مركز نشر دانشگاهي، طهران، 1362ش.

87- الأنصاري، مرتضى، **فرائد الأصول**، مجمع الفكر الإسلامي، قم، 1419هـ، 4 مجلد.

88- مشكور، محمد جواد، **فرهنگ فرق إسلامي**، بنياد پژهشهاى إسلامي، آستان قدس رضوي، مشهد، ط3، 1375ش.

89- بدوي، عبد الرحمٰن، **فرهنگ كامل خاورشناسان**، ترجمة: شكر الله خاكرند، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، قم، 1375ش.

90- أوبلاكر، اريك، **فيزيك نوين**، ترجمة: بهروز بيضائي، منشورات قدياني، طهران، 1370ش.

91- الطباطبائي، محمد حسين، **قرآن در إسلام**، بنياد إسلامي، 1361ش.

92- بى آزار الشيرازي، عبد الكريم، قرآن ناطق، دفتر نشر فرهنگ إسلامي، طهران، 1376ش.

93- مكارم الشيرازي، ناصر، **قرآن وآخرين پيامبر**، ط2 دار الكتب الإسلامية، طهران،.

94- الخراساني، الآخوند، **كفاية الأُصول**، شرح: السيد محمد حسين الشيرازي، دار الإيمان، قم، 1406هـ.

95- سياسى، علي أكبر، **مباني فلسفة**، جامعة طهران، طهران.

96- عميد زنجاني، عباس علي، مباني وروشهاي تفسيري، منشورات ط4 وزارة فرهنگ وإرشاد إسلامي، طهران.

97- مجلة علوم حديث التخصصيّة، العدد 3، 8 اسم المقالة: «دروغ پردازان درحوزه حديث شيعه وأهل سنّت».

98- الطبرسي (أمين)، أبو علي الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، ط5 المكتبة الإسلامية، طهران، 1395هـ، 10 مجلدات.

99- المطهري، مرتضى، مجموعه آثار (علل گرايش به ماديگرى).

100 ـ جولدزيهر إيجناس، **مذاهب التفسير الإسلامي**، ترجمة: عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر، 1995م.

101 ـ الخوئي، أبو القاسم، **مصباح الأُصول**، مكتبة الداوري، قم، ط1404هـ.

102 ـ مصباح اليزدي، محمد تقي، **معارف قرآن**، منشورات در راه حق، قم، 1367ش.

103 ـ الصدوق، **معاني الأخبار**، من دون ذكر الناشر وتاريخ النشر.

104 ـ الخوئي، أبو القاسم، **معجم رجال الحديث**.

105 ـ بوكاي، ويليام **مقايسه اى ميان تورات، انجيل، قرآن وعلم**، ترجمة: المهندس ذبيح الله دبير، منشورات فرهنگ إسلامي، 1365ش.

106 ـ ابن تيميَّة، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، **مقدمة في أصول التفسير**، دار القرآن الكريم، بيروت 1971م.

107 ـ الصاوي الجويني المصري، مصطفى، **مناهج في التفسير**، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون تاريخ.

108 ـ الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ.

109 ـ بوير، كارل، **منطق اكتشافات علمي**، ترجمة: أحمد آرام.

110 ـ الرومي، فهد بن عبد الرحمٰن ابن سليمان، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ط 3 مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407ق.

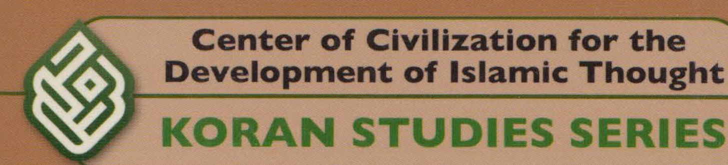
111 ـ شريفاني، محمد، منهج تفسيري أهل بيت (ع)، رسالة ماجستير تربيت مدرس، جامعة قم.

112 ـ محمدي الري شهري، محمد، **ميزان الحكمة**، ط 3 دفتر تبليغات إسلامي، قم، 1367ش.

113 ـ الحويزي العروسي، عبد علي بن جمعة، **نور الثقلين**، المطبعة العلمية، قم، ط2، 1383هـ، 5 مجلدات.

114 ـ السيد الرضي، ترجمة: نهج البلاغة، ناصر مكارم الشيرازي ومساعديه، منشورات هدف، قم، من دون تاريخ.

115 ـ الفيض الكاشاني، محمد محسن، **الوافي**، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة، أصفهان، 1365ش.



THE EXPLANATION OF QURAN METHODS AND APPROACHES: A Comparing Study

يعتمد منهج هذا الكتاب على تصنيف وتحليل المناهج العملية في تفسير القرآن الكريم، واتجاهات المفسرين في سعي لاكتشاف منطق التفسير. وقد دُوِّن الكتاب بطريقة تسمح باعتماده مقررا دراسيا وكتابا للمطالعة والبحث العلمي في آنٍ واحد.

ويهدف الكتاب إلى:

١- شرح منطق تفسير القرآن من خلال تحليل المناهج والاتجاهات التفسيرية المستخدمة حتى الآن في مجال التفسير.

٢- مناقشة صحة وجدوى هذه المناهج والاتجاهات في إطار قوالب علمية تعليمية.

٣- تنظيم هذه المناهج والاتجاهات وتقديمها للقارئ في أطر علمية تجمع بين الوضوح والعمق العلمي في آن.

محمد علي الرضائي

مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

بيروت – لبنان – بئر حسن – شارع السفارات – بناية الصباح – ط ٢

هاتف: 826233 1 961+ – فاكس: 820378 1 961+ - ص.ب: 25/55

E-mail:info@hadaraweb.com - www.hadaraweb.com